الدرر السنية في الأجوبة النجدية

مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام
من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا

جمع
الفقير إلى عفو ربه القدير
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي
رحمه الله وعفا عنه وأعظم له الأجر
آمين
١٣١٢ - ١٣٩٢هـ

الجزء السادس عشر

القسم الثاني من البيان الواضح، وتراجم أصحاب
تلك الرسائل والأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرر السنية
في
الأجوبة النجدية

١٦

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

إلا التراجم فهي الطبعة الثانية
مزيدة ومصححة ومنقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني من البيان الواضح

الفصل الثالث من الباب التاسع

والسبب الأعظم لضعف العلم والإسلام ، والكسر الذي لا ينجبر ، والطامة الكبرى : استجلاب معلمين ملحدين ، من البلدان المنحلة ، لنشر الثقافة ـ يعني الغربية ـ ورفع الأمية .

ويحملون معهم برنامج التعليم ، الذي يشتمل على فنون محظورة ، من تصوير ، وغيرها مما له معاهد في تلك الأوطان في بلادهم ، التي أعرضت عن دين الله وشرعه ، واشتهرت فيها شعائر الكفر .

ليجتثوا الإسلام من أصله ، بسبب ما هم عليه من عداء ، وما في قلوبهم من حقد ، قال تعالى : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون ﴾ [الممتحنة : ٢] .

وقد أخذ عنهم أكثر الشباب مواد تعليهم وتخلقوا بأخلاقهم ، فيا ليتنا تلقيناهم بنحورنا نصرة لدين الله فمنعناهم ، أو نلنا الشهادة ، وعذرنا غداً بين يدي رب

العالمين ؛ وفضل الجهاد في سبيل الله قد أفرد بالمصنفات ، وفي أثناء كتب الحديث وغيرها .

وقد حدثني من لا أتهم : أن فلاناً قال للشيخ عبد الرحمن بن حسن : يا شيخ عبد الرحمن ، جدك الشيخ محمد ، جاء بشجرة لا إلٰه إلا الله ، فغرسها في بلدة العيينة ، فصارت الأرض صلدة سبخة .

فحملها إلى الدرعية ، فصارت الأرض خصبة ، فسقاها بالدعوة ، وحماها محمد بن سعود بالسيف ، فأينعت ، وأراها في عصركم خوت ؛ هذا والشيخ عبد الرحمن بن حسن يقول : لو ظهر علينا أهل الدرعية لقاتلونا .

وفي عصر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وطبقته صارت أشد خويانا ؛ لأن المحتسبين في عصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أمسكوا كاتب الإمام فيصل ، خرج من بيت فيه عزب ، وطلبوا من الإمام ضربه في السوق ، فقال : اضربوه في الحوشة .

فأتوا إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، فقال للإمام فيصل : يضرب الرجل في السوق ؛ فقال الإمام : يضرب في الحوشة ، فقال الشيخ : نسلم عليك ، وخرج من الرياض إلى بلدة الحوطة .

فتبعه الإمام فيصل ، وطلب منه أن يرجع ؛ فقال : عاهدناك على دين الله ورسوله ، ولا أرجع حتى تعاهدني

الآن على ذلك ، والرجل يضرب في السوق ، فعاهده ، وضرب في السوق .

وفي عصر الشيخ عبد الله : كنت أسير معه من المسجد إلى بيته في بعض الأيام ، وذات يوم تبعه رجل من الإخوان ، فأدركه في أثناء الطريق ، فقال : يا شيخ عبد الله ، هذا الكافر « فلبى » يدخل المسجد ، أفلا نقتله ؟

قال : لا يا ولدي ؛ قال : أفلا نخرجه منه ؟ ولم أحفظ ما قاله ، فالتفت الشيخ إليه ، فإذا هو قد ولّى مدبراً ، فالتفت إليّ ودموعه على خديه ، وقال بحزن : إيه سوف يعلمون .

وأخبرني الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد ، باسم الرجل ، وقال : إنه قال : أخرجوه أخرجوه ، سوف يعلمون ، سوف يعلمون ، فلا أدري هل ما قاله مرة أخرى ، أو تلك المرة ، لأنه يقيم في البلد ، ومن أخص الناس بالشيخ عبد الله .

وكان الشيخ سعد بن عتيق يذكر الناس في السوق ، ولما مر بقوله ﷺ : طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، وأنهى الكلام عليه ، قام على قدميه ورفع صوته وهو يبكي فقال : ينزل النصراني في بيت أرفع من بيوت المسلمين التي حوله ؟! وأزعج الناس .

وكان عنده من رجال الملك عبد العزيز ، فأخبروه ،

ثم توجه الملك إلى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، وذكر له ما قال الشيخ سعد في السوق ، فقال الشيخ عبد الله : نحن سكتنا ، وتكلم الشيخ سعد بالواجب .

وفي هذا العصر : ضعفت الغيرة الدينية من الأكثر ، بسبب القادمين من بلاد الخارج ، والتابعين لهم ، فجاؤوا إلى شجرة لا إلٰه إلا الله ، التي جاء بها وغذاها المصلح ، وأيدها بسيفه الناصر للدين ، ليقتلعوها من وطن ازدهرت فيه برهة من الزمن .

إن لم تدارك بتكاتف العلماء ، ومساعدة الرؤساء ، فلسوف تزال ، كما زالت من تلك الأمصار ، التي كانت هي مقر الإسلام وولاته ، ومجتمع العلماء ، وتبليغ العلم ؛ وفي انحرافهم لنا عبرة ألا نسلك مسالكهم ، وألا يتسرب إلينا باطلهم .

وجدير بولاة الأمر ، والعلماء الاقتفاء بآثار آبائهم وسلفهم الصالح ، وأن يبنوا ما تهدم من بنائهم الرفيع ، ليفوزوا بحسن الثناء في الدنيا ، والأجر الجزيل في الآخرة ، وألا يذهب العلم والإسلام من وطنه الذي بناه سلفهم الصالح .

وأن يقتفوا آثارهم في تعليم العلم وحماية الإسلام ، وأن يزيلوا بدع ما جاء به أذناب المنحلين من صفة تعلمهم المضعف للعلم .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : العلوم المفضولة إذا أضعفت العلم ، حرمت ، فكيف بالعلوم المحظورة ، ثم بترتب شهادات لمقدار الأجر ؟!

وفي الحديث : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعني ريحها .

وذكر لنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد عن العاصمي ، فقال ما معناه :

إن أول مدرسة نظامية بنيت ببغداد ، وطلب لها العلماء ، وأجري لهم ، ولطلاب العلم مرتبات ، والتحق بها كثير ، ولما علم علماء بخارى ، بكوا بكاءً شديداً ، متأسفين على العلوم الإسلامية .

فقيل لهم : ما هذا البكاء ؟ وما هذا الجزع ؟ ما هي إلا مدرسة دينية للعلم ، كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، وغيرها ؛ فقال العلماء : إن العلم شريف في نفسه سامٍ ، لا يحمله إلا النفوس السامية الزكية الشريفة ، ويشرفون بِشرف العلم .

أما إذا أجريت المرتبات لطلابه ، أقبل إليه من لا خير فيه ، من السقطة والأراذل ، الذين يريدون بتعلمهم العلم ، لنيل المناصب ، والوظائف ، وأخذ المرتبات ، فيزول العلم ويسقط بسقوط وإزالة حملته ، فيصبح العلم الشريف لا قيمة له .

ثم قال العاصمي : أما اليوم فلا طالب ولا مطلوب ، ولا راغب فيه ولا مرغوب ، لفساد الزمان ، انتهى .

وذلك في تلك العصور المعروف عن أهلها الجد في العلم النافع ، واتساعه في أقطار الأرض ، وفي هذا العصر ، في العقد التاسع من القرن الرابع عشر ، خلت المساجد ، وبنيت المدارس ، وأجريت الأجور ، وأثبتت الشهادات لكل فصل ، لمقادير الأجور والرتب .

فيا حسرتاه ، واحزناه ، واRباه ، واحر قلباه ، لقد غزانا في هذا البقعة المباركة ، التي ازدهرت فيها هذه الدعوة المباركة ، وفيها مهابط الوحي : الألوف من أهل الخارج ، ذكوراً وإناثاً ، باسم التعليم والتربية ، والتمريض ، وغيرها .

وفي برنامجهم : الحقوق ، والطبيعة ، والتصوير ، والمادة وغيرها مما يزيد على ثلاثين فناً لإضعاف العلم النافع ، أمنية أعداء الإسلام ليملكوا المسلمين ، ، فيا لله ، يا للمسلمين ، وفيما ذكره علماؤنا الذين لهم غيرة لله كفاية .

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد ، إلى حضرة معالي وزير المعارف ، حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، على الدوام ، أدام المولى على الجميع نعمه .

وبعد : فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى ، ومراقبته في السر والعلانية ، فإنها سبيل السلامة والنجاة في الدنيا والآخرة ، وإني أسطّر لكم هذه الأحرف ، حينما بلغني ما يسؤني ويسؤكم ، ويسوء كل مسلم غيور على دينه ، وعلى الأمة الإسلامية والأخلاق الحسنة .

فإن هذه الوزارة التي هي وزارة المعارف والتي أنتم تديرونها ، وأنتم الرائد الأول لها ، قد أصبحت الآن مصدراً كبيراً لبث الأخلاق السيئة ، وتبلبل الأذهان ، واضمحلال العقيدة السلفية ، التي غرسها أوائلكم الأفاضل ، في هذه الجزيرة .

وإنا والله نأسف أشد الأسف : أن يحصل مثل هذا مع وجودكم ، وأنتم الآن بأيديكم زمام هذا النشء ، وتستطيعون قيادته إلى المكان الأعلى ، ومع ذلك تهملون هذا الإهمال المتناهي .

بل لم تقتصروا على ذلك ، حتى كنتم سبباً لإدخال من أراد أن يهدم عقيدتكم ، وعقيدة آبائكم ، وعزكم وعز آبائكم ، وما ذاك إلا باجتلابكم هٰؤلاء الزنادقة ، وبثهم في كل صقع من المملكة .

وإغراؤهم وتشجيعهم بكثرة المرتبات ، وعدم المراقبة عليهم فيما يبثون بين النشء ، من هذه السموم القتالة ، من أخلاق منحرفة ، ودعايات سيئة ، دعايات المجون والخلاعة ، دعايات الزندقة والإلحاد ، دعايات التهكم بهذا الدين ورجاله .

ولقد بلغني : أنه يوجد في كلية الشريعة بمكة ، التي أسست لتكون مركزاً لنشر العلم الصحيح ، والدين القويم ، وتعتبر أرقى مرحلة من مراحل التعليم ، والتي تخرج رجال القضاء والتعليم الديني ، يوجد فيها شخص يسمى « الدكتور فوزي بشبيشي » قد تجاوز الحد ، وتمادى في الطغيان ، وبلبلة أذهان الطلاب .

ومع انحلاله من الدين ، أصبح أكبر داعية للإلحاد والزندقة ، والتهكم بالدين وحملته ، وتلقيبهم بالتغفيل والرجعية ، ومع ذلك له سنوات في هذه الكلية مكرماً ، ومعززاً .

وإليكم شيئاً مما ثبت لدينا عنه ، فمنها : رميه أسئلة التفسير ـ مع ما اشتملت عليه من الآيات القرآنية ـ على

الأرض ، ودوسها بقدميه ، وعندما قيل له : هذا حرام ؛ قال : لا حلال ولا حرام ، إنما هذه عقيدة أمهاتكم ، التي ورثتم عنهنّ .

ومنها : حينما سأله أحد الطلاب عن مسألة ، يقول له : اذهب احلق ذقنك ، وتعال أعلمك ، ومنها : حثّه على حلق اللحى ، وشرب الدخان ؛ وقوله : إن فعل هذه الأشياء تحرر من القيود ؛ فما أشبه هذه الدعوة بدعوة : صاحب الأغلال .

ومنها : إملاؤه على الطلاب في دفاترهم ، ما يبعث في نفوسهم حب اللهو والغناء والميول إلى المجون ، كقوله : « ولو أنكم قرأتم الشعر الغنائي ، أو سمعتموه من شاد العرب عبد الوهاب ، ومطربة الجيل : أم كلثوم ، لرأيتم أو سمعتم أن معظم الأغنيات ، تدور معانيها حول العذرية ، التي تسعى إليك ، وعن يمينها نار الشوق ، وعن يسارها روح الحرمان ، وبين خطاها آهات وأنّات ، كأنما فيها كبد حراء ، وقلب مقتل ، وروح مهمومة مهيمة » .

ومنها : ترديده دائماً هذه العبارة : « لولا مصر لذهب الدين من الوجود » إلى غير ذلك ، كإلقائه التفرقة بين الطلاب الحجازيين والنجديين ، وقوله : « أنا أريد أن أبلبل أذهانكم ، وأشككم ، لتصلوا إلى اليقين » ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فإذا كان هذا يوجد من شخص واحد ، ومع ذلك أقام سنوات يبث هذه الأشياء ولا يلغى انتدابه ، بل ولا يشعر به ، فكيف تكون الحالة إذاً ، وأضرابه يعدون بالآلاف ؟ أليس هذا مؤذنا بهلاك عاجل ، أي هلاك ؟!

إذا ما السور هدمه أناس   وسيبهم ذووه فقد أعانوا

والله : لذهاب الأرواح وفناء الأشباح ، أيسر وأخف من هذه الأمور ، التي تزيل العقيدة ، وتذهب الأخلاق الحميدة ، هذا ما حصل من ناحية واحدة من نواحي التعليم ، وإن كانت هي أعظم مصيبة .

ولكن أضف إلى ذلك ما حصل في مناهج التعليم من التغيير والتبديل ، وإضعاف العلوم الدينية والعربية ، حتى أصبحت الآن هذه المواد قسمتها قسمة ضيزى ، بالنسبة لسائر الفنون المحدثة .

ولا شك : أن فقد هذه العلوم ، مصيبة كبرى ورزية عظمى ؛ إن التعليم بدونها يعتبر خطر عظيم على هذا النشء ، وهذه النابتة ؛ وإنه لمما يخجل : أن يسمع الطالب الذي يحمل الشهادة الابتدائية ، يحاول أن يقرأ شيئاً من القرآن ، فلا يستطيع من الخجل ، لعدم معرفته له .

ومع ذلك تعتبر هذه السنة آخر مراحل التعليم بالنسبة للقرآن ، فلا يدرس في المراحل المتوسطة ، ولا في

الثانوية ؛ فليت شعري : متى يستطيع أن يقرأ القرآن ، من هذه حاله ؟! وهذا من أعظم الأسباب للابتعاد عنه ، وعدم تأمله ومحبته ؛ لأن من جهل شيئاً أنكره .

وإذا كان هذا القرآن ـ وهو إنما يدرس عندهم نظراً مع ضبطه بالشكل ـ فكيف ببقية علوم الدين ؟! وما ذاك إلا بسبب هذه الفنون المعوقة ، كالرسوم ، والأشغال ، والرياضة البدنية ، والألعاب الأخرى ، مع وجود عوامل أخرى ، كضعف المواد التي تمت إلى الدين والأخلاق بصلة ، وعدم وجود المدرسين الأكفاء .

بل الأغلبية من أولئك المشار إليهم سابقاً ، مما كان سبباً في استياء أخلاق الشباب ، وفساد طرايقهم ، وتغير فطرهم ، كما هو مشاهد ، يدخل أحدهم المدرسة سليم الفطرة ، محباً للخير ، آلفاً للطاعة ، ثم يخرج منها قد زال كل ذلك منه ، لتغير فطرته ، وانحراف عقيدته ، مبتعداً عن الله ، وعن أهل الخير من خلقه ، حتى من أبيه الأدنى المربي له ، القائم بشؤونه ومهماته ، وما هذا إلا لعدم تمكن أوامر الإسلام ونواهيه من قلبه .

ومما لا شك فيه : أن للمدرس أثراً كبيراً في هذه الناحية ، فإن الأستاذ بالنسبة إلى الطالب ، كالقلب بالنسبة إلى سائر الأعضاء في البدن ؛ فإن الأعضاء تقول له : اتق الله فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا .

فيجب اختيار الأكفاء من المدرسين ، الذين ظاهرهم العدالة والصلاح ، والابتعاد عن كل رذيلة ، المتمسكين بالأخلاق الحسنة والصفات الجميلة :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

هذا : وقد أشيع بأن وزارة المعارف ، قد أزمعت على استجلاب أفلام سينمائية ، لبثها في عدد من المدارس ، وأنا لا أصدق ولا أكذب في هذا أن يوجد ، لكنني أحذر وأنذر عن نشرها وفشوها في المدارس .

بل يجب إبعادها وطردها ، مقرونة بالذل والصغار ، لمن يريد إدخالها في هذه البلاد ، ليضلل بها النشء ، إضلالاً فوق إضلاله ، لما احتوت عليه من الضرر الكبير والفساد العريض ، حتى ولو قيل فيها ما قيل من التأويلات البعيدة ، إذ الوسائل لها حكم الغايات ، والداء إذا تمكن صعب علاجه ، والدفع أسهل من الرفع ، والعاقل النابه الحكيم ، متى عرض مضارها على عقله السليم ، لم يغتر بمن حاد عن الصراط المستقيم .

والواقع : أن هذه وأمثالها من العلوم الحديثة ، إما أن تكون مفضولة ، أو مباحة على الأقل ؛ وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة صارت مكروهة ، وإن أضعفتها

صارت محرمة . وإني أكتب لكم هذا الكتاب لما أجده لكم من النصح والشفقة ، فالمحب الصادق هو من يجرع صديقه المر ، ليقيه من الوقوع في الضر .

ما ناصحتك خبايا الود من أحد ما لم ينلك بمكروه من العذل

مودتي لك تأبى أن تسامحني بأن أراك على شيء من الزلل

وختاماً : أسأل الله تعالى أن يمنّ بالتوفيق علينا وعليكم ، وعلى كافة المسلمين ، وأن يأخذ بنواصينا إلى أقوم طريق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على محمد ، وآله وصحبه .

وقال رحمه الله :

التربية والتعليم(١)

إن مما شك فيه ولا امتراء : أن فساد الأمة وصلاحها ، ناشئ عن حسن تربيتها لأولادها ، وتعليمها لهم التربية الحسنة ، والتعليم النافع ، والعكس بالعكس ، كما اتفق العقلاء على هذا .

فمتى كانت التربية حسنة جارية على السنن المستقيمة ، والآداب الشرعية ، والتعليم نافعاً ، حسب أوامر الدين

(١) نشر هذا المقال في جريدة اليمامة، بعددها ١٣٠ وتأريخ ٣/١/ ١٣٧٨هـ قبل أن تكون مجلة.

وتعاليمه ، أمراً ونهياً واعتقاداً ، أنبتت تلك التربية والتعليم ، رجالاً ذوي نصح وأمانة ، وخبرة ووفاء ، وصدق وإخاء ، واتحاد في الكلمة .

بهم تستقيم الأمة ، وتنتظم أمورها الدينية والدنيوية ، وأعادوا بمساعيهم السامية ، كل خير ونفع للبلاد والأمة ، فأجْدِرْ بهم أن يكونوا غرراً في جبين التأريخ ، لأن فلاح الأمة في صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها في صحة علومها ، وصحة علومها منتج لرجال أمناء مخلصين فيما يعملون .

وإن كانت التربية والتعليم بعكس ذلك : خابت الآمال ، وفسد الدين والدنيا ، وأصبحوا في جهل وفقر وحالة سيئة ، كمن مسَّ العَلَمَ بقَرَحِهِ ، ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة يعرفه كل عاقل .

لأنه أمر معلوم ، لا يحتاج إلى دليل من أن الصبي ، إذا بلغ مبلغ الرجال ، صارت أعماله ، وأحواله ، على مثل ما نشأ عليه وتربى به ، وتعلمه في الصغر ، فهو إنما ينسج على المنوال الذي عرفه في صباه .

وقد علم : أن أول شيء يقع عليه نظر حديث السن ، يأخذ من قلبه المكان الأول ، ويصادف منه قلباً خالياً من الشواغل ، فينطبع في ذاكرته ويتمكن منه ، ولا يتحول منه إلى غيره غالباً .

ولهذا كان للتعليم سن محدود غالباً ، إذا تجاوزه الصبي مهملاً ، غير متعاهد بالتربية الحسنة ، والتعليم النافع صار تأديب المؤدب له مما لا فائدة فيه ، ومن العبث الذي لا ينجح ، ولا يأتي بطائل .

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر   وليس ينفعهم من بعده الأدب

فإن تعليم الولد في صغره ، عبارة عن تغذية روحه ، بما تتهذب به أخلاقه ، وتزكو بشمائله ، وتحسن مقاصده ، بحيث يكون ميله إلى الخير ومحبته له ، ونفرته من الشر ، وبغضه له ، ملكة في نفسه .

وهذه التغذية النافعة ، إن لم تكن أنفع وأجلّ من تغذية البدن ، بما يقوى بها البدن ، وتنمو بها الأعضاء ، فليست دونها ، مع أن الكمال الإنساني ، لا يتوقف على بسطة واعتدال البدن ، التي هي ربما أنها نتيجة التربية الجسدية .

فإن من الناس من قوته الأسودان التمر والماء ، وشيء من خبز وشعير ونحوه ، ولم يكونوا ممن يتهيأ لهم نفيس المطاعم والمشارب ، بل على شظف من العيش وقلة من الدنيا ، ومع هذا دانت لهم أعناق الملوك الصيد ، وذلت لهيبتهم الأعزة .

أتظن : أنهم نالوا ذلك بحسنهم وجمالهم ونفيس

أطعمتهم ؟ أم بوفرة أموالهم وكثرة عددهم ؟ أم بمتانة عددهم ، أو تفننهم في أساليب السياسة ؟ لا والله ، ما نالوا ذلك إلا بدين وعلم ، وآداب وأخلاق فاضلة ، أخذوها عن رسول الله ﷺ ، فبالدين يصلح كل شيء ، ويستقيم كل معوج .

بغير الدين لا نرجو صلاحاً بغير الدين لا يحلو البقاء
إذا ما الدين ضيعه بنوه على الدنيا على الدنيا العفاء

فيا أيها الآباء والمعلمون ، ويا أيها العلماء والمسؤولون خذوا بأيدي هذه الشبيبة واهدوهم إلى محاسن الدين ، بغرس محبته في قلوبهم ، وتعظيمه في نفوسهم ، بشرح محاسنه وفضائله ، وما امتاز به على غيره ، فقد رسم أعداء الإسلام خططاً ، ووضعوا مناهجاً لصرف بني الإسلام ، وإغرائهم بهذه المدنية الزائفة ، التي معظمها فساد وبلاء .

ياقوم ضعنا وضاع الدين من يدنا لما جعلنا بوجه الدين تشويها

والله المسؤول : أن يأخذ بأيد المسلمين جميعاً ، إلى ما فيه هدايتهم وفلاحهم ، وأن يؤيد بهم دينه وشرعه ، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وقال رحمه الله[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد ، إلى كافة العلماء ، من أساتذة الكليات ، والمعاهد وغيرها ، من مدارس الحكومة ، حفظهم الله ونفع بعلومهم آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : تعلمون وفقكم الله ونفع بكم ، أن هذه النابتة المتربية في المدارس على تنوعها ، هي أمانة تحت أيديكم ، أوجب الله عليكم رعايتها وصيانتها ، بتعليمها العلوم النافعة ، وتربيتها التربية الصحيحة ، فمتى صحت علومهم واستقامت ، أنتجت رجالاً مخلصين لدينهم وبلادهم ، والعكس بالعكس .

فإن العقيدة متى اعتراها شيء من الانحراف ، صارت مصدراً للأخلاق المرذولة ، ومعالجة مثل هذه أصعب بكثير من الانحراف الناشىء عن طغيان الشهوة وحدها ؛ لأن الأول يستهين ببعض محاسن الأدب ، بدعوى أنها ليست من الحسن في شيء ، ويخرج عن حدود المكارم ، بزعم أن هذه الحدود لم تكن على حكمه .

والمغلوب للشهوة وحدها ، قد ينصرف عن الحسنة

---

(١) ونشر في جريدة حراء في ١٣٧٨/٥/٢٧هـ.

إلى السيئة معترف بخطئه ، وينتهك حرمة الحق بدون شك منه على أنه ارتكب جريمة .

ونصيحة هذا وموعظته والتأثير عليه ، أيسر وأبلغ من منحرف العقيدة ، لأن مثل هذا يصيّر الحق باطلاً والباطل حقاً ، فلا حيلة فيه .

وصلاح الأمة وفلاحها ناتج عن صحة أعمالها ، وصحة أعمالها ناتج عن صحة علومها ، فمتى كانت التربية والتعليم جرت على السنن المستقيمة ، آداب وأخلاق فاضلة ، أنتجت رجالاً ذوي نصح وأمانة ، وخبرة ووفاء وصدق وإخاء ، واتحاد في الكلمة ، وإذا كان بخلاف ذلك ، خابت الآمال ، وفسد الدين والدنيا ، وأصبحوا في جهل وبلاء ، وحالة سيئة ، فبالعلوم النافعة الصحيحة يصلح كل شيء وينتظم كل أمر .

فيا أيها العلماء الأجلاء ، والأساتذة الفضلاء ، خذوا بأيدي هذه الناشئة ، واهدوهم إلى محاسن الإسلام ، وغرس محبته في قلوبهم ، بشرح محاسنه وفضائله ، وبيان ما امتاز به على غيره ، فقد رسم أعداء الإسلام خططاً ، ووضعوا مناهج لصد بني الإسلام عن الإسلام ، وإغرائهم بهذه المدنية الزائفة ، التي معظمها شر وبلاء .

فقد ألّفوا في ذلك المؤلّفات العديدة ، والرسائل الكثيرة ، بأساليب مختلفة ، فإنهم قالوا في تربية النشء

الجديد : يجب أن تكون تربيته على العصبية الجنسية ، وإحلال خيالها محل الوجدان الديني ، وجعلها بدلاً من الأخوة الإيمانية ، في قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات : ١٠] .

وفي قوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادّهم ، وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقوله : « المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً » تكون بدلاً من هذه الأخوة الإسلامية : العصبية الجنسية ، والوطنية .

وإن تباينت دياناتهم ليحل مكان الوجدان الديني : العصبية الجنسية ، ولجعلها في المثل الأعلى للأمة ، والفخر برجالها المعروفين في التأريخ ، وإن كانوا المفسدين المخربين ، بدلاً من الفخر برجال الإسلام مثل الخلفاء الراشدين وغيرهم ، من أبطال الإسلام ، الذين شهد لهم التأريخ بالفضل والدين ، والشجاعة والبطولة والسياسة والحكمة .

وما زال أعداء الإسلام مجدين في هدمه ، وتغيير عقائد أهله ، كما قال : « مسيو أتني الأمن الفرنسي » « إن مقاومة الإسلام بالقوة ، لا يزيده إلا انتشاراً ، فالواسطة الفعّالة لهدمه ، وتقويض بنيانه ، هي : تربية بنيه في المدارس ، بإلقاء بذور الشك في نفوسهم ، من عند النِّشئة ،

لتفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون » انتهى .

فهذا : لعلمه قابلية الصغير لما يلقى إليه ، من العلوم الضارة وغيرها ، ولعدم تمييزه بين الصحيح وغيره ، ولأن الضرر الذي يصعب معالجته ، هو : زيغ العقيدة ، فإن زيغها مصدر كل شر وبلاء ، ومصدر كل الأخلاق الرذيلة .

وانظر : إلى ما قاله وزير رئيس إرساليات التبشير ، فقد عقد مؤتمراً في القرن الماضي ، حضره دعاة التبشير ، وهذا نص خطابه ، ليعرف منه مقاصده ومراميه .

قال : « أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان إنه يخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

إني أخبركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالأديان ، لا يبغى غير الحصول على قوته ، وقد اشتد به الفقر ، وعزت عليه لقمة العيش ؛ وآخر : يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها دول المسيحية، للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذه هداية لهم وتكريماً؛ وإن مهمتكم: أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوق لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له تربطه بالأخلاق، التي تعتمد عليها الأمم في حياتها.

وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا، طليعة الفتح الاستعماري، في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به من خلال الأعوام الماضية السالفة خير قيام، وهذا ما هنأتكم عليه وتهنئكم، دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة، إلى أن قال:

إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية، إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين، لا يعرفون الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية.

وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإن تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء.

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب » انتهى .

يشير هذا الخبيث : إلى الحث على تشكيك المسلمين ، وبقائهم حيارى ، خصوصاً النشء الجديد ، وأنهم إن تعلموا ، أو جمعوا مالاً ، أو تبؤوا مركزاً مّا ، ففي سبيل شهواتهم ، ويكونون بعيدين عن معرفة خالقهم ومعبودهم ، وإذا تمّ لهم ذلك أصبح النشء لا يهتم بأي عظيمة في دينه وأمته ، وهذا مما يمهّد الطريق إلى أغراض المستعمرين ، لاستحلال الممالك الإسلامية .

وقد قال زويمل أيضاً ، في كتابه « العالم الإسلامي اليوم » : « يجب تبشير المسلمين بواسطة من أنفسهم ومن بين صفوفهم ؛ لأن الشجرة يجب قطعها بأغصانها ؛ وإن من المحقق أن المسلمين قد نمى في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين ، وأن هذه العلوم ستزاحم العلوم الإسلامية ، وتضعفها من نفوسهم » انتهى .

إن غرض هذا القس وأمثاله ، كسر هنري جونستون ، والمستربلس ، وشاتليه ، وأشباههم ، الذين كتبوا في هذا المعنى ، إنما غرضهم : تربية العقول في عهد نشأتها ، طبق ما يريدون ، من إدخال العلوم الأوربية ، على العلوم

الإسلامية وتنميتها في قلوبهم لينجذبوا بها إليهم ، بتعظيمهم ، وتعظيم آرائهم ، وإخراج المسلم من الإسلام ، أو جعله في حيرة من دينه ، إلى غير ذلك من الأغراض الفاسدة .

فيجب : على العلماء الأجلاء ، والأساتذة الفضلاء : أن يعتنوا بهذا النشء ، بتحذيرهم من قراءة بعض الكتب ، والمقالات ، التي يكتبها بعض تلامذة أوربا ، المنتسبين إلى الإسلام ، وأن يبينوا لهم عظمة الدين الإسلامي ، وما هو عليه من المحاسن والمزايا التي لا يوجد نظيرها في غيره .

كما أن الطلاب النجباء ، إذا لاحت لهم شبهة ، أو أمراً ارتابوا فيه ، يسألون العلماء ، من الأساتذة وغيرهم ، ليكشفوا ما بهم من شبهة ، ويوضحوا ما فيه من اشكال ؛ وإني معتقد أن الأساتذة الأجلّاء ، قائمون بواجبهم ، نحو هذه الناشئة ، فيما يعود عليهم خيره ونفعه في علومهم وأخلاقهم ، بارك الله فيهم ونفع بعلومهم الإسلام والمسلمين ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وقال أيضاً رحمه الله[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى حضرة . . . حفظه الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : اطلعت على كلمتكم في صحيفة القصيم ، في عددها ٩٥ وتأريخ ٨/ ٥/ ١٣٨١هـ تحت عنوان « مبادؤنا الأصيلة » ولعلمي بأن هدفكم الحق ، ورائدكم الإصلاح ، لاحظت على بعض فقرات فيها ، أحببت تنبيهكم عليها .

فمنها : أنكم ذكرتم أن من الواجب الطبيعي ، الخوض في هذه الأمور الهامة . . . إلى آخره .

فنفيدكم : أن الطبيعة لا توجب شيئاً ، ولا واجب إلا ما أوجبه الشرع فقط ؛ ثم إنكم علقتم أملكم بأصحاب الفكر والتوجيه ، ولو قيدتم ذلك بما تقتضيه الشريعة الإسلامية ، أو على الأقل بما لا يخالف الدين الإسلامي ، لكان هو الواجب .

ثم إنكم وضحتم هذا الأمر المهم الذي توجبه الطبيعة - على حد تعبيركم - وهو النظام السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، لبلادنا ؛ ويلاحظ من هذا : حصر الأهمية وشدة الحاجة إلى هذه الثلاث فقط ، ولم تذكروا معها

---

(١) نشر في جريدة القصيم في ٦/ ٦/ ١٣٨١هـ.

أهمية هذا الدين ، وشدة الحاجة إلى التمسك به ، وإلى فهمه فهماً صحيحاً ، وتطبيقه تطبيقاً شاملاً .

فإنه متى فهم وطبق بجميع تعاليمه ، فإنه كاف ، بل هو الغاية في حل جميع المشاكل ، ومن جملتها : النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومنها ، قولكم : الكل يعلم أن باب الاجتهاد مقفول أمام الجميع ، باستثناء القلة القليلة ، التي هي نفسها لا تفعل شيئاً سوى نقل النصوص الفقهية ، التي كتبت من مئات السنين .

فنقول : إن أريد بالاجتهاد هنا مجاوزة الشريعة وتخطيها إلى غيرها ، ووضع النظم المستمدة من سواها ، المأخوذة من الأفكار والعقول التي لا تمشي على الأسس الشرعية ، فنعم ، هذا مقفول عن كل إنسان يدين بالشريعة المحمدية ، ويلتزم بأحكامها ، لكمالها واستيفائها لكل ما يحتاج إليه ، قال الله تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وإن أريد بذلك الاجتهاد : استنباط الأحكام الشرعية ، والنظم السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وتطبيقها على ما يقتضيه الكتاب والسنة ، وأقوال السلف الصالح ، فهذا خلاف الواقع .

فإنه لم يحصر على بعض القلة القليلة ، كما قلتم -

ولله الحمد - بل ولا على طائفة مهما كثرت ، ولا على جيل معين ، ولا في زمن مخصوص ، من حين وفاته ﷺ إلى يومنا هذا .

بل أجمع علماء الشريعة على وجوب العمل بما يقتضيه الكتاب والسنة ، وقبوله ممن أتى به كائناً من كان .

وأما قولكم : باستثناء بعض القلة القليلة ؛ فقد وضحنا : أن هذا خلاف الواقع ، وأنه لم يحصر على طائفة معينة ، وإن كان جمهور الناس أعرضوا عن تعاليم دينهم ، والعمل به ، ولكن لم يحل بينهم وبينه أحد سوى أنفسهم والشيطان .

قال الله تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] نعم : يوجد طوائف وأشخاص ، تمسكوا بهذا الدين أشد من غيرهم ، وهيأهم الله لنصرة دينه ، والذب عنه بحسب استطاعتهم ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ولما جاء من أنه : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ؛ وفي الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تعالى » .

وأما قولكم في هذه القلة التي هي نفسها لا تفعل شيئاً سوى نقل النصوص الفقهية ؛ فاعلم : أن النصوص الفقهية ، المستمدة من الكتاب والسنة ، هي من أفضل ما اشتغل بها ، وصرفت الأنفاس في تفهمها .

والتفقه أمر مفروض على هذه الأمة ، كما قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) [التوبة : ١٢٢] وصح عنه ﷺ أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وأما قولكم : إن هذه القلة لا تأتي بجديد ؛ فهذا الوصف هو الذي جعلهم بهذه المنزلة الرفيعة ، وهو الذي جبل القلوب على مودتهم ، واعتماد أقوالهم ، ولو كانوا يأتون بجديد ، لم تأت به الشريعة ، لضرب بأقوالهم عرض الحائط ، ووجب الرد عليهم ، ودخلوا تحت قوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وأما قولكم : بأن هذه النصوص الفقهية ، مضى عليها مئات السنين ؛ فيفهم منه : أن هذا نقص فيها ، وهذا في الحقيقة يدل على الكمال التام ؛ فإن مرور مئات السنين عليها ، دليل على صلاحيتها وحسنها ، وأنه لا يستطيع أحد نقضها ، ولا الاعتراض عليها جملة ، وإن قدر وجود أخطاء قليلة ، فهذا شيء لا يقدح فيها ، ولا في أهلها ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء .

ولكن العلماء : لا يتفقون على خطأٍ ، لما ورد عنه ﷺ : « أن أمته لا تجتمع على ضلالة » فلو قدر وجود خطأٍ مّا من شخص أو طائفة ، فإن هناك من يبين ذلك الخطأ ، ويوضح الصواب ، ويرده إلى الكتاب والسنة ، لقول الله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] .

وأما قولكم : لا بد أن يكون لنا كلمة في شؤون ديننا ، وأن الدين للجميع وليس وقفاً على أحدٍ دون الآخر ، فهو كما تفضلتم ، ولكن لم يقل أحد بذلك ، ولا أظن أن يقال هذا .

وأما قولكم : هل إذا تركت شؤون غيري لغيري ، سوف يهتم بدراسة أحوالي الاجتماعية والاقتصادية ، وغير ذلك من الشؤون ، إلى آخره ؟! .

فنقول : إن جميع ما أشرتم إليه ، قد أتت به الشريعة الإسلامية ، ووضحه علماؤها ، ولم يبق شيء مشكل في جميع ما ذكرتم ، وقد بينت لنا الأحوال الاجتماعية داخل المنزل وخارجه ، فبينت حق الوالد وابنه ، وما لكل واحد على الآخر ؛ وبينت ما يجب على كل فرد من أفراد الأسرة ، وما يجب له .

وبينت ما للجار وما عليه ، وما للقريب وما عليه ، وما للغني وما عليه ، وما للفقير وما عليه ، وما للوالي وما

عليه ، وما للشعب وما عليه ، وما للمسلم وما عليه ، وما للكافر وما عليه ؛ ولم تترك شيئاً ، حتى بينت حق كل واحد من الزوجين على الآخر ، وبينت ما عسى أن يقع من خلاف بينهما في المستقبل ، ولو حشدنا ما ورد في الأحوال الاجتماعية من الشريعة لبلغ منتهى الكثرة .

وكذلك الأحوال الاقتصادية ، لم تقصر في شيء منها ، بل أتت بجميع ما يحتاج إليه ؛ فأمرت بالاكتساب ، وأمرت بالضرب في الأرض للتجارة ، والسعي في مناكبها ، والبيع والشراء ، والمداينات ، والحراثة ، والمعاملات .

وبينت الحقوق الواجبة في المال ، والواجبة له من الحفظ والصيانة ، فنهت عن التبذير ، ونهت عن التقتير ، وأمرت بالاعتدال في ذلك كلّه ، إلى غير ذلك مما يطول تعداده .

وكذلك الأحوال السياسية ، فبينت حالات السلم ، وحالات الحرب ، وحالات المعاهدة ، وأحكام الجزية ، وبيان من تؤخذ منه ، ومن لا تؤخذ منه ، ومتى يجوز القتال ، ومتى يمتنع ، ومتى يستحب ، إلى غير ذلك من الأمور التي لم تأت شريعة بما أتت به هذه الشريعة المحمدية ، ولم يبق شأن من الشؤون ، إلا وأعطته علماء الشريعة ، العناية الكاملة ، وجميع ما يستحق من البحث ، مستمدين ذلك من تعاليم الإسلام .

لكن يبقى مسألة قد تكون هي المشكلة الوحيدة ، وهي : عدم سؤال الجاهل للعالم ، والله يقول : (فَسْئَلُوْا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [النحل : ٤٣] أو عدم الرضى والانقياد ، لما جاءت به الشريعة ، والله يقول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء : ٦٥] .

وإلا فلو كان من وجد في نفسه شيئاً من الاشكالات ، سأل العلماء عنه ، لوجد عندهم ما يشفي ويكفي ، سواء كانت المسألة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية .

وأما قولكم : إن التطور والأحداث التي تقع ، تحتم المبادرة إلى إعادة النظر في جميع أوضاعنا. . .إلى آخره .

فيقال : ما المراد بالأوضاع ؟ هل هو الوضع الديني ؟ أو الوضع الاجتماعي ؟ أو السياسي ؟ أو الاقتصادي ؟ أو يشمل الكل ، كما يعطيه مدلول كلمة « جميع » ؟

فإنه يفهم منها معنى الإحاطة والشمول ، لا سيما حينما وضحتم بالعبارة التالية ، وهي قولكم : إن النظام الأساسي للدولة كفيل بتحديد كل المعاني التي ننشدها جميعاً ؛ وأنا أعلم أن هناك من يعتقد أن النظام المذكور إذا وجد ، فسوف يخالف تعاليم الإسلام وروحه .

فيا لله العجب : أنحن في شك من ديننا ؟! أنحن في أمر مختلط من وضعنا ؟! أنحن في حيرة من أمرنا ؟! أنحن فقدنا كل المعاني من أنفسنا ، فننشدها كما تنشد الضالة من الحيوان ؟! .

كلّا ، والله ، فإن لدينا شريعة سماوية ، لم يكن مثلها ، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيرها ، وقد أرشدتنا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، وما نحتاجه في جميع أمورنا .

وأما علمكم : بأن هناك من يعتقد أن النظام المذكور يخالف تعاليم الإسلام ، فهو كذلك كما علمتم ، ولا شك أنه يخالفه ، بل الدين الإسلامي يحارب مثل هذا ، ولا يشك في ذلك مسلم ملتزم بمبادئه الشريفة .

وأما دعوتكم : إلى تشكيل هيئة من بلادنا ، والبلاد الإسلامية الأخرى ، ورجال آخرين ... إلى آخره .

فيقال : إننا لسنا في حاجة إلى هذا ، وقد حصل الاتفاق ـ ولله الحمد ـ من جميع علماء الإسلام من حين بعث النبي ﷺ ، إلى وقتنا هذا ، وهم متفقون كلهم على أن نظامهم ، ودستورهم ، هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأنهما كفيلان بكل ما فيه مصلحة البشر ، من أمر الدنيا والآخرة .

وأما الرجال الآخرون ، فكأنه يراد بهم الغير مسلمين ، فيا للمصيبة ، ويا لعدم الثقة بالمبدأ الشريف ، أن نأتي

بأعدائنا ، كي يرسموا لنا خطة سياسية اقتصادية اجتماعية ، طالما حاولوا ونصبوا لنا من أجلها الشباك ، وبذلوا فيها الأموال الطائلة ، وأتعبوا الأبدان الكثيرة في محاولتها ، فنهبها لهم وهباً بلا مقابل ، ونقر أعينهم بها عفواً بلا تعب!!

ومن أين لآراء هؤلاء ، والاتفاق مع الشريعة الإسلامية ، إلا كما يجتمع الماء والنار؟! وقد تكررت عبارتكم بالدعوة إلى القومية العربية .

فنقول : إنه لا دعوة إلا إسلامية ؛ وأن القومية العربية أو سواها من القوميات ، متى فارقت الدين ، ولم تلتزم بما يجب له ، أنه ينبغي محاربتها ، أو الابتعاد عنها حتى ترضخ للإسلام وتدين به .

وقد قطع الله العلائق والمودة بين المسلم والكافر ، ولو كان أقرب قريب ، كما قال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية [المجادلة : ٢٢] .

وأما قولكم : ولا يكفي أن ننتقد الغير في مبادئهم وأنظمتهم ، بدون أن يكون لدينا أنظمة أفضل منها نواجههم بها .

فيقال : أليس عندنا من النظم والمبادئ ، ما هو أفضل وأعلى وأكمل وأشمل ، من كل نظام على الوجود؟ أليس

نظامنا كتاب الله وسنة رسوله ؟ أيستوي نظام من نحاتة الأفكار ، وزبالة الأذهان ، ونظام من حكيم خبير ؟!

أيستوي نظام في كل عصر يلغى ويبدل ، ويضلل واضعه ، ونظام مضت عليه القرون العديدة وهو يتجدد بذاته ؟! أليس عقلاء المستشرقين وبحّاثتهم قد أقروا : أنه لا يوجد نظام على وجه الأرض أجمع وأكمل من نظام الإسلام ؟ ولو سقنا ما بلغنا عنهم لاحتاج إلى صفحات .

ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

وأما قولكم : نواجههم بها ؛ فنقول : لو واجهنا جميع أنظمة العالم بنظامنا ، وجلس الكل مجلس الإنصاف ، والتجرد من الشهوات النفسانية ، لأقروا بفضله ، وظهرت لهم عيوب أنظمتهم وتناقضها ، ولصارت أنظمة العالم بأسره كشمعة وقفت أمام الشمس في نحر الظهيرة ، وهذا التنزل للمواجهة على سبيل الفرض والتقدير ، وإلا فالنظام السماوي أعلى وأرفع ، وأعز من أن يقارن به غيره .

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وأما هذه الصنائع والعلوم ، فلم يدركوها بفضل أنظمتهم ، ولكن باجتهادهم في العمل ؛ فلو أن المسلمين اتبعوا جميع نظامهم ، وعملوا بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) [النساء : ٧١] وبقوله : (وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة) [الأنفال : ٦٠] ، وبقوله عليه السلام : « استعن بالله ولا تعجز » لأدركوا مرادهم ، وعملوا كغيرهم ، وفاقوهم في العمل .

ولكن لم يعملوا بقدر استطاعتهم ، وأخلدوا إلى العجز والكسل ، وهذا شيء ينهى عنه الشرع ، وإلا فما المانع من أن نطبق مدلول هذه الكلمة : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

وأمّا ما ذكرتم من أن هذا العصر وقت التنظيم الحديث ، ليكون الرخاء والتقدم من نصيبنا .

فنقول : إن أريد التنظيم الحديث ، بمعنى المحدث ، في نظامنا الإسلامي ، فلسنا في حاجة إليه ، فالدين كامل لا يحتاج إلى تجديد ، وبكماله كمل لنا كل معنى من المعاني التي نحتاجها ، وقد حصل لنا من الرخاء والطمأنينة التي لا توجد في غير بلادنا ، على حسب ما طبقنا من النظم الشرعية .

وأما التقدم ، فإن أريد به الصناعي ، فهذا لا يحتاج إلا إلى عمل وجد ، وعدم انهماك في الشهوات ، ولم يحصل تقدم لأحد كما حصل لأوائلنا ، الذين تمسكوا بدينهم حق التمسك ، وطبقوا تعاليمه على الوجه الأكمل ، فقد سادوا العالم أجمع ، فلو طبقناه كتطبيقهم ، لوصلنا إلى ما وصلوا إليه .

ومبادؤنا : لا تحتاج إلى صقل وتركيز ـ كما قلتم إنها

تحتاج إلى ذلك ـ فهي الغاية في التركيز ، والغاية في الوضوح والبيان ؛ وقد قال ﷺ : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » .

والله نسأل : أن يهدينا وإياكم إلى صراطه المستقيم ، وصلى الله على من بلّغ البلاغ المبين ، وآله وصحبه وسلم .

وقال أيضاً رحمه الله :

في نقد مساواة المرأة بالرجل على ضوء الإسلام(١)

بيننا اليوم أناس كثير ، يعتقدون مساواة النساء بالرجال ، وأنه يجب لهن ما لهم ، وعليهن ما عليهم ، ولا فرق بين الصنفين في جميع الأحكام ، لأن النساء شقائق الرجال ؛ ولم يقفوا عند هذا الحد .

بل أخذوا ينصرون هذا الرأي ويتعصبون له ، مسفهين رأي من خالفهم من أهل الإسلام ، كأن القوم لم يعرفوا أوامر الإسلام ، ولا قرع آذانهم حكم من أحكامه ؟! فالدين الإسلامي في ناحية ، وهؤلاء المنتمون إليه في ناحية أخرى .

ولا شك أن هذا الرأي رأي خبيث ، بعيد عن مدلولات الكتاب والسنّة ، فاسمع الأدلة من الكتاب والسنّة ، على بعض الفوارق بين الرجال والنساء ، ومفاضلة الصنف الأول على الثاني .

---

(١) نشر في عدد من الصحف المحلية.

الأول : قال الله تعالى : (الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) [النساء : ٣٤] دلت الآية الكريمة بوضوح على أن الرجل هو القائم على أمر المرأة ، والمحافظة على حمايتها ورعايتها .

لما للرجل من قوة المزاج ، والكمال في الخلقة ، ولقوة عقله وصحة نظره في مبادئ الأمور وغاياتها ، ولقدرته على التكسب والتصرف في الشؤون كلها ؛ ومن ثَمَّ كلف الرجال بالإنفاق على النساء ، والقيام برئاسة المنزل ؛ والمرأة تقوم : بوظيفتها الفطرية ، وهي : الحمل والولادة ، وتربية الأطفال ، وهي آمنة في سربها مكفية ما يهمها من نفقتها ونفقة أولادها .

الثاني : قوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) [النساء : ٣] ومن هذه الآية : يتضح أن الله سبحانه وتعالى ، أباح للرجل أن يجمع أربع نسوة ، إذا عرف من نفسه العدل بينهن .

ولا يجوز للمرأة أن يتزوجها أكثر من واحد ، لما في ذلك من اختلاط الأنساب ، والفساد العريض ، وعدم تمكن المرأة من القيام برغبات رجال متعددين في آن واحد ، إلى غير ذلك مما لا يستقيم معه قيام البيوتات ، وانتظام العوائل ، فكيف مع هذا يقال بمساواة النساء بالرجال ؟!

الثالث : قوله تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) [النساء : ١١] وقوله ؛ (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) [النساء : ١٧٦] .

اتضح من هاتين الآيتين : أن للذكر من تركة مورثه مثل ما للأنثيين ، من أخواته ، والحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أن الرجل يأتي عليه وقت يتزوج فيه ، فيولد له الأولاد ، ونفقة هذه الزوجة وأولئك الأولاد ملزم بها ، ومطلوبة منه ، في حين أن منزله مقصد للزائرين .

بخلاف الأنثى فإنه يأتي يوم يضمها إليه رجل يتزوجها ، فيقوم بشؤونها ، والإنفاق عليها ، وعلى أولادها ، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، لا تكلف هي هللة واحدة من مالها الخاص ، ولا يخطر ببال أحد بأن يجعل منزلها مقصده ، لما في ذلك من مثار ظنون ، ومهب ريب وشكوك ، فكيف يقال بمساواة المرأة للرجل والحالة هذه ؟! .

الرابع : قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) [البقرة : ٢٨٢] .

دلت الآية الكريمة : أن الشهادة متى وجد لها رجلان ، كان أكمل ، وأحفظ وأضبط ، فإذا لم يكن إلا

رجل واحد ، فلا يقوم مقام الرجل الآخر إلا امرأتان ، لضعف حفظ المرأة ، وعدم كمال ضبطها .

أو لأن الرجل أقوى عقلاً من المرأة ، كما تدل له الآية ، وكما يؤيده الواقع ، ويشهد له الحس ، في حين أن كثيراً من الأحكام ، لا تقبل فيه شهادة النساء ، كالحدود ، والقصاص وغيرها ، فكيف مع هذا يقال بمساواة النساء بالرجال ؟! .

الخامس : من السنة ما رواه البخاري ، وغيره ، من قوله ﷺ في حديث : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن . . . » الحديث .

فهذا نص صريح في نقصان المرأة ، في عقلها ، ودينها ، عن الرجل ، لضرورة أنه لا يتساوى من يصلّي بعض حياته ، بمن يصلّي كل حياته ، ولا من يصوم شهر رمضان من أوله إلى آخره ، بمن لا يصوم إلا البعض .

كما لا تتساوى شهادة الرجل ، لكمال عقله وقوة ضبطه ، بمن شهادتها نصف شهادته ، لضعف عقلها وعدم كمال حفظها ، فمن ساوى بين الرجل والمرأة ، فقد جنى على الإسلام ، وسلك سبيل الاعوجاج .

السادس : روى أحمد ، والبخاري وغيرهما ، من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال : لما هلك كسرى ، قال النبي ﷺ : « من استخلفت فارس عليها ؟

قالوا : ابنته ؛ قال : لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » .

فهذا الحديث : ينص على أنه لا يجوز أن تكون المرأة في مركز الخلافة ، وأن الفلاح منفي عنهم بتولية المرأة ، ومتى تخلف الفلاح عنهم ، قارنهم الخذلان والخيبة ؛ فاتضح أن هذا المنصب الهام مخصوص بالرجال .

بل صرح أهل العلم : أن المرأة لا يجوز توليتها القضاء ، ولا أن تكون إمامة في الصلاة ، ولا مؤذنة ، ولا خطيبة ، وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

ما للنساء وللكتابة والإمامة والخطابة ... هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة

السابع : روى الشيخان ، وغيرهما ، أن النبي ﷺ قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم » دل الحديث على منع خلوة الرجل بالمرأة ، إلا إذا كان معها محرم ، من زوج وغيره ، والرجل لا خوف عليه إذا خلا به رجل آخر ، لأنه ليس موضعاً للمعنى الذي من أجله يميل إليه الرجل .

بخلاف المرأة ، فإنه لا يؤمن عليها ، لقوة الداعي منه ومنها ، كما في الحديث الآخر : « لا يخلون رجل بامرأة ، إلا وثالثهما الشيطان » .

فكيف يقال بمساواة المرأة للرجل ؟! هذا دعاية أوربية ، قام بها أعداء الإسلام ، حتى استفحل أمرها ،

وعظم خطرها ، فدعا إليها الكثيرون ممن أظلمت قلوبهم ، ولم يشموا رائحة الإيمان ، من المنتمين إلى الدين الإسلامي .

الثامن : روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ، أن النبي ﷺ قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه » أي : أنه لا يجوز للمرأة أن تصوم تطوعاً ، وزوجها حاضر ، إلا بإذنه ، لأن صومها نفل ، وطاعتها له في مقصوده منها فريضة عليها ، إذاً يكون صومها جريمة ارتكبتها ، لا طاعة مثابة عليها .

التاسع : جاء في حديث معاذ ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « دية المرأة نصف من دية الرجل » وهو مجمع عليه بين المسلمين ؛ فاتضح مما تقدم بطلان قول من قال : بأن النساء يساوين الرجال في سائر الأحكام ، وهذه الدعاية الشنيعة ، المخالفة للكتاب والسنة ، يعرف كلٌّ فسادها ببداهة العقل .

والنصوص الدالة على الفوارق ، بين النساء والرجال ، وعدم مساواة الصنفين كثيرة جداً ، كحديث : « التسبيح للرجال والتصفيق للنساء » وحديث : « ليس على النساء حلق ، وإنما يقصّرن » وحديث : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وحديث : « عليكن بحافات الطريق » وحديث : « لا

تسافر المرأة إلا مع ذي محرم » وحديث : « خير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » وحديث : « صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها معي » وحديث : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعته ، إلا على أربعة » ذكر منهم المرأة .

وحديث : « العقيقة عن الغلام شاتان ، وعن الجارية شاة » وحديث : « عتق المرأتين في الفضل ، يعادل عتق الذكر » إلى غير ذلك من النصوص التي لا تحصى .

فهل تساوي المرأة الرجل فيما تقدم بيانه ، في الأحاديث السابقة ؟ أم يضرب بهذه النصوص عرض الحائط ؟ ويقال : نحن في القرن العشرين ، نسير مع العصر ، ويكفينا مجرد الانتساب إلى الإسلام ، مع نبذ أوامره ونواهيه ، كما عليه دعاة هذه المذاهب الهدامة ، وقى الله شرهم ، وأراح الإسلام والمسلمين منهم .

هذا : وأسأل الله : أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، ويوفق الأمة الإسلامية للتمسك بتعاليم دينها الحنيف ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وقال **الشيخ** : عبد الله بن سليمان بن حميد :

وعزكم وعز بلادكم في الإسلام يا مسلمون[1]

من كان يريد العزة فلّله العزة جميعاً ، فالتمسوا العزة يا مسلمون من هذا السبيل ، وابتغوها من هذا الوجه ؛ واعلموا : أنه هو السبيل المستقيم ، والمنهاج القويم ، الذي سلكه أوائلكم السالفون ، وعض عليه بالنواجذ الصالحون ، واستغنوا به عما سواه من سبيل .

واكتفوا به عن كل نظام أجنبي دخيل ، فدانت لهم أمم العالم ، وذلّت أمامهم الدنيا ، وملكوا أطراف المعمورة ، وسيقت لهم خيرات الأرض ، حتى قال بعض ملوكهم ، وقد رأى يوماً سحابةً : سيري كيف شئت ، وأمطري أنّى شئت ، فسيأتيني خراجك .

وهكذا : كانت نتيجة التمسك بالدين ، والعمل على إعلاء كلمة الله ، فهم طبقوا الإسلام في أنفسهم قولاً وعملاً ، وارتضوه عقيدة وديناً ، وجاهدوا في سبيله أعظم الجهاد ، ودعوا إليه في الحاضر والباد ، يطلبون بذلك كله رضا الله ، ويلتمسون من وراء ذلك ثواب الآخرة ، فأعطاهم الله تعالى الملك العظيم الواسع ، جزاءً لهم في الدنيا منه وفضلاً ، وما أعده لهم في الآخرة خير وأبقى .

---

(١) في مجلة راية الإسلام.

فانهلوا أيها المسلمون من حياض الإسلام ، وتمسكوا بتعاليمه ، وتأدبوا بآدابه ، وتخلقوا بأخلاقه ، واعملوا بشرائعه ، واتبعوا محمداً ﷺ في هديه تسعدوا وتسعد بلادكم ، وتكونوا كأسلافكم سادة وقادة .

فالتمسك بالدين هو الرقي والفلاح ، ولا تشرّقوا ولا تغرِّبوا ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، فتدمروا أنفسكم وبلادكم ، وتخسروا دنياكم وأخراكم ، واحذروا ـ يا مسلمون ـ دعاة السوء ، وشياطين الإنس والجن ، الذين لا يقصِّرون في العمل على تدميركم .

ولا يفتؤون يواصلون الحرب الخبيثة لاجتثاث أخلاقكم ، بإرسال المجلات الداعرة ، والصحف الفاجرة ، والإذاعات الملحدة الممتلئة بالنيل من الدين ورجاله ، والطعن في الإسلام ونظامه ، ويوهمون الشباب أن التمسك بالدين جمود ورجعية ، وأن الانحلال والإلحاد تقدم ومدنية .

وقد تعس هٰؤلاء الشياطين ومن سلك سبيلهم ، وانتكسوا ، وإذا شيكوا فلا انتقشوا ، فهذه بلادهم مسرح للجرائم الخلقية ، وميادين الشرور الدينية والدنيوية ، فلا يأمن الإنسان منهم على نفسه ولا يطمئن على ماله وعرضه .

وبلادنا : بحمد الله تعالى آمنة مطمئنة بسبب تنفيذ تعاليم الدين ، والتمسك بشرائع الإسلام . فيجب على شبابنا

العقلاء : أن يعضوا بالنواجذ على تعاليم الإسلام ، ويعرفوا قدره وفضله ، فلا يغيروا فيغير الله عليهم : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد : ١١] .

ولا تظنوا : أيها المسلمون : أن تقليد الأجانب ، في زيهم وأحوالهم المخالفة للإسلام ، يرفع قدركم ، ولا أن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين يعظم شأنكم ، فإن الله الآخذ بنواصيكم ، يقول : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) [النساء : ١٣٨ ، ١٣٩] .

وقال الشيخ : صالح بن محمد اللحيدان :

التعليم ودروس الدين[١]

إن مما لا شك فيه لعاقل : انتشار التعليم في شتى بقاع المملكة ، حتى شمل القرى النائية والبادية ، وقد يندر أن تجد شاباً ، لا يحسن القراءة والكتابة ، إلا أنه مع هذا التقدم الشامل ، قد سرت في الناس موجة شر ، تنذر بخطر كبير ، إن لم يتدارك أمرها ، ويقضى على بذور السوء في مهدها ، ويحسن المنهج الذي يدرس .

ويعتنى بالمادة التي طرأ عليها التهذيب والتشذيب ،

---

(١) في مجلة راية الإسلام، جمادى الأولى سنة ١٣٨١هـ.

وهي مادة الدين ، من قرآن وحديث ، وفقه وتوحيد وتفسير ، وما يتبع تلك العلوم ويخدمها من علوم العربية ، إذ إن التعليم في البلاد ، يتسع في رقعته وموادّه ، إلا أن اتساع المواد ، يكون في أغلب الأحوال ، على حساب دروس الدين .

فكلما اخترع درس ، نقصت دروس الدين لإيجاد محل لذلك الدرس الجديد ، حتى صار الطالب يتخرج من المرحلة الإعدادية ، وهو لا يعرف إلا أسماء المواد ، فدراسته لمواد الدين سطحية .

ودرس الدين ثقيل على نفوس الطلاب ، وذلك لما يكتنفه من مزاحمة ، من دروس يحسنها أصحابها ويمجدونها ، ويسبغون عليها من صفات الكمال ، ما يجعلها ذات الفائدة الكبرى والمهمة العظمى في الحياة .

إننا في بلد يحق له أن يسمى بالبلد الإسلامي الأول ، إذ إن تعاليم الإسلام لا تطبق في بلد كما تطبق فيه ، وإلى الآن والدستور الشامل في هذا البلد ـ والحمد لله ـ دستور الإسلام .

فينبغي لنا الاعتناء بالتربية الإسلامية ، وتحسين الإسلام وأحكامه ، في نفوس الناشئة ، إذ قلوبهم خالية يمتلكها ما سبق إليها ، فإن كان السبق للتعاليم المنافسة لعلوم الدين ، امتلكت قلوب الشباب ونفوسهم ، حتى يصبح ما عداها

مستهجناً عتيقاً ، لا يليق بالشباب المثقف المتحرر ، بل هو من صفات عتقاء التفكير والأخلاق .

وينتج عن ذلك انحلال في العقيدة وفساد في الأخلاق ، وفوضى في التفكير ، ثم تصبح الكلمة لهٰؤلاء الجنس من الناس ، إذ هم المتعلمون التعليم العصري الحر ، ويكون بيدهم نتيجة لذلك القول والفصل ، فتضيع البلاد ، ويختل نظام الإسلام فيها ، والسعيد من وعظ بغيره .

ونظرة واحدة إلى كثير من البلاد الإسلامية تعطينا صورة لما يمكن أن يحدث إن لم يعالج بحكمة وحزم ؛ إن الروح الإسلامية تكاد تكون معدومة في شتى مواضيع الدراسة ، ويندر أن نجد من يعتني بهذه الناحية ، أو يوليها جانباً من الاهتمام .

حتى من يناط بهم تدريس المواد الدينية ، لا يشغلون أنفسهم إلا بتلقين الطلاب ؛ تلك المواد جافة صلبة ، ولا يجهدون أنفسهم بالدعوة إليها ، وتبيين محاسن الإسلام ، وكمال نظامه ، واعتنائه بجميع شئون الحياة ، وسمو تشريعه على كل نظام .

ففي بلادنا وغيرها تضعف روح الإسلام ويخف سلطانه على النفوس عند المتعلمين ، ويتسع هذا الضعف ويخف ذلك السلطان بقدر ما يتسع التعليم وتنتشر المدارس ، وما

ذلك إلا بسبب إهمال رجال التعليم لتربية الإسلام ، وترك الروح المعنوية تذبل وتجف .

وزيادة ما يزاحم الدروس الدينية مما أضعفها وأضعف نتائجها ، وجعل الطلاب ينظرون إليها شزراً ، ويحسون بثقل درس الدين وصعوبة الاستماع إليه ، حتى إن بعضهم يتحين الفرص للخروج عن الفصل ، إذا أتت هذه الدروس الثقيلة على نفسه ، مما جعل مدرسي المواد الدينية ، يجدون مشقة كبيرة ، ويلاقون صعوبات كثيرة في إنجاح مهمتهم .

فلا بد من عمل حاسم ، يقضي على الشر قبل استفحاله - وقد بدأ يستفحل - ويعالج الأمر بعلاجه النافع ، وذلك بتحسين وضع التعليم الديني ، وتقوية جانبه ، والاهتمام بأمره ، باختيار المدرس الصالح ، الذي يؤمن بما يلقي من دروس ، فإن من لا يؤمن بالمبادئ التي يدرسها ، لا يرجى لتدريسه ثمرة ، وكذلك من يخالف فعله ما يحمله من علم .

فإن الأخلاق يجب أن يهتم بها قبل غزارة المادة ، فإن من يدرس الصلاة وواجباتها ووجوبها ، ثم يتهاون بها ، فإن الطلاب على أثره يعملون ، ولقد اهتمت وزارة المعارف ، وجعلت دروس الدين ولغته ، مادة أساسية ، من لم ينجح فيها فلا نجاح له ، إلا أن هناك جوانب يحسن الاعتناء بها ؛ وهي :

اختيار من يدرس هذه المواد ، وجعل مواد الدين تحسب نمرها في المجموع الكلي ، لمن يراد ابتعاثهم ، كما ينبغي ألا ينظر لقوة الطالب المبتعث للخارج ، إلا إذا كان معروفاً بالمحافظة الشديدة على شعائر الإسلام وآدابه .

وأن يشعر الطلاب : أن من يحفظ عنه إخلال ببعض النواحي الدينية ، فسيكون لهذا دخل في عدم نجاحه ، وسينظر إليه بأنه قاصر عن زملائه ، وإن تفوق في المعلومات .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن اعتناءنا بالقرآن ، وعلومه وآدابه ، كدولة مسلمة ضعيف جداً ، فالقرآن الذي هو أقوى شيء وأقدره على تكوين العقول الحية ، وتهذيب النفوس والأخلاق ، لا يقرأ إلا في المدارس الابتدائية ، قراءة مهلهلة .

ثم يخرج الطالب إلى القسم الثانوي ، ويخرج منه ، وقراءة كتاب لأحد الأدباء العصريين ، أسهل عليه من قراءة جزء من القرآن ، لبعد العهد به ، وعدم تمكنه منه ، ولأن ذلك الكتاب وجد من يدعو له ، ويمجده ويحسنه ، حتى يظن البعض : أن ما بينه وبين الاتصاف بالأديب ، إلا أن يكرر ذلك الكتاب مرات ، حتى يصبح منشئاً بليغاً .

ولو كتب موضوعاً ، وعرضت له بعض الآيات ،

لأخطأ في كتابتها ؛ وهذا يدل على مبلغ العناية بهذا الكتاب المعجز ؛ أما السنّة المطهرة التي تفسر القرآن ، وتبين مراميه ، وتدل على كنوزه ، فيمرون عليها مر الكرام ، لا يثقلون عليها بالدرس والتمحيص ، ولا يغوصون على كنوزها ، ولا يلتمسون منها العون على حل مشاكل الحياة ، حتى صارت أقوال طه حسين وأضرابه ، متداولة بين الشباب ؛ بينما أقوال سيد البشر لا تنبس بها شفة بين هذا الصنف من الناس ، الذين هم يرجون لكل خير .

أما سيرة رسولهم ، وتأريخ حياة أصحابه ، وحياة رجال الإسلام ، فهي لا تقاس بشيء أمام ما تقدم ، من القرآن والسنة ، بل الذِّكر لنابليون وأشباهه ، ولمفكري بني جلدته ممن دأبوا على تحطيم كيان المسلمين .

ولقد بلغ الأمر إلى درجة : أنك إذا سمعت بين الشباب ثناء على شخص مّا ، بأدبه وأخلاقه ، وحسن ذوقه ، تيقنت أنه خال من الأخلاق الإسلامية ، قليل المعرفة بمعاني كتاب ربه ، جاهل حتى بأسماء كتب السنة ، التي تحوي أقوال هادي البشرية ، بالهداية الإلٰهية ، منحرف في تفكيره ، ومعطل لشعائر دينه ، فلا حول ولا قوة إلا الله .

إن رجال التعليم ، عليهم واجب كبير ، وحمل ثقيل ، ومسؤولية عظمى ، فبيدهم زمام الأمر ، وهم الذين يستطيعون بتوفيق الله : أن يحفظوا على الأمة أخلاقها

وآدابها ، بتشجيعهم لأهل الخير ، واحترامهم وتقديرهم ، وإشعار الآخرين أنه لا كرامة ولا تقدير ، لمن لم يحافظ على كرامة هذا الدين ، ولم يقدر شعائره .

ويجابهوهم بذلك ، ويصارحوهم به ، وأعني بذلك المشائخ ، الذين لهم السلطة التامة على التعليم والمتعلمين ، رئيس المعاهد والكليات ، ونائبه ، ووزير المعارف الذي هو أوسع دائرة وأكبر مسؤولية ، وأعظم خطراً ، إذ التعليم الشامل هو تابع لوزارته .

فلا بد من عمل الحيطة ، وتقريب أهل الخير والصلاح ، وإكرامهم ، وإشعار الآخرين بأننا لا نحترم ، إلا من يجتهد في احترام هذا الدين ، ويعمل على غرس حبه في نفوس الآخرين ، كما يراد من الجميع العناية التامة ، في إسناد وظائف التدريس ، إلى من يخدمها بأمانة المسلم ونصح المسلم .

ويشعر من يستقدم للتدريس ، إلى أنّ من ضبط عليه إخلال بالسلوك وإظهار لما يتنافى مع الإسلام ، فإن مصيره الإبعاد ، إن كان من خارج البلاد ، أو الفصل من الوظيفة إن لم يكن كذلك .

فإن المدرسين قد غيروا أخلاق الناشئة ، إما بالدعوة السيئة باللسان ، وإما بدعوة التقليد بأعمالهم ، نسأل الله أن يوفق رجال التعليم ، في بلادنا ، وجميع البلاد الإسلامية ،

إلى الاعتناء بعلوم الإسلام ، والدعوة إليه ، وتقوية جانبه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الفصل الرابع

وأعظم أسباب هذا التبرج المشين : استجلاب أعداء الدين ، فأفسدن الكثير من نساء المسلمين ، وأعجز من له غيرة على محارمه ، أن يسلك بهن السبيل المستقيم المستبين ، وتقدم قول الملك عبد العزيز ، رحمه الله في أمر اختلاط النساء ، بدعوى تهذيبهنّ وفتح المجال لهن . . .إلخ[١] .

وقال الشيخ : محمد بن إبراهيم وغيره من المخلصين ، في خطابهم الموجه لولاة الأمور[٢] توظيف المرأة في الأعمال ، التي تدعوها إلى مخالطة الرجال ، كالإذاعة ، والخدمة الاجتماعية ، وخدمة الرجال في الطائرات ، وأشباه ذلك ، يفضي إلى مفاسد كثيرة .

اعلم وفقك الله : أن الله جل وعلا ، الذي خلق الذكر والأنثى ، جعل بينهما فوارق طبيعية ، لا يمكن إنكارها ، وسبب ذلك الاختلاف الطبيعي ، جعل لكل منهما خدمات يقوم بها للمجتمع الإنساني ، مخالفة لخدمة الآخر .

---

(١) في الجزء الرابع عشر صفحة ٤٠٣.

(٢) وتقدم أوله في الباب الثالث ج١٥، ص١٠٣ ـ ١١١.

اعلم أولاً : أن الذكورة كمال خلقي ، وقوة طبيعية ؛ والأنوثة نقص خلقي ، وضعف طبيعي ، وعامة العقلاء مطبقون على ذلك ؛ ولذلك تراهم ينشؤون الأنثى في أنواع الزينة ، من حلي ، وحلل ، كما قال تعالى : (أو من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين) [الزخرف : ١٨] .

والتنشئة في الحلية إنما هي لجبران النقص الخلقي الطبيعي ، الذي هو الأنوثة ، بخلاف الذكر ، فإن شرف ذكورته وكمالها ، بغنية عن الحلى والحلل .

وما الحلى إلا زينة من نقيصة   يتم من حسن إذا الحسن قصرا
وأما إذا كان الجمال موفراً   كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

ولأجل : أن الذكورة كمال وقوة : جعل الله هذا الكامل في خلقته ، القوية بطبيعته ، قائماً على الناقص خلقة ، الضعيف طبيعة ، ليجلب له من النفع ، ما يعجز عن جلبه لنفسه ، ويدفع عنه من الضر ، ما يعجز عن دفعه عن نفسه (الرجال قوامون على النساء) الآية [النساء : ٣٤] .

ولكون قيامه عليها ، يقتضي دفع الإنفاق والصداق - فهو يترقب النقص دائماً ، وهي تترقب الزيادة دائماً - آثره عليها في الميراث ، لأن إيثار مترقب النقص ، على مترقب الزيادة ، ظاهر الحكمة ، وذلك من آثار ذلك الاختلاف الطبيعي بين النوعين .

ومن آثاره : أنه تعالى جعل المرأة حرثاً للرجل

(نساؤكم حرث لكم) الآية [البقرة : ٢٢٣] فهو فاعل ، وهي مفعول به ، وهو زارع ، وهي حقل زراعة ، تبذر فيه النطفة ، كما يبذر الحب في الأرض ، وهذا محسوس لا يمكن إنكاره ، لأن الازدراع مع الرجل .

فلو أرادت المرأة أن تجامعه ، لتعلق منه بحمل وهو كاره ، فإنها لا تقدر على ذلك ، وينتشر إليها ؛ بخلافه ، فإنه قد يحبلها وهي كارهة ، كما قال أبو كبير الهذلي في ربيبه : تأبط شراً[1] :

مِمَّن حَمَلْنَ بِه وهنّ عواقد حُبُكَ النِّطاق فشَبَّ غير مهبَّلِ

حملت به في ليلة مزءودة كرهاً وعقد نطاقها لم يحلل

ومن أجل هذا جعل الله الطلاق بيده ، لأن إرغام الزارع على الازدراع ، في حقل لا يريده ، مخالف للحكمة ؛ ولأجل ذلك الاختلاف الطبيعي ، قال الله تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ضيزى) [النجم : ٢١ ، ٢٢] .

فلو كانت الأنثى معادلة للذكر ، في الكمال الطبيعي ، لكانت تلك القسمة في نفسها غير ضيزى ، لأن قسمة الشيء إلى متساويين ، ليست في ذات نفسها ضيزى ، وإن كان

---

(١) وانظر صفحة ١٩٤ ، ج٨ من خزانة الأدب وما بعدها إن شئت .

ادعاء الأولاد لله من حيث هو ، فيه : من أشنع الكفر وأعظمه ما لا يخفى .

وقال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) الآية [النحل : ٥٨، ٥٩] .

فلو كانت الأنثى معادلة للذكر في الكمال الطبيعي ، لما ظهر وجه المبشر بها مسوداً وهو كظيم ، ولما توارى من القوم ، من سوء تلك البشارة ، ولما أسف ذلك الأسف العظيم ، على كون ذلك المولود ليس بذكر .

ومن آثار ذلك الاختلاف الطبيعي : أن الله تعالى جعل شهادة امرأتين في الأموال كشهادة رجل (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) الآية [البقرة : ٢٨٢] .

فالله الذي خلقهما ، وأحاط علماً بما جبلهما عليه ، وما أودع فيهما من حكمة ، ولو لم يجعل الرجل أكمل من المرأة ، لما نزّل امرأتين منزلة رجل واحد ، لأن تفضيل أحد المساويين ليس من أفعال العقلاء ، وإجراء خالق السماء جل وعلا .

وقد جاء الشرع الكريم بقبول شهادة الرجل ، في أشياء لا تقبل فيها شهادة النساء ، كالقصاص والحدود ، ولو كانا متماثلين في الكمال الطبيعي ، لما فرق الحكيم الخبير بينهما .

ولأجل هذا الاختلاف الطبيعي ، وقعت امرأة عمران مشكلة من نذرها ، في قوله : (إذ قالت امرأة عمران ربّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً) الآية [آل عمران : ٣٥] لما ولدت مريم .

ولو كانت ولدت ذكراً لما وقعت في هذا الإشكال المذكور في قوله : (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) [آل عمران : ٣٦] وتأمل قوله في هذه الآية : (وليس الذكر كالأنثى) فإنه واضح في الفرق الطبيعي .

ومن الفوارق الظاهرة بينهما : أن المرأة الأولى ، خلقت من ضلع الرجل الأول ، فهي جزء منه ، وهو أصل لها (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) الآية [النساء : ١] .

ولذا كانت نسبة الأولاد إليه لا إليها ، وكان هو المسؤول عنها في تقويم أخلاقها (الرجال قوامون على النساء) الآية [النساء : ٣٤] وقوله : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) الآية [التحريم : ٦] وهو المسؤول عن سدّ خلاتها .

ولأجل هذا الاختلاف الطبيعي ، والفوارق الحسية والشرعية بين النوعين ، فإن من أراد منهما أن يتجاهل هذه الفوارق ، ويجعل نفسه كالآخر ، فهو ملعون على لسان

رسول الله ﷺ ، لمحاولته تغيير صنع الله ، وتبديل حكمه ، وإبطال الفوارق التي أودعها فيهما .

وقد ثبت في صحيح البخاري : أن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء ؛ ولو لم يكن بينهما فرق طبيعي عظيم ، لما لعن ﷺ المتشبه منهما بالآخر .

ومن لعنه ﷺ ، فهو ملعون في كتاب الله ، لقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية [الحشر : ٧] كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ولما جهلت ، أو تجاهلت فارس هذه الفوارق ، التي بين الذكر والأنثى ، فولّوا عليهم ابنة ملكهم ، قال ﷺ : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ولو كانا متساويين لما نفى الفلاح ، عمّن ولّى أحدهما دون الآخر .

وقد يفهم من هذا الحديث الصحيح : أن تجاهل الفوارق بين النوعين من أسباب عدم الفلاح ، لأن قوله : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » واضح في ذلك .

والله جل وعلا : جعل الأنثى بطبيعة حالها ، قابلة لخدمة المجتمع الإنساني ، خدمة عظيمة ، لائقة بالعرف والدين ، ولا تقل أهميتها عن خدمة الرجل ، فهي تحمل وتعاني آلام الحمل مدة ، وتنْفس ، وترضع ، وتصلح جميع شؤون البيت ، فإذا جاء الرجل من عمله ، وجد أولاده

الصغار محضونين ، وجميع ما يلزم مهيأ له .

فإن قالوا : هي محبوسة في البيت كالدجاجة ؛ قلنا : لو خرجت مع زوجها لتعمل كعمله ، وبقي أولادها الصغار ، وسائر شئون بيتها ليس عند ذلك من يقوم به ، لاضطر زوجها أن يؤجر إنساناً يقوم بذلك .

فيحبس ذلك الإنسان في بيتها كالدجاجة ، فترجع النتيجة في حافرتها ، مع أن خروجها لمزاولة أعمال الرجال ، فيه من ضياع الشرف والمروءة ، والانحطاط الخلقي ، ومعصية خالق السماوات والأرض ما لا يخفى .

فإن المرأة : متاع ، هو في الجملة خير متاع الدنيا ، وهو أشد الأمتعة تعرض لخيانة الخائنين ؛ وأكثر من تخرج المرأة بينهم اليوم ، فسقة لا ورع عندهم ، فتعريضها لنظرهم إليها نظر شهوة ظلم لها ، لأنه استمتاع بجمالها مجاناً ، على سبيل المكر والخيانة ، والخائن يتلذذ بالنظر الحرام تلذذاً عظيماً .

قال أحدهم :

قلت اسمحوا لي أن أفوز بنظرة ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

وكما أنه ظلم لها ، فهو مخل بالمروءة والدين والشرف ؛ والعجب كل العجب : ممن لا يغار على حرمه ، مقبلة مدبرة في غير صيانة ولا ستر بين الفسقة ، بدعوى التقدم والحرية .

وما عجب أن النساء ترجلت   ولكن تأنيث الرجال عجاب

ومن المعلوم الذي لا نزاع فيه : أن جميع الأقطار التي صارت فيها النساء ، تزاول أعمال الرجال ، انتشر فيها من الرذائل والانحطاط الخلقي ، ما يعرق منه الجبين .

إن للعار فحشها موبقات   تتقى مثل موبقات الذنوب

فقد راعى الشرع المطهر ، الفوارق التي ذكرنا ، في أمور كثيرة ، كما قدمنا في الشهادة ، والميراث ، وقيام الرجل على المرأة ، والطلاق ، وكتولي المناصب .

فإن المرأة : لا يصح شرعاً ، أن تساوي الرجل في تولي المناصب ، ومن أوضح الأدلة على ذلك : الحديث الصحيح الذي قدمنا ، وهو قوله ﷺ : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » فإن علة عدم فلاحهم ، كون من ولّوه امرأة .

وقد دل مسلك العلة المعروف : بمسلك الإيماء والتنبيه ، على أن علة عدم الفلاح ، في هذا الحديث الصحيح ، هو أنوثة المولى ، وضابط مسلك الإيماء والتنبيه - المحتوي على جميع صوره - هو : أن يقترن وصف بحكم ، في نص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، على وجه لو لم يكن فيه ذلك الوصف علة لذلك الحكم ، لكان الكلام معيباً ، عند العارفين بأساليب الكلام .

فلو لم يكن علة عدم الفلاح ، في الحديث المذكور ،

كون المولى امرأة ، لكان الكلام معيباً ، ولكان ذكر المرأة حشواً لا فائدة فيه ، وكلام من أوتي جوامع الكلم منزه عن ذلك .

وهذا المسلك : لا خلاف في إفادته علة الحكم بين العلماء ، وإنما خلافهم فيه ، هل هو من قبيل النص الظاهر أو الاستنباط ، كما هو مقرر في محله ؟ .

ويفهم من دليل خطاب الحديث المذكور ـ أعني مفهوماً مخالفته ـ أن المولى لو كان ذكراً ، لما كان ذلك علة النفي للفلاح ، وهو كذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على الفرق بين الرجال والنساء ، في تولّي المناصب .

ومن أدلة ذلك أيضاً : النصوص الدالة على منع اختلاط الرجال بالنساء ، لأن المرأة الموظفة ، وظيفة لا تختص بالنساء ، لا بد أن تخالط الرجال بمقتضى طبيعة وظيفتها ؛ ومن تلك النصوص ، قوله تعالى : (وإذا سألتموهن متاعاً فَسْئَلُوْهُنَّ من وراء حجاب) [الأحزاب : ٥٣] فالأمر بكون سؤالهنّ من وراء حجاب : دليل واضح على لزوم الحواجز ، وعدم الاختلاط .

فإن قيل : هذه الآية الكريمة خاصة بأزواج النبي ﷺ ، كما هو مقتضى السياق ، وكما روي عن بعض أهل العلم ، فلا تشمل غيرهنّ من نساء المؤمنين .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : هو : ما تقرر في الأصول من أن العلة قد تعيِّن معلولها ، وذلك مجمع عليه في الجملة ؛ ومن أمثلة صوره المجمع عليها : قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » فإن المسلك المتقدم ، الذي هو مسلك الإيماء والتنبيه ، قد دل أيضاً : على أن علة منع الحاكم من القضاء ، في هذا الحديث الصحيح ، هي : الغضب .

إلا أن هذه العلة ، التي هي الغضب عممت معلولها ، وهو نهي الحاكم عن القضاء في كل حالة مشوشة للفكر ، كالجوع والعطش المفرطين ، والسرور والحزن المفرطين ، والحقن والحقب ، المفرطين ، ونحو ذلك ، لأن تشويش الفكر المانع من استيفاء النظر في الحكم غير الغضب .

وإيضاح ذلك في الآية التي نحن بصددها : أنه جل وعلا لما قال : ﴿ فَسْئَلُوْهُنَّ من وراء حجاب ﴾ وبين علّة ذلك المشتملة على حكمته ، فقال تعالى : ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ ﴾ .

فبين أن العلة في ذلك ، هي طهرية قلوب النوعين ، والتباعد عن دواعي الريبة وقذر القلوب ؛ ولا شك أن هذه العلة تشمل جميع نساء المؤمنين ، لأنهنّ يطلب في حقهنّ طهارة قلوبهن وطهارة قلوب الرجال من الميل إلى ما لا ينبغي منهنّ .

فليس لقائل أن يقول : هذا الأدب الكريم السماوي ، المقتضي المحافظة على الشرف والدين ، وطهرية القلوب من الميل إلى الفجور ، يجوز إلغاؤه وإهداره ، بالنسبة لغير أزواج النبي ﷺ من نساء المؤمنين .

لأن طهارة القلب ، ومجانبة أسباب الرذيلة ، أمر مطلوب من الجميع بلا شك ، مع أن النفوس أشد هيبة لأزواج النبي ﷺ من غيرهن ، لأنهن أمهات المؤمنين .

الوجه الثاني : أن الأصل المقرر عند العلماء ، المؤيد بالدليل ، هو استواء جميع الناس في أحكام التكليف ، ولو كان اللفظ خاصاً ببعضهم ، إلا ما جاء النهي مصرحاً بالخصوص فيه ، ولذلك : فجميع الخطابات العامة ، يدخل فيها النبي ﷺ نفسه ، وأحرى غيره ؛ وما ذلك إلا لاستواء الجميع في الأحكام الشرعية ، إلا ما قام عليه دليل خاص .

فقد سأل الصحابة النبي ﷺ ، فأجابهم بما يتضمن ذلك ، فإنه ﷺ لما قال : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » فكأنهم يقولون له : أأنت داخل معنا في هذا العموم ؟ وهو يجيبهم بنعم ، وما ذلك إلا لاستواء الجميع في الأحكام الشرعية .

فإن قيل : آية الحجاب تخص بمنطوقها أزواج النبي ﷺ .

فالجواب : أنها لم تدل على أن غيرهن من النساء لا يشاركنهنّ في حكمها ، والأصل مساواة الجميع في الأحكام الشرعية ، إلا ما قام عليه دليل خاص ؛ ولذا تقرر في الأصول : أن خطاب الواحد المعين من قبل الشرع من صيغ العموم ، لاستواء الجميع في أحكام الشرع .

وخلاف من خالف من العلماء ، في أن خطاب الواحد يقتضي العموم خلاف لفظي ، لأن القائل بأن خطاب الواحد لا يقتضي العموم ، موافق على أن حكمه عام إلا أن عمومه عنده لم يقتضه خطاب الواحد ، بل عمومه مأخوذ من أدلة أخرى ، كالإجماع على استواء الأمة في التكليف ، وكحديث : « ما قولي لامرأة إلا كقولي لمائة امرأة » .

فالجميع مطبقون على أن خطاب الواحد يشمل حكمه الجميع ، إلا لدليل خاص ، واختلافهم ، إنما هو : هل العموم بمقتضى اللفظ ، أو بدليل آخر .

الوجه الثالث : أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً : أن حكم الآية الكريمة ، خاص بأزواج النبي ﷺ ، فهنّ القدوة الحسنة لنساء المؤمنين ، فليس لنا أن نحرم نساءنا هذا الأدب السماوي الكريم ، المقتضى المحافظة على الشرف والفضيلة ، والتباعد عن أسباب الرذيلة ، ودنس القلوب ، وقد اختاره الله لنساء أحب خلقه إليه وأفضلهم عنده .

ومن آثار الفوارق بين النوعين :

تنبيه القرآن العظيم ، على أن صوت المرأة ، إذا ألانته ورخّمته ، فإنه يصير من مفاتنها المؤدية إلى إثارة الغرائز ، وطمع مرضى القلوب في الفجور ، قال الله تعالى : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٢] .

وفي ذلك أوضح دلالة ، على أن إذاعة صوت المرأة في أقطار الدنيا ، في غاية الترخيم والترقيق ، بالألحان الغنائية ، مخالف مخالفة صريحة للآداب السماوية ، التي أدب الله بها نساء أحب خلقه إليه ، وهن القدوة الحسنة لنساء المؤمنين .

والفاء السببية في قوله : ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ تدل دلالة واضحة ، على أن الخضوع بالقول ، كإلانته وترخيمه ، سبب لطمع مرضى القلوب فيما لا ينبغي ؛ ولا شك أن وجود السبب ذريعة لوجود المسبب ، والذريعة إلى الحرام حرام ، فيجب سدها ، وهذا النوع من أنواع الذرائع الثلاث مجمع على سده .

ومن الأدلة على ذلك ، قوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] فإنه نهى عن سب الأصنام ، لكونه ذريعة لسب عابديها الله .

وقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ الآية [الأعراف :

١٩] فنهاهم عن قربانها ، لأن القرب من الشيء ذريعة للوقوع فيه ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه .

ومن الأحاديث الصحيحة ، الدالة على أن ذريعة الحرام حرام ، قوله ﷺ : « إن من العقوق شتم الرجل والديه ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » فقد جعل ﷺ ذريعة السب سباً ، وهو واضح في أن ذريعة الحرام حرام .

وبالجملة ، فمن المحسوس : أن صوت المرأة الرخيم الرقيق ، من جملة مفاتنها ، كمحاسن جسدها ، ولذا ترى المتشبهين بالنساء ، يذكرون صوت المرخم كذكرهم جمال الجسم ، وذلك كثير جداً ، كقول ذي الرمّة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فجعل صوتها الرخيم ، وبشرتها التي هي كالحرير ، وحسن عيناها سواء ، في أن الجميع من جملة محاسنها .

وقال قعينب بن أم صاحب :

وفي الخدور لو أن الدار جامعة بيض أوانس أصواتها غنن

فجعل غنة صوتها كبياض جسمها ، وهذا معروف ؛

والمقصود التمثيل ، ولا شك أن من المعلوم الذي لا يكاد يختلف فيه اثنان : أن البلاد التي تجاهلت هذه الفوارق ، التي ذكرنا بين النوعين ، وجعلت المرأة كالرجل ، في كل ميادين الحياة ، سبّب لها ذلك ضياع الفضيلة ، وانتشار الرذيلة ، ولا ينكر ذلك إلا مكابر .

وكيف يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

والذي يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل ، في ميادين الحياة ، حقيقة دعوته المطابقة لما في نفس الأمر ، أنه يحاول بكل جهوده ، أن يردي المرأة المسلمة في مهواة الفساد ، التي تردت فيها نساء البلاد الأخرى .

فالنتيجة التي كانت عاقبة البلاد الأخرى ، معلومة لا نزاع فيها ، والعجب ممن يراها ويتحققها ، ويدعو أمته للأسباب التي توقع في مثلها .

وختاماً : فليعلم سموكم ، أن الذين يخدعون المرأة المسلمة ، بالشعارات الزائفة ، والأساليب البراقة الكاذبة ، من حرية وتقدم ، وكفاح ، وممارسة حقوق في الحياة ، ويخيلون لها أنها رجل في جميع الميادين ، يريدون إيقاعها في المآسي الآتية :

أولاً : أن تكون ملعونة ، في كتاب الله ، وعلى لسان رسول الله ﷺ ، لتشبهها بالرجال في كل شيء ، وإلغائها

الفوارق الطبيعية التي فرق الله بها بينهما قدراً وكوناً وشرعاً .

ثانياً : القضاء على حبائها اللائق بشرفها ومروءتها وإنسانيتها .

ثالثاً : تعريض جمالها لأن يكون مرتعاً لعيون الخائنين يتمتعون به مجاناً على سبيل الخيانة ، والمكر على حساب الدين والشرف والفضيلة ، من وراء اسم التقدم ، والحرية ، وربما آلت بها تلك المخالطة ، إلى أشياء أخرى غير لائقة .

رابعاً : تعريضها لأن تكون خرّاجة ولاّجة ، تزاول الأعمال الشاقة كالأمة ، بعد أن كانت درّة مصونة في صدف بيتها محجبة ، تكفى كل المؤونات صيانة وإكراماً لها ، ومحافظة على شرفها ، مع قيامها بالخدمات العظيمة لزوجها ولأولادها ، وعامة المجتمع الإنساني في بيتها ، من غير إخلال بشرف ولا دين .

ومما تقدم ، من الأدلة : يعلم تحريم توظيف المرأة في المجالات التي تخالط فيها الرجال ، وتدعو إلى بروزها ، والإخلال بكرامتها ، والإسفار عن بعض محاسنها .

مثل كونها مضيفة في الطائرة ، وعاملة في الخدمة الاجتماعية ، ومذيعة في الإذاعة ، أو مغنية ، أو عاملة في المصنع مع الرجال ، أو كاتبة في مكاتب الرجال ، ونحو ذلك ؛ أما عملها فيما يختص بالنساء ، كالتعليم والتمريض ، ونحو ذلك ، فلا مانع منه .

ونبتهل إلى الله سبحانه : أن يلهمكم الصواب ، وينصر بكم الحق ، ويحمي بكم الشريعة ، ويسدد خطاكم في الأقوال والأعمال ، إنه على كل شيء قدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إخوانكم المخلصون ، عنهم

محمد بن إبراهيم

وقال الشيخ : عبد الله السليمان بن حميد :

نقد وتوجيه[1]

كثيراً ما نسمع كلمات حول تعليم البنات ، وفتح مدارس لهن ، وكنا بين مصدق ، ومكذب ، حتى تحقق ذلك رسمياً ، فاستغربنا هذا ، وأسفنا له غاية الأسف ؛ ولنا عظيم الأمل بحكومتنا السنية التي دستورها القرآن ، وشريعة محمد ﷺ .

أن يكون التعليم للبنت ، على المنهج الذي يقره الدين وتعاليمه ، مع التمسك بالحجاب ، وبالأخلاق الفاضلة ، كما كان التعليم زمن السلف الصالح إلى يومنا هذا ، وهي فاعلة إن شاء الله .

والذي أثار الشعور ، وأقلق النفس كلمة : القصيم ، بعنوان : تعليم البنت ، بعددها ٢٦ الصادر في ٦/ ١٢/

---

(١) نشر في مجلة راية الإسلام سنة ١٣٨٠هـ.

١٣٧٩هـ تلك الكلمة يظهر منها تحسين ما قبح الله، ومخالفة ما شرعه، وصريحة بشن الغارة على رجال الدين، حيث سماهم عقبة كأداء.

نعم: إن رجال الدين عقبة كأداء، دون التعليم الذي يعود وبالاً على الأمة والبلاد، وحرباً على الفضيلة والأخلاق، بالتبرج والسفور، وعاقبته الانحلال والفجور.

ويرون وجوب تعليم المرأة ما يجب عليها من أمور دينها، ولم يزل المسلمون يعلمون نساءهم تحت الستار والحجاب، من زمن الصحابة إلى يومنا هذا؛ والكاتب يعلم أن كل بيت ما يخلو - بحمد الله - من قارئة للقرآن أو بعضه، وكل بلد ما يخلو من معلمة أو معلمات.

وإنما يقصد بالتعلم، الذي هو مجاراة الأمم المنحلّة عن الدين، كما يدل عليه قوله: ويعوضنا ما فات، ويهيئ لنا التقدم بشطري الأمة، فيكون التعادل، ويكون التماثل، ويكون الانسجام - إلى أن قال: ويجعلها تطير إلى أهدافها بجناحين متكافئين، كل واحد منهما يؤدي واجبه على أحسن وجه وأكمله، جناح البنين وجناح البنات - إلى آخر مقاله.

لا شك أن هذا الكلام، خلاف ما شرع الله ورسوله، ودرج عليه المسلمون والعرب في جاهليتها، وضد حكمة الله في خلقه، فالله فضل الرجل على المرأة، وجعله

القائم عليها ؛ وجعل له من الحقوق مثل ما لها ، وجعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين ، وفضله في الدية وغير ذلك مما يطول عدّه .

وقال الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى « ناقصات عقل ودين » وأمرها الله بالحجاب كما في القرآن العظيم ، وفي سنة رسوله أكثر من أن يحصر ، والحجاب شرع للمرأة ، حفظاً لها من عبث الرجل وفتنة المحتال .

قال تعالى : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ويقول ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وقال : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » .

ومع الحجاب وشدة الحكومة ـ أيدها الله ـ على أهل الفساد ، نرى ونسمع مرضى القلوب ، يتابعون النساء في الشوارع والمنعطفات ، ويقفون لهن على الأبواب ، وفي الأماكن المظلمة ، ويتسلقون عليهن الجدران .

فكيف إذا حصل السفور ، والاختلاط ؟ وتمكن الذئب من الغنم ؟ مع ضعف الدين وقوة سلطان الشر ، وكثرة أهله ؟! اللّهم سلم ؛ هناك يظهر الشر من خبثاء النفوس ، والذين في قلوبهم مرض .

إن المرأة عورة ، وتعليمها على الصفة التي يريدها المفكرون والباحثون ـ كما زعم الكاتب ـ مصدر انحطاط

الأمة وسقوطها في الهاوية ، وهل مصيبة على المسلمين أعظم من تمرد المرأة ؟ وخروجها عن تعاليم دينها ، وآداب شرعها وعوائد قومها ، وإباحة السفور لها ؟! وهل غزا الأجانب البلاد المجاورة ، إلا بسقوط الأخلاق ؟!

وبتعليم المرأة حصل التبرج ، وبتعليمها مزقت الحجاب ، وكشفت عن الساق والفخذ ، والرأس والصدر ، فصرفت لها الأنظار ، فثارت الشهوة ، فضعفت الرجولية ، وماتت الغيرة والحمية ، وهلك الشباب بذلك ، وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ، فأقم عليهم مأتماً وعويلاً .

وإني أنصح لكل مسلم : أن لا يدخل ابنته أو أخته ، في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها البلاء والفتنة ، ونهايتها السفور والفجور ، وسقوط الأخلاق والفضيلة ، ومن لم يتعظ ويعتبر بما يرى ويسمع في البلاد المجاورة فلن يعظه شيء ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [النور : ٤٠] .

فعلى الدعاة والمرشدين والمصلحين أن يسارعوا إلى القيام بواجبهم نحو هذه الأخطار ، التي يسعى بها أعداء الإسلام إلى المسلمين ، وإلى أوطانهم ، وأن يشرحوا مزايا الإسلام ، ومحاسن الدين ، وكيف جاء عن النبي الكريم في شأن المرأة المسلمة ؟ وأن يردّوا على مثل هذه الكلمات الخاطئة ، ويقاوموا الأعمال السيئة ، التي تعود على مجتمعنا

بالخذلان والدمار ، كل على حسبه ، والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ عبد الله السليمان بن حميد ، أيضاً[1] :

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه الكريم ، وبعد :

أيها المسلمون : إن محاربة تعاليم الإسلام ، والعمل على نقض عراه ، هو أهم ما يضعه أعداء المسلمين نصب أعينهم ، من بعثة محمد ﷺ إلى يومنا هذا ، فهم بذلوا وسعهم في العمل على اقتلاع جذوره ، والتخلص منه ، والقضاء عليه .

لكونهم يرونه الصخرة الصلدة ، التي تقف في سبيل أطماعهم ، وتقطع عليهم غيهم وضلالهم ، وتحول دون استغلالهم واستعبادهم للمسلمين ، وقد أجمعوا عدتهم وعديدهم ، في كل وقت وحين ، لإزالة الإسلام وإبادة المسلمين ، كما هو مبسوط في التواريخ .

ولكن - بحمد الله - لم يدركوا مرادهم في هذه الحروب ، بل الغلبة للمسلمين في أكثر الوقائع ، ولما رأوا أنهم لم يدركوا - ولن يدركوا إن شاء الله - غايتهم عن طريق الحروب النارية ، رسموا طريقاً أخبث ، وسلاحاً أخطر .

---

(١) في رسالة طبعت مستقلة ، عنوانها : «أخطار تحيط بكم أيها المسلمون» .

فعملوا طريق التعليم لأولاد المسلمين ، ذكورهم وإناثهم ، باسم التوجيه ، والإصلاح ، والتثقيف ، حتى أدركوا بهذا التعليم ، جيلاً من شباب المسلمين ، لا يعرف الدين ، ولا يعتز بالإسلام ، تحللوا من قواعده ، وتنكروا للأخلاق الإسلامية ، فكان هؤلاء طليعة في بلادهم لأعداء الإسلام ، وعوناً لهم على الاحتلال والاستغلال .

وما غزا الأجانب أكثر البلاد الإسلامية ، إلا بواسطة أفراخهم هٰؤلاء الشباب المغرورين ، الذين صاروا حرباً على القائمين بشريعة الإسلام ، وإنما صار الشباب المتعلم في تلك الحال المخزية ، بسبب هذه التوجيهات الغربية ، التي يغرونهم بها .

فيرونها مضيئة لامعة جذابة ، فيميلون نحوها ، كالفراش يلقي نفسه في النار ، جاهلين أن هذه التوجيهات الغربية ، هي الداء العضال ، والسم القتّال ، وأن فيها دمارهم ، ودمار بلادهم .

وهل هلك الشباب العربي إلا بالضوء اللامع مع زعمهم؟ وهل ذهبت أخلاقهم إلا عند المنظر الجميل ، بسبب الاختلاط ؟! فلم يبق لهم قوة في نفوسهم ، أو حماس في صدورهم ، بعد ذهاب أخلاقهم ، وانتزاع الغيرة منهم .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وبذلك : نجح احتلال الأعداء لبعض الأقطار المجاورة ، بهذا السلاح البارد ، فهم الآن كما تسمعون عنهم ، يقرون الرّذيلة والفساد في أوطانهم ، كمسارح الرقص ، ومحلات المجون والخلاعة ، والخمور ، حتى إن الرخص تمنح للنساء العربيات ، ليتجرن في أعراضهن ، وليبعن عفافهن ، وليفتحن بيوت البغاء رسمياً وعلانية ، بدون خجل أو حياء أو مبالاة .

ولا نطيل الكلام بذكر ما يجري هناك ، من المخازي والأمور القبيحة ، من الرؤساء والأعيان ، فضلاً عن الهمج ، كما أنه بالتوجيهات الغربية والثقافات المزيفة ، فقد شبابهم العقائد الصحيحة .

وسارعوا إلى الإلحاد والزندقة ، وحاربوا الدين والمتدينين ، ووالوا الكفرة والمشركين ، وكل ذلك من آثار التعليم الغربي ، والثقافات المزيفة ، فصاروا إلى هذه الحال المحزنة .

أيها المسلمون : إن المملكة العربية السعودية ، كانت ـ بحمد الله ـ آمنة مطمئنة ، متمسكة بشرائع الإسلام ، منفذة لتعاليم الدين ، متبعة للقرآن ، وعاملة بسنن خير المرسلين ؛ ولكن يا للأسف : دب إليها الشر من حيث لا يعلمون ، واستحكم فيها البلاء من حيث لا يدرون .

بسبب بعض التعليم الحديث ، وبعض المعلمين

الأجانب ، ودخول المجلات الداعرة ، والصحف الفاجرة ، واستماع الإذاعات الملحدة ، المملوءة بالنيل من الدين ورجاله ، والطعن في الإسلام ونظامه ، والتصريح : بأن التمسك بالدين جمود ورجعية ، وأن الانحلال والإلحاد تقدم ومدنية .

وبهذه الأمور : اختلت الأخلاق ، وتغيرت الفطر ، وترك كثير من أوامر الله ، وارتكب كثير من نواهيه ، وبث بعض المعلمين الأجانب ـ الذين لا صلة لهم بالدين ولا علاقة ـ في نفوس كثير من الطلبة كراهة الدين وأهله ، وتنقصهم ، والاستخفاف بهم .

حتى إنهم يتنقصون الحكومة ، وينتقدون الكثير من أعمالها ، وتحقق ضرر هٰؤلاء المعلمين الأجانب ، على أبناء هذه المملكة ، وظهر سوء عاقبتهم على الدين والأخلاق والحكومة .

وكنا في أمل من حكومتنا ـ وفقها الله ـ للانتباه والإصلاح ، وتدارك ما حصل بتعديل مناهج الدراسة ، على ما يقوم به الدين ، وتحصل به منفعة للوطن ، وإبعاد المعلمين الأجانب المنحرفين ، ومنع المجلات والصحف الضارة .

إذ فجأنا خبر فادح ومصيبة عظيمة ، وطامة كبرى ؛ ألا وهي : فتح مدارس لتعليم البنات ، في المملكة العربية

السعودية على نحو التعليم الموجود في البلاد المنحلة ، عن الدين والأخلاق ، وقد عارض بعض المسلمين في تعليم المرأة بهذه الصفة ، خوفاً من فتنتها ، وحذراً من ضررها على المجتمع ، في المستقبل بعد مدة .

وألفتُ نظر ولاة الأمور ، إلى أنه لا مانع من توسيع تعليم المرأة على المنهج الذي يقره الدين وتعاليمه ، مع التمسك بالحجاب ، وبالأخلاق الفاضلة ، وكما كان التعليم زمن السلف الصالح .

مثل تعليمها التوحيد ، والطهارة ، والصلاة ، وأحكام الحيض ، والنفاس ، وأمور دينها الواجب عليها ، وكتربية أولادها ، وتدبير منزلها ، وغير ذلك من الأمور النافعة لها ، وهذا فيما يظهر ونظن ، هو هدف الحكومة - أيدها الله - ورغبتها .

ولذا : جعلوها منوطة بالمشائخ ، وقد عينوا برياستها شيخاً منهم ، مؤملين فيه السير بمدارس البنات ، على الهدف المنشود ، ولكن يا للأسف : بأول سنة شوهد تبدل الأمر ، وسوء الحال .

فقد نشرت جريدة البلاد ، بعددها ٧٠٣ في ٣/ ١٢/ ١٣٨٠هـ مقالاً للرئيس المذكور ، يتضمن عزمه على إدخال مواضيع الحساب ، والهندسة ، والجغرافيا ، بمناهج مدارس البنات ، في السنة الدراسية القادمة ، لأن هذه المواضيع لم تكن تدرس في هذه السنة .

هذا وقد صرح الرئيس العام لمدارس البنات : بأن منهاج مدارس البنات يتألف من خلاصة مناهج التعليم بالجمهورية العربية المتحدة ... إلخ .

كما وقد سمعنا أنهم سيجلبون معلمات صالحات ، من سورية ولبنان ومصر ، فيا ليت شعري : أن الرئيس يبين هذا الصلاح في تلك النسوة ، التي سيجلبهن من الخارج للتعليم في هذه المملكة .

بل إن الصالحات منهن سافرات مائلات مميلات ، وكأنه لا يوجد في المملكة العربية ، معلمات صالحات لتعليم الدين النافع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها المسلمون : يا أهل الغيرة والأنفة ، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذي يقصد منه إرغام أهل الخير ، ومجاراة الأمم المنحلّة ، في تعليم بناتكم الحساب ، والهندسة ، والجغرافيا ، ما للنساء وهذه العلوم ، تضاف إلى ما يزيد عن إحدى عشر درساً ، غالباً لا فائدة فيه ، إنها لمصيبة وخطر عظيم على مجتمعنا .

إن تعليم المرأة على هذه الصفة ، هو مصدر انحطاط الأمة ، وسقوطها في الهاوية ، إن هذا التعليم : سبب لتمرد المرأة ، وخروجها عن تعاليم دينها ، وآداب شرعها ، وعوائد قومها الصالحة ؛ وسفورها ، وتبرجها ، واختلاطها مع الأجانب ، والسفور مدعاة إلى الفجور ، وفتنة الاختلاط كبيرة .

وقد أجمع العقلاء على أن المرأة مطمع نظر الرجل ومثار شهوته ، وأن الاختلاط مثير للشهوة جالب للفتن ، سبب لفعل ما يكرهه الله .

وهل حدث ما تعلمون أو تسمعون عنه ، في البلاد المجاورة من تمزيق الحجاب وكشف الساق والفخذ والرأس ، وفتح بيوت البغاء ، والسينما ، والرقص والخلاعة ، إلا بعد التعليم المزعوم ثقافة ؟! .

وقد انتقد بعض القراء كلمتي السابقة ، عن مدارس البنات ، متباعدين وقوع ما أشرت إليه ، ولعلهم الآن عذروا ، بعدما رأوا وسمعوا ، عن لباس البنات الخاص بالمدرسة ، وركوبهن الأتوبيسات سافرات ، وليس الخبر كالعيان .

أيها المسلمون : إن أفراخ الإفرنج ، الذين تغذوا بألبانهم ، وتثقفوا بتعاليمهم ، يريدون من تعليم المرأة ، مشاركتها للرجل ، في المكاتب ، والمباسط ، والمعامل ، والمدارس ، كما صرحوا به في عدة مقالات معروفة ، فقد خسرنا الغالب من أبنائنا نتيجة هذا التعلم الفاسد .

فهم لا يقدّرون أباً ، ولا يحترمون أمًّا ، ولا يرحمون أخوة ، ولا يؤدّون واجباً إلا وهم كارهون ، يحبون الشر ، ويقلدون الكفرة ، ويتشبهون بالمجوس ، ويبغضون الخير وأهله ، ويتنقصونهم ، فالله المستعان .

ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل يريدون ، ويحاولون إخراج البنات من أكنانهن ليكشفوا حجابهن ، وليتمكنوا من التمتع بهن ، بحيلة هذا التعليم المزعوم .

والعجب العجاب : حصول هذه الأمور الهدّامة ، التي هي هدم للأخلاق ، وخروج عن الشريعة ، ومحادّة لله ولرسوله ، وللمسلمين ، ولا نرى المنتسبين إلى العلم ، والمتصفين بالشهامة والرجولة يهمهم ذلك .

فأين الغيرة يا أهل الإسلام ؟! غزاكم أعداء الإسلام في بيوتكم ، وأفسدوا الكثير من أبنائكم ، ويحاولون إفساد البنات ، وأنتم ساكتون ، ما هذا السكوت والطمأنينة ، والركود والإخلاد ؟!

أجهلتم هذا ؟! أم تساهلتم به ؟ فإنه والله عظيم ، كيف بعد التستر والحجاب ، والحفظ والصيانة يكون السفور والخلاعة ، في بلاد نشأ أهلها على فطرة الإسلام ، وعبادة الله وحده ، وتحكيم شرعه ، ودستورها القرآن ؟! إنها لمصيبة عظيمة .

أيها المسلمون : كونوا على حذر ، وتنبهوا لهذه الأخطار ، وتكاتفوا ، وتعاونوا في السعي ، بمراجعة المشائخ ، والحكومة ، وبيان الحقائق لهم ، لإغلاق ما فتح من هذه المدارس ، التي فتحت لتعليم البنات على المنهج الحديث .

فهي مدارس ظاهرها الرحمة ، وباطنها البلاء والفتنة ، ونهايتها السفور والفجور ، فإن لم تدركوا الحصول على إغلاقها ، فلا تقبلوا فتحها في بلاد لم تفتح فيها ، فإن تساهلتم حلّ بكم ما حلّ بغيركم ، وستندمون وقت لا ينفع الندم .

إن تعليم المرأة على هذا المنهج ، خطر عظيم على المجتمع ، ومصيبة لا تجبر ، وعاقبته سيئة ؛ إن تعليم المرأة سبب لتمردها ، وهن ناقصات عقل ودين ، لذا أوجب الله على المكلفين من العبادات ما هو معلوم .

وخص المرأة ـ وهو العليم الحكيم ـ بوجوب الحجاب في عدة آيات من القرآن ، وفي سنة رسول الله ﷺ معلوم مشهور ، فلا نطيل بذكر ما ورد في ذلك .

ونهى الشارع عن سفر المرأة وحدها ، وحرم الخلوة بالأجنبية ، إبعاداً للتّهم ، وكان أهل الجاهلية ، يئدون البنات ، خشية العار ، فيلحقهم عارها .

وبتعليمها : ستسافر وحدها ، وتخلو بزميلها أو معلمها ، وتذهب بعض الليل بعيدة عن أهلها باسم الدراسة والمذاكرة ، أو تبيت عند غير أهلها ، ولا يكون لوليها عليها أمر .

فالله الله عباد الله ، في مقاومتها وردها ، وعدم قبولها ، فإنه لا يرضى بهذه المدارس ، إلا من لا غيرة

عنده ، ولا رجولة ولا دين ، والغالب أن الراضين بها والمستحسنين لها من دعاة الفجور ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

والقصد مما ذكرنا : النصيحة لإخواننا المسلمين ، وأداء الواجب ، وبراءة الذمة ، والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ، إنه جواد كريم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

وقال الشيخ : عبد الرحمن بن حماد العمر[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

وبعد : فبمناسبة ما نشاهده ، من تحول في تطبيق ديننا الحنيف ، نتيجة ما مني به كثير من المنتسبين للإسلام ، من تخلف فكري وعقائدي ، جعلهم يسخرون بدينهم ، وبالداعين إليه ؛ ويطالبون باسم التقدم والرقي : إحلال كثير من المحرمات في بلادهم ، مخرج الأنبياء ، ومهبط وحي السماء .

وامتثالاً لما أوجبه الله علينا ، من مؤازرة الحق ، ونصيحة من حادوا عنه ، وإرشادهم إلى طريق سعادتهم ورقيهم ونجاتهم .

---

(١) في رسالة له «في سبيل الحق» في ٧/ ٣/ ١٣٨٣هـ.

لهذا : قمت بإعداد هذه الرسالة ، راجياً من الله سبحانه : أن يجعلها من الأسباب الناجعة في حل الخلاف ، وشفاء القلوب .

كما أرجو من القارئ الكريم : أن يدرأ بالحسنة السيئة ، ويحمل كلماتها محمل النصح وحسن المعتقد ، فذلك مقصدي ، والله حسبي ووكيلي .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة : إلى الطائفة المنصورة :

إليكم يا حملة رسالة الأنبياء والمرسلين ، إليك يا أخي المجاهد في سبيل الله . . . بيدك . . . بلسانك . . . بقلمك . . . بذلك كله . . . إليك أوجه رسالتي هذه ، وأنا أحس بإحساسك ، وأشعر بشعورك .

ولكني أقول لك يا أخي المجاهد الغيور : إنك سوف تلاقي في سبيل دعوتك إلى الله ، وفي سبيل غيرتك لمحارم الله ، عندما تراها تنتهك . . . عندما ترى السفور منتشراً ، والخمر مستقى ، والجرائم الأخلاقية مرتكبة ، والفرائض مضاعة ، والدين والشرف يستباحان ، باسم التقدم والرقي .

أقول لك : سوف تتقاذفك سهام مرضى القلوب ، الذين تنفذ دعوتك إلى مخازيهم وأهدافهم الخسيسة ، نفوذ السهم من الرمية ، وسوف يقولون عنك : منافق ، مخادع ،

أكّال ، جاهل ، رجعي ، دجال ؛ وسوف يقولون عنك كل شيء مما يشفون به غليل نفوسهم المريضة ، وسوف يطالبون بطردك من وظيفتك إن كنت موظفاً ، ويحاربونك في كل مجال .

ولكني أذكرك : قدوتك وإمامك محمداً ﷺ ، الذي دعا الناس بمكة عشر سنين ، لم يؤمن خلالها بدعوته ، إلا النزر اليسير ، والذي قيل له لما بدأ دعوته إلى الله : ساحر ، كاهن ، مجنون .

وقيل لمن أراد الإنصات لتلاوته : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) [فصلت : ٢٦] .

وقذف بالحجارة ، وألقى عليه سلى الجزور - وهو ساجد أمام بيت الله - ومع هذا كله ، صبر وضاعف جهاده ، ولم يشك قلة حيلته ، وهوانه على الناس إلا على ربه ؛ وكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، ولم يزد على أن أخذ يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

نعم : ذلك هو محمد بن عبد الله ، جاهد في الله ، وتلقى الأذى بصدر رحب في سبيل الله ، حتى حقق الله له النصر ، فاستغفر الله الذي توفاه مؤمناً حقاً ، وألحقه بالرفيق الأعلى ، بعد أن بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة .

وتلى محمداً : صحابته ، والتابعون لهم بإحسان ،

بالإيمان والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بالغيرة لمحارم الله ، بنشر دين الله ، بدعوة الناس إليه .

وهكذا يتبع هديه المهتدون إلى يوم القيامة ، ممن قال الله فيهم : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ﴾ [فصلت : ٣٣] وممن حققوا قول الله : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

بل إنهم : الطائفة المنصورة التي قال عنها محمد ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » .

ذلك لأنهم فهموا قول الله : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ [النساء : ١١٤] فهموا ذلك القول الرباني فحققوه ، فاستحقوا أن يوصفوا بمقتضاه ، ويكرموا جزاء امتثاله كرامة المتقين .

وهكذا يصف الله المجاهدين فيه من الرسل وحملة رسالتهم ، تلك الرسالات التي اختتمت برسالة محمد ﷺ إلى الناس كافة ، والتي بها رسخت أركان العدالة في الأرض ، وانمحت رواسب التفرقة بين بني الإنسان ، بقول الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] وبقول رسول الله ﷺ : « ليس لعربي فضل على عجمي

إلا بالتقوى ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب » أو كما قال .

وأنتم يا دعاة الحق ، الغيورين لحرمات الله ، المؤمنين به ، الداعين إليه ، أنتم المخاطبون بالتضحية ، والصبر ، فلا تنهزموا أمام الباطل الزاهق ، وأنتم الأعلون .

واعلموا : أن الله معكم ، ينصركم كما نصر من جاهدوا قبلكم من الأنبياء وعباد الله المخلصين . فادعوا إلى الله على بصيرة ، قابلوا الجاهل بالحلم ، وخاطبوا العالم المعاند ، بالإقناع بالموعظة الحسنة ، لعله يتذكر أو يخشى ، ولعله يتوب إلى ربه من ظلم نفسه .

لأنه يظن ـ يا أخي المجاهد ـ أنه يضادك ويغيظك ، ولا يدري أنه إنما يضاد نفسه ، ويسعى في هلاكها ، وينصب من نفسه عدواً لله ، وناصراً للشيطان ؛ ناصراً للمنكر من تحكيم القوانين ، وإباحة وَأْدِ الأخلاق الفاضلة ؛ ناصراً لتقاليد الغربيين والشيوعيين ، في أهله ، في بنيه ، وبناته .

يفكر أن التقدم في إدخال ابنته وعورته ، مدرسة يقوم بالتدريس فيها ، أستاذة تلقت دراستها في الخارج ، وصارت طيلة أيام دراستها ، مع زميلها على كرسي واحد ، ومشت متبرجة في الشارع ، وشاهدت المسرح والرقص ، ودخلت دور السينماء ، وقرأت شيئاً من « آخر ساعة » و« المصور » وشيئاً من مؤلفات ذوي الخلاعة والمجون ، في مقابل الجهل بأمر دينها ، وفاضل أخلاقها .

ويقتنع هذا المغرور بنفسه ، الجاهل بمستقبل محارمه : أن ابنته في مدرسة مصونة بالحيطان عن عيون الرجال ، دون أن يفكر في تلك الأستاذة الماثلة أمام ابنته ، والتي لن تدرسها مهما أعطيت من التعليمات ، إلا الشيء الذي تعرفه ، لأنها لا تعرف غيره .

وإن لم تظهر ذلك الذي تعرف في كل درسها ، فلا بد من ظهوره في فعلها ونظراتها ، وحركاتها ، وفرطات كلامها ، لأنه من المستحيل : أن ينضح إناء بغير الذي فيه .

وظيفة المرأة :

ويظن هذا المغرور : أن للمرأة حقاً في مشاركة الرجل ، في الدائرة ، وفي المتجر ، والمصنع ، وفي الإذاعة ، وينسى أنها عورة إنما خلقت لتصان في بيوت ، وتكرم فيها .

وينسى أن الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ، كما جاء في كتاب الله الذي حفظ لها حقوقها وكرامتها ، وبيّن مهمتها في الحياة ، وكما بيّن تلك الحقوق وتلك المهمة أيضاً محمد ﷺ ، في كثير من الأحاديث .

فلو قرأ قول الله : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر

منها[1] وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال[2] أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون) [النور : ٣١] .

---

(١) ما ظهر منها: هو ما لا تستطيع المرأة ستره، كالخارج من الثياب ونحوها، كما جاء عن ابن مسعود وغيره، وليس هو كما نسب إلى ابن عباس، بدليل الآيات، والأحاديث الموجبة لستر الوجه عن الرجال الأجانب.

(٢) المقصود بأولي الإربة: الذين لا حاجة لهم في الجماع، ولا دافع لديهم إليه، أما أولئك الذين يستخدمون في بيوتهم الرجال، ويتركونهم يخاطبون محارمهم، كالسائق، والطباخ، وخادم التنظيف، وقاضي الحوائج، ونحوهم من الأطفال الذين تزيد أعمارهم على سن العاشرة، على أساس الثقة فيهم.
فهؤلاء: قد أخطؤوا، واتصفوا بصفة تدل على عدم غيرتهم؛ ففي الحديث: « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » وفي الحديث أيضاً: « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع ».

وقول الله تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ [النور : ٥٩] وقول الله : ﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقول الله : ﴿ أسكنوهنّ من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ [الطلاق : ٦] وقول الله : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٩] .

لو قرأ هذا وآمن به ، لما طالب بتحلل المرأة ، وخروجها من سترها إلى محيط العمل ، ومخالطة الأجانب .

وآمن بقول الله : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [النور : ٣٠] وبقول الله : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فَسْئَلُوْهُنَّ من وراءِ حجاب ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وبقول رسول الله ﷺ : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها

البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه .

وبحديث : أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب ، فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه ؛ فقلنا : يا رسول الله ، أليس هو أعمى لا يبصرنا ، ولا يعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » .

وبقوله ﷺ : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » متفق عليه . لو قرأ هذا وآمن به ، لما طالب بتحلل المرأة ، وخروجها لتختلط بالرجال ؛ ولما سئلت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ، عن الأفضل للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يرونها .

وقال : **الشيخ** محمد بن عبد الله بن حمدان :

لن نترك كتاب الله ، ونعمل بالنظم الغربية[1]

اطلعت في جريدة اليمامة العدد ٢٤٩ في ١/٦/٨٠ على كلمة بعنوان : « نقد وتوجيه » بتوقيع ؛ رشيد سلهوب الخالدي ، من الظهران ، ردّاً على كلمتي المنشورة في مجلة راية الإسلام الغراء ، حول كلمة : « لا تئدوا بناتنا في المهد » يقول الكاتب في كلمته :

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة راية الإسلام، سنة ١٣٨٠هـ.

إن تعليم البنات ـ على الطريقة المتبعة في الخارج ـ دعوة إلى الانطلاق والتقدم ، والعمل لمؤازرة الرجل .

هكذا يصف التعليم الذي نهايته : التبرج والسفور ، والانحلال ، والرقص ، والغناء ، والخروج على الأخلاق .

ليتكم يا هذا : تطالبون بتعليم البنات ، في حدود ما رسمه الدين الحنيف ، وتكتفون بذلك ، إذاً لرحبنا بذلك ، وأيدناكم ، ولكنكم تريدون تعليماً كالتعليم الموجود في الخارج ـ مجرد تقليد ومحاكاة ـ ولا تهمكم تعاليم الإسلام ، التي تأمر بالمحافظة على أخلاق المرأة ، وتصون لها عفتها وكرامتها .

لا تريدون هذا ، لأنه من أعمال الرجعيين!! تريدون لفتياتكم : أن ينزلن بجانب الرجل ، في ميادين العمل ، بل : تريدون لهنّ أن يخرجن نجوماً للسينما ، والتلفزيون ، وغيرهما ، وهذا هو التقدم ، الذي تتمنون أن تحرزه أمتكم .

وهذا : خروج على مبادئ الدين الحنيف ، ومحاربة للفضيلة ، ولا يرضاه الإسلام ، بل حذر منه ؛ ورغم أن الإسلام بيّن : أن المرأة عورة ، يجب محافظتها على الأخلاق ، والتحرز من الاختلاط بالرجال .

فإن أنصار المرأة ـ أو على الأصح أعداءها ـ لا يرضيهم هذا ، لأنه بحد زعمهم : كبت ، وحبس لها ؛

وهذا ما تلقنوه من أساتذتهم ـ أسيادهم ـ الغربيين ، وأتباعهم ، وقبلته عقولهم الضعيفة .

ثم يقول الكاتب : أرأيت كيف وصلت البلدان التقدمية ، إلى ما هي عليه الآن ؟! من حضارة ، وعلم ، وتكتيك ؟! ولو لم تكن بجانب الرجل تشد أزره ، لما نهضت وتقدمت ؟! .

وجوابي على هذا التساؤل ، أن أقول : نعم رأيت وسمعت ، ويا لهول ما سمعت وما رأيت!! رأيت : أنهم تجاوزوا في تعليم فتياتهم ، فلم يكتفوا بتعليمهن الدين ، وشئون المنزل ، وتربية الأولاد .

لا ؛ لم يكتفوا بذلك ، بل خرجوا بهن عن الحدود المرسومة لهن ، زاعمين أنهم يريدون لهن التحرر ، والحضارة والانطلاق ، فخرجن بذلك عن تعاليم الإسلام ، ونزعن برقع الحياء ، وتركن الحجاب ، واختلطن بالرجال ، ونزلن إلى ميادين العمل .

بل برعن في إجادة الرقص ، والغناء ، والفجور!! وصار ما يخالف هذا يعد من أعمال الرجعية!!

أي حضارة ؟! وأي تقدم في هذا الذي وصلت إليه هذه الأمم ؟!!

نحمد الله : أننا لم نصل بعد ـ ولن نصل إن شاء الله ـ إلى هذه الحضارة الزائفة ، وهذا التقدم المزعوم!! .

نحمد الله على ما نحن عليه ، من تمسك نسائنا بتعاليم الإسلام ، في المحافظة على الحجاب ، وعدم الاختلاط بالرجال ، وعدم إظهار الزينة ، والتمشي مع تعاليم الدين الذي من تمسك به فهو السعيد .

وليس أدل على ذلك مما تزخر به ، إذاعاتهم وصحفهم ، من هذا النوع ، فهذه المجلات الخليعة ، التي ترد إلينا منهم فيها من الصور العارية ، والحكايات الفاجرة ، والقصص ، والأوصاف الخسيسة ، فيها من كل هذا وأكثر منه ، الشيء الكثير ـ كما هو معروف ـ زيادة على ما فيها من إلحاد ، وزندقة ، واستهزاء بالدين وأهله .

هذا هو التقدم والحضارة المزعومة!! ولكن الله سينصر دينه ويعلي كلمته ، ويدحض أعداءه ، ويكبتهم ، ويحفظ علينا ديننا ، وأخلاقنا ، وشيمنا ، ورجعيتنا ، إن كان التمسك بالدين هو الرجعية .

ثم يقول الكاتب متسائلاً : هل اطلعت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟ الصادر في « سان فرنسيسكو » الذي يقضي عدم التمييز بين الرجل والمرأة ؟!! .

اضحك معي أيها القارئ الكريم ، وابك أيضاً على هذا الكلام ، فهو مضحك مبكٍ في آن واحد ؛ كيف تستدل أيها الكاتب على عدم التمييز ، بما أوصت به هذه اللجنة ؟!

لماذا تكلف نفسك مشقة البحث والاطلاع ؟ وتذهب

بعيداً إلى ما أوصت به لجنة « سان فرانسيسكو » ؟! أليس عندك كتاب الله ، وسنة رسوله ؟ فيهما الخير الكثير ، لمن أراد الهداية ؛ فيهما ما يغنيك عن تتبع ما أوصت به اللجان الغربية ، عن مركز المرأة أو غيره .

فإن كنت تعتقد ـ وهذا ما نرجوه ـ أن توصيات الدين الإسلامي ، خير من توصيات هذه اللجان وأشباهها ، فلماذا تترك توصياته وتعاليمه ، وتبحث غيرها ؟! .

وإن كانت الأخرى ـ لا قدر الله ـ فاعلم أن الدين الإسلامي أرقى الأديان ، وأعظمها ، وأنه جاء بخير البشرية جمعاء ، فلا خير إلا دلنا عليه ، ولا شر إلا حذرنا منه ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فكر جيداً أيها الكاتب ، واعلم أن الغربيين أعداء الإسلام ، لم يدّخروا وسعاً في تضليلنا عن ديننا ، بل عملوا بكل ما أوتوا من قوة ؛ ومن جملة دسائسهم الخبيثة : دعوتهم إلى تحرير المرأة ، وتثقيفها ، ومساواتها بالرجل ، لعلمهم أننا إذا فعلنا ذلك وقعنا في المحذور ، وخالفنا أوامر ربنا .

إن الدين الإسلامي : أنصف المرأة ، وحفظ لها أخلاقها ، وشيمها العربية الأصيلة ، ولم يهضمها حقوقها ، كما يزعمه البعض ، ممن تأثر بأبواق الدعايات الغربية ، بل

أمر بتعليمها الدين ، وما يجب عليها تعلمه ، في حدود مرسومة لا تتعداها .

ونهى عن تعليمها التعليم الذي يؤدي إلى السفور ، ونزع جلباب الحياء ، ومحو الأخلاق والفضيلة ، وأمرها بالحجاب والتستر ، والمحافظة على الأخلاق ؛ ونهاها عن التبرج ، والاختلاط بالرجال ، وإظهار الزينة .

ولست بذلك أدعو إلى احتقار المرأة ، أو عدم تعليمها ، كلاّ ، ولكن هذا التعليم السافل ، الذي يدعو إليه البعض ؛ والذي مؤداه ، ونهايته : التبرج ، والانحلال ، وترك الأخلاق ، والفضيلة ؛ هذا التعليم ، هو : ما نحذر مجتمعنا منه ، ومن دعاته ، ونخوفهم من عواقبه الوخيمة ، التي ظهرت في بعض البلدان ، والسعيد من وعظ بغيره .

أما تعليم الدين وما يتبعه ، كتربية الأولاد ، وتدبير المنزل ، مع الحرص الشديد على الأخلاق والشيم ، والعادات الحميدة ، التي نادى بها الإسلام ، من لبس الثياب الساترة ، والحجاب ، وعدم المخالطة ، فهذا لا ينكره أحد .

وأي مصيبة وأي انتكاس أعظم من وجود أناس في مجتمعنا ، يستدلون على إباحة شيء ، أو تحريمه ، بالنظم الغربية ، والقوانين الوضعية ؟! تاركين كتاب الله ، وسنة رسوله ؟! .

ونحن نطالب صحفنا الحرة ، الحريصة على نشر الأفكار النافعة : أن توصد الباب أمام كل رأي فج ، واقتراح مرتجل ؛ ونطلب من صحفنا التي نذرت نفسها لخدمة الأمة : أن تحرص على نشر ما يتمشى مع تقاليدنا الحرة ، السليمة ، وتقبله فطر المسلمين النقية .

وأخيراً : نبتهل إلى الله العلي القدير ، أن يرزقنا التمسك بكتابه ، وسنة رسوله ؛ وأن يعيذنا من شياطين الإنس والجن ، وأن يجنبنا مواقع الزلل ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله على محمد .

الفصل الخامس

ولأهمية شأن المرأة والاهتمام به[١] فقد تقرر الأمر من ديوان مجلس الوزراء ، بمنع النساء من العمل ، الذي يؤدي إلى اختلاطهن بالرجال ، كما ذكر ذلك في التعميم الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي ، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني ، بعد التحية :

بناء على ما لاحظنا : من قيام بعض الجهات الحكومية ، بالرفع عن طلب السماح لها ، بالتعاقد ، أو

---

(١) وقد ألحقنا هذا التعميم هنا بعد وفاة جامع هذه الرسائل رحمه الله حتى لا يخفى.

تعيين عدد من السيدات السعوديات ، للعمل بها ، أو الترخيص لهن بممارسة بعض الأعمال ، أو المهن ، التي تؤدي إلى اختلاطهنّ بالرجال .

ولأنه سبق أن صدر الأمر رقم ١٩٦٠/ ٨، وتأريخ ١٣٩٩/١٢/٢٢هـ بمنع النساء من العمل في الوظائف ، التي تؤدي إلى اختلاطهن بالرجال ، كما صدر الأمر رقم ١١٥٧٥ وتأريخ ١٤٠١/٥/١٩هـ بالتأكيد على ذلك ، وعدم الترخيص للمرأة بممارسة المهن ، التي تؤدي إلى اختلاطهن بالرجال .

نخبركم : بأن السماح للمرأة بالعمل ، الذي يؤدي إلى اختلاطها بالرجال ، سواء في الإدارات الحكومية ، أو غيرها من المؤسسات العامة ، أو الخاصة ، أو الشركات ، أو المهن ، ونحوها ، أمر غير ممكن ، سواء كانت سعودية ، أو غير سعودية .

لأن ذلك محرم شرعاً ، ويتنافىٰ مع عادات وتقاليد هذه البلاد ، وإذا كان يوجد دائرة ، تقوم بتشغيل المرأة ، في غير الأعمال التي تناسب طبيعتها ، أو في أعمال تؤدي إلى اختلاطها بالرجال ، فهذا خطأ يجب تلافيه .

وعلى الجهات الرقابية ملاحظة ذلك ، والرفع عنه ؛ وقد زودت الجهات المعنية بنسخة من أمرنا هذا ، للاعتماد والإحاطة ، فأكملوا ما يلزم بموجبه .

توقيع رئيس مجلس الوزراء

الفصل السادس

مطالعة الصحف التي تسربت إلى بلاد المسلمين ، فهي من الوسائل العظمى لنقض عرى الإسلام ، من الدول المجاورة المنحلة ، أفراخ الإفرنج ، عباد الأولياء والصالحين ، العكّف عند المشاهد ، الباذلون عندها نفائس الأموال ، بقصد التبرك والنذور لها ، التاركون لإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وغيرهما من شعائر الإسلام ، المشتهرة بينهم شعائر الكفر ، واستحلال المحرمات ، والخلاعة ، وينتسبون إلى الإسلام ، جرأة على الله (يخادعون الله وهو خادعهم) [النساء : ١٤٢] .

وقد تسربوا إلى بلد الإسلام ، فأخذ كثير من الشباب أخلاقهم المزيفة ، وبثوا بعض علومهم المحرمة ، وسرت إلى المسلمين صحفهم الخليعة ، وسار على سبيلهم كثير من الشباب الزائغ ، فنشروا في بلد الإسلام على الصحف ، تلك الإلحاد ، والزندقة ، والخلاعة .

وتعلق بها من لا بصيرة له ، ومستحسن ما يتلوه من تلك الصحف ، ومن الصحف الخارجية ، وفسدت أخلاق الكثير ، واعتنقوا الباطل ، وأعرضوا عن الحق ، وتركوا كثيراً مما أمر الله به ، وارتكبوا كثيراً من المنكرات ، مما سلف وغيره .

قال الشيخ : محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، رحمه الله :

ومن المنكرات : إكباب الجهال والشباب ، على مطالعة كتب الزيغ ، والإلحاد والزندقة ، والصحف المشتملة على ذلك ، وعلى الصور الخليعة مما أحرى من أدمن النظر فيها من الشباب ونحوهم : أن يصبح أسيراً للشيطان ، إن لم يقتله بالكلية ، ويسلبه جميع الإيمان .

ومن المنكرات : التشبه بالكفار ، ولا فرق بين الأمور الدينية ، والعادية ، كالزي ونحوه ، وروى أبو داود بسند جيد ، أن رسول الله ﷺ قال : « من تشبّه بقوم فهو منهم » .

وقال الشيخ : عبد الله بن محمد بن حميد ، سنة ١٣٨٤هـ :

ويل للإسلام من أهله

إن الإسلام بدأ يضعف في بلادنا ، وتخف سطوته في القلوب ، وتضعف عظمته في النفوس بما أصيب به من الويلات والمصائب ، التي جرها بعض المنتسبين إلى الإسلام نحو الإسلام .

فقد علم الناس أن تغيراً عقلياً ، وانحرافاً غريباً طرأ على أفكارهم ، وتدفق عليهم سيل المدنية الجارف ، فاستقبلوا ذلك البلاء العظيم بارتياح ، وقبول وصفاء بال ؛ وبادروا إلى إتقانه ، والدعوة إليه ، وذهلوا عن كل شيء سواه .

فكأنهم في سكرة من أمرهم ، وهذا مما جعل كل واحد من علماء المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، يشعر بالخطر المحدق به ، وبدينه ، وبأمته ، لأن الباطل في نمو وازدياد ، والحق في ضعف واختفاء .

والكثير من العلماء أو الأكثر : يتأففون من الحالة الراهنة ، ويظهرون التضجر والسّخط ، ويبدون التأثر والانفعال ، ولكن هذا لا يكفي لتلافي الأخطار المحدقة بالإسلام - وهي في نمو وازدياد - بل لا بد لدفع ذلك ، من اجتماعات إسلامية صادقة ، لتدارك ما فات ، وإصلاح ما فسد ، وإقامة ما اعوج .

إن الأمة الإسلامية : لا تكون ذات كيان عزيزة الجانب ، إلا إذا اجتمعت ، وتناصرت على جلب ما ينفعها ، ودفع ما يضرها ، في أمر دينها ودنياها ، كما قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة : ٢] .

وإليك : بعض ما قاله أعداء الإسلام في وصفهم للمسلمين ، حين عدلوا عن دينهم الإسلامي إلى ما سواه : لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم ، وجهلوا حكمه وأحكامه ، فشا فيهم فساد الأخلاق ؛ فكثر الكذب والنفاق والخيانة ، والتحاقد والتباغض ، وتفرقت كلمتهم .

وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما

يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر في إلحاق الضرر به .

فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا إلى السكون في كور بيوتهم ، يسرحون في مرعاهم ، ثم يعودون إلى مأواهم .

هذا وصفهم لحالة المسلمين حين جهلوا تعاليم هذا الدين القويم ، ورضوا منه بمجرد الانتساب إليه ، في حين أن الإسلام ، هو أجل دين على وجه الأرض ، لم ينزل على نبي من الأنبياء مثله ، ولا كان لأمة من الأمم نظيره .

فإنه دين الفطرة ، دين الرقي ، دين العدالة ، دين المدنية الفاضلة ، دين العمل ، دين الاجتماع ، دين التوادد والتناصح والتحابب ، دين رفع ألوية العلم ، والصنائع ، والحرف ، غير قاصر على أحكام العبادات والمعاملات .

بل شامل لجميع منافع العباد ومصالحهم ، على ممر السنين وتعاقب الدهور ، إلى أن تقوم الساعة ؛ والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وقال الشيخ : عبد الله بن محمد بن حميد ، رحمه الله[1] :

المولد النبوي الشريف

اعتاد كثير من الناس ، في مثل هذا الشهر ، شهر ربيع الأول من كل سنة ، إقامة الحفلات الرائعة ، لذكرى مولد الرسول ﷺ ، وذلك ؛ ليلة الثانية عشر منه ؛ قائلين : إنه عبارة عن إظهار الشكر لله عز وجل ، على وجود خاتم النبيين ، وأفضل المرسلين ، بإظهار السرور ، بمثل اليوم الذي ولد فيه ﷺ ، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار .

فنقول : لا شك أنه سيد الخلق وأعظمهم ، وأفضل من طلعت عليه الشمس ؛ ولكن : لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة ، والتابعين ؟ ولا الأئمة المجتهدين ، ولا أهل القرون الثلاثة ، الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخير ؟ مع أنهم أعظم محبة له منا ، وهم على الخير أحرص ، وعلى اتباعه أشد .

بل كمال محبته وتعظيمه ، في متابعته وطاعته ، واتباع أمره ، واجتناب نهيه ، وإحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك ، بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ،

---

(١) في رسالة نشرت في مجلة الحج في ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ.

والذين اتبعوهم بإحسان ، لا في إقامة تلك الحفلات المبتدعة ، التي هي من سنن النصارى .

فإنه إذا جاء الشتاء في أثناء كانون الأول ، لأربع وعشرين خلت منه ، بزعمهم أنه ميلاد عيسى ، عليه الصلاة والسلام ، أضاؤوا في ذلك الكهرباء ، وصنعوا الطعام ، وصار يوم سرور وفرح عندهم . وليس في الإسلام أصل لهذا ، بل الإسلام ينهى عن مشابهتهم ، ويأمر بمخالفتهم .

فقد قيل : إن أول من احتفل بالمولد النبوي ، هو : كوكبوري ، أبو سعيد بن أبي الحسن ، علي بن يكتكين ، التركماني ، صاحب « إرْبَلْ » أحدث ذلك في أواخر القرن السادس ، أو أوائل القرن السابع ، فإنه يقيم ذلك الاحتفال ليلة التاسعة ، على ما اختاره المحدثون ، من ولادته ﷺ تلك الليلة ، وتارة ليلة الثانية عشر ، على ما قاله الجمهور .

فهل كان التركماني ومن تبعه : أعلم وأهدى سبيلاً من خيار هذه الأمة ، وفضلائها من الصحابة ومن بعدهم ؟ في حين أنه لو قيل : إن يوم البعث أولى بهذا الشكر من يوم الولادة ، لكان أحرى ؛ لأن النعمة ، والرحمة ، والخير والبركة ، إنما حصلت برسالته ، بنص قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [النساء : ١٠٣] .

ومعلوم : أن كل بدعة يتعبد بها أصحابها ، أو تجعل من شعائر الدين ، فهي محرمة ، ممنوعة ، لأن الله عز وجل

أكمل الدين ، وأجمعت الأمة على أن الصدر الأول ، أكمل الناس إيماناً وإسلاماً .

فالمقيمون لتلك الحفلات ، وإن قصدوا بها تعظيمه ﷺ ، فهم مخالفون لهديه ، مخطئون في ذلك ؛ إذ ليس من تعظيمه : أن يبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير ، أو تبديل ؛ وحسن النية ، وصحة القصد : لا يبيحان الابتداع في الدين .

فإن جلّ ما أحدثه من كان قبلنا ، من التغيير في دينهم ، عن حسن نية وقصد ، وما زالوا يزيدون وينقصون ، بقصد التعظيم وحسن النية ، حتى صارت أديانهم خلاف ما جاءتهم به رسلهم .

وقال الشيخ : عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله :

ليس هذا ما يقوله ابن تيمية رحمه الله

قرأت في صحيفة الندوة بتأريخ ١٦/ ٤/ ١٣٨٢هـ ، كلمة بعنوان : « هذا ما يقوله ابن تيمية » حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، باسم الشيخ : محمد المصطفى الشنقيطي ؛ ومقاله يتضمن : أنه اطلع على جواب فضيلة الشيخ : يحيى عثمان المكي ، وعلى جوابنا ، حول إحداث بدعة ذكرى المولد النبوي .

أما نحن : فهذا ما نعتقده ، وندين الله به ، مستدلين بما ستراه إن شاء الله ، وكما هو معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأما الشيخ يحيى ، فكلامه لا شك أنه عين الصواب ، وهو عين كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، لمن يعقل ويفهم كلام المحققين .

وأما دعواكم بأنه بتر كلام الشيخ فهذا غير صحيح ، بل ساق منه ما هو المقصود ، وما يدل على الموضوع ؛ وكلام الشيخ صريح بكون ذكرى المولد بدعة ، لا يجوز بما نقله الشيخ يحيى ، وبما نقلتم أنتم أيضاً .

فإنكم نقلتم عنه ، إلى أن قلتم : قال رحمه الله : فتعظيم المولد ، واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله ﷺ ، كما قدمته لك : أنه يحسن من بعض الناس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد .

فهذا كلام الشيخ رحمه الله ، الذي تزعم أن الشيخ يحيى بتره ؛ والواقع أن هذا هو معنى كلام الشيخ السابق ، وهو يؤيد ما نقله الشيخ يحيى .

وبيان ذلك : أن الشيخ ابن تيمية ، قال فيما نقله عنه يحيى : والله يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد ، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً .

فتأمل كلام الشيخ تجده قد فرق بين المحبة

والاجتهاد ، وبين إحداث البدعة ، فرجا لهم المثوبة على المحبة والاجتهاد ، وأثبت عليهم حكم الابتداع ، بفعل ما لم يشرع .

فالمحبة للرسول مشروعة ، بل واجبة ؛ بل يجب تقديم محبته ﷺ على النفس ، وهذا أيضاً ، هو : معنى ما نقلتم ؛ فإن الشيخ رحمه الله ، يقول : قد يفعله ـ أي المولد ـ بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده ، وتعظيمه للرسول ﷺ ، كما قدمته لك : أنه يحسن من بعض الناس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد .

فكلام الشيخ رحمه الله ، صريح بأن هذا الفعل : يستقبح من المؤمن المسدد ، فهل يستقبح ما هو مشروع ؟! ، وهل نختار فعل المؤمن المسدد ؟ ، أو نختار فعل بعض الناس الذي حسن قصده ، ولكنه أخطأ الطريق بفعله ؟! .

وأمّا ما نقله شيخ الإسلام ، عن الإمام أحمد ، أنه قال في حق الأمير ، الذي أنفق على تحلية المصحف ألف دينار ، هذا خير ما أنفق فيه الذهب ، أو كما قال ؛ مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة ، اهـ .

فنقول : لا شك أن تحلية المصحف بألف دينار ، خير من إنفاقها على البغايا ، والخمور ، والمعازف ، ونحو ذلك ، وإنه لمن الإنصاف ، لو أكمل الشيخ المصطفى

الشنقيطي ، كلام شيخ الإسلام على هذه العبارة ولم يبترها .

وهو قوله : وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق ، والخط ، وليس مقصود أحمد هذا ، وإنما قصده : أن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها .

فهٰؤلاء : إن لم يفعلوا هذا ، وإلا اعتاضوا بها الفساد ، الذي لا صلاح فيه ، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور ، ككتب الأسمار ، والأشعار ، أو حكمة فارس والروم .

هذا كلام ابن تيمية يبين : أن تحلية المصحف بألف دينار ، خير من إنفاقها في كتب الفجور ، ونحوها .

ونحن نقول : إن ذكرى المولد النبوي مع اعتقادنا أنه بدعة ، خير من تعطيل حكم الشريعة ، وإباحة الزنا ، والخمور ، فمن فعل هذه الأشياء ، فبدعة ذكرى المولد أسهل منها ـ وهي محرمة ـ إلا أنها خير من سواها ، مما هو أشد تحريماً منها ، حنانيك : إن بعض الشر أهون من بعض .

وأما قولكم : إن الاستدلال بكلام الشيخ ابن تيمية مقلوب ، وأنه صريح في جواز عمل المولد ، فهذا افتراء على شيخ الإسلام ، وإلزام له بما لم يقل ، ولا يتحمله كلامه البتة ، ولم يفهمه أحد من المسلمين عنه .

ولكنه على حد فهمكم الخاطئ ، الذي لم يستطع التفرقة بين حسن القصد ، وبين سوء الفعل ، كما سبق توضيح كلام الشيخ رحمه الله .

ألم تر أنه ﷺ ، لما صنع خالد رضي الله عنه ما صنع في بني جذيمة ، لم يرض فعله ﷺ ، وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين .

فتبرأ من صنيع خالد ، ولم يتبرأ من خالد نفسه ، لحسن قصده ونيته ؛ فاتضح : أن المقلوب في الحقيقة ، هو : استدلالكم ، وإذا خفي كلام الشيخ عليكم فهو لا يخفى على القراء .

وأما نقلكم عن شيخ الإسلام : أن مرتكب البدعة لا ينهى عنها ، إذ كان نهيه يحمله إلى ما هو شر منها ، فهذا حق ، ولكنك أردت قياسه على مسألتنا ، وهو قياس مع الفارق ، وليس له في بحثنا صلة .

هل إذا منعنا بدعة المولد ، سيحدث ما هو أعظم منكراً منها ؟! .

ما هو الذي سيحدث بمنعها ؟! ، هل سيحدث سفك دماء ؟! ، أو شركيات ؟! ، أو بدع أشد منها ؟! ، لا ـ ولله الحمد ـ .

وهل إحداث المولد في ليلة ، أو ليلتين من السنة يمنع الناس من استعمال أغاني أم كلثوم ـ على حسب

زعمكم - ماذا تفعل تلك الليلة في جانب ليالي السنة كلها ؟! .

ولا شك : أن سماع سيرة الرسل ﷺ ، خير من استماع غيرها من الأشياء المباحة ، فضلاً عن الأشياء المنكرة ، ولكن تخصيصها بليلة واحدة معينة من ليالي السنة ، واتخاذها عيداً يتكرر ، كالأعياد التي شرعها لنا الإسلام ، لا شك أنه بدعة ، بل ينبغي أن تكون سيرته ﷺ ، في أغلب أيام السنة تقرأ ، من غير تخصيص لوقت معين .

ومما يدل على أنه بدعة ، ما يأتي :

أولاً : أنه لم يرد في كتاب ولا سنة ، والعبادات مبناها على الأمر .

ثانياً : قد ورد النهي عنها بقوله ﷺ في الحديث الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ثالثاً : لم يفعله أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا غيرهم من الصحابة والتابعين ، ولا من بعدهم من أئمة المسلمين .

رابعاً : هذا فيه المشابهة للنصارى بأعيادهم ، وقد نهينا عن التشبه بهم في عدة أحاديث ، كما لا يخفى على من عرف شيئاً من الشريعة الإسلامية .

ومن المستغرب : أنكم قلتم في مقالكم السابق ،

تأريخ ١٣٨٢/٤/٧هـ في صحيفة الندوة : إن بدعة المولد تلقته الأمة الإسلامية بالقبول ، فكأنكم جعلتم فعل الناس دليلاً على الجواز ، وهل هذا حجة؟ والسنة تردّه ؟! وهل ما يفعله العوام ، أو المنحرفون يحتج به على الشريعة ؟!

هل أجمع علماء الإسلام المحققون على جوازه ؟ مع أن الأمة التي تشير إليها ، قد أجمعت على وضع القانون بدلاً من الشريعة ، فهل يكون دليلاً على جواز إباحة الخمور ، والزنا ، عند التراضي ، والبناء على القبور ، والصلاة عندها ؟! هل يكون فعلهم دليلاً على جواز هذه الأشياء ؟!

وأما قولكم : إننا إذا لم نفعل ذلك - أي إحداث المولد - نكون موضعاً للوقوع في أعراضنا ، واتهامنا بعدم محبته ﷺ .

فنقول : كيف نتهم بذلك ، ونحن نعتقد أن الصلاة عليه ﷺ ركن من أركان الصلاة ، وأن من صلى ولم يصل على النبي فصلاته غير صحيحة ، فريضة كانت ، أو نافلة ، وهذا مذهبنا معشر الحنابلة دون غيرنا .

وأيضاً : وقوع مثل هذا لا يكون مسوغاً لنا على ترك الحق وعدم التمسك به ، فإن صاحب الحق قد يلقب بألقاب شنيعة تنفر عنه ، فالمشركون قالوا في حقه ﷺ إنه قطع أرحامنا ، وسفه أحلامنا ، وإنه كاهن ،

ومجنون ، وساحر ، إلى غير ذلك من الألقاب ، ولم يزده ذلك إلا تمسكاً بالحق ، وكذلك أتباعه من الأئمة وغيرهم من المحققين ، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

وأيضاً : هناك ألقاب في هذا الزمن لكل متمسك بدينه ، فتراه يُرمى بأنه رجعي ، وأنه متزمّت ، وضيق العطن ، إلى أمثال هذه الكلمات ، فهل ندع أوامر الشريعة للسلامة من هذه الألقاب ؟! .

ثم إنكم أيضاً : قلتم عن شيخ الإسلام ، إنه ابتدع مؤلفات كثيرة في حماية جانب الرسول ﷺ ، وهذا في الحقيقة اتهام للشيخ خاطئ ، وجهل وقصور متناهي منكم .

فشيخ الإسلام : لم يبتدع ، وإنما ينقل الآيات ، والأحاديث ، وكلام العلماء ويوضحها ، ويبين المراد منها ، وينفي عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وهو من أحرص الناس على الاتباع وترك الابتداع ، وكذا تلميذه العلامة ابن القيم على طريقته رحمه الله .

والواقع : أن بحث هذا الموضوع يستدعي كلاماً أبسط من هذا ، ولكن هذه إشارة ؛ وسنكتب ـ إن شاء الله ـ كلاماً أوسع ، وأجمع للأدلة من هذا ؛ وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

وسئل الشيخ : عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله[1] :

ما قولكم دام فضلكم وكثر النفع بعلومكم : عن الجن ، هل لوجودهم حقيقة ؟ أم لا ؟ وما حكم من أنكر وجودهم ؟ وهل لهم نفوذ في أجسام البشر أم لا ؟ لأن بعضهم أنكروا ذلك ، قائلين : إنما يحدث في بعض الناس هو من أخلاط في أعقل ، وهذيان كلام لا معنى له .

إنما هو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب في عملها منعاً غير تام ، وسببه أخلاط غليظة لزجة ، تسد منافذ بطون الدماغ سداً غير تام ، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه ، وربما كان لأسباب أخرى من شأنها تشنج بعض الأعضاء ، أو خلل في الأعصاب .

وإن الصرع داء عصبي يعتري المصابين به ، فيفقدهم حسهم وشعورهم ، ويصرعهم إلى الأرض ، ويجعلهم يتخبطون ؛ في بدء حصوله يكون الجسم متوتراً ، والوجه شاحباً ، ثم تحدث إرجافات شديدة ، وانطباقات في الفكين ، وخروج ماء الفم ممزوج بدم ، وتنضم اليدان إحداهما إلى الأخرى ، وبعد مضي بضع دقائق ، يعود المريض إلى حالته الأولى ، فيميل للنوم ، فينام ، ثم يستيقظ كأنه لم يطرأ عليه شيء .

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة الحج بتأريخ ١٦/ ١٢/ ١٣٧٧هـ.

فأجاب رحمه الله :

دلّت الكتب السماوية على وجود الجن حقيقة ، وأجمع المسلمون عليه ، بل : وعقلاء النصارى ، والمجوس ، والصابئون ، وهذا أمر معلوم حتى عند جاهلية العرب ، ولم ينكر وجودهم إلا جهلة الأطباء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين ، في وجود الجن ، وكذا جمهور الكفار ، لأن وجودهم تواترت به أخبار الأنبياء ، تواتراً معلوماً بالاضطرار ، يعرفه الخاصة والعامة ؛ قال : ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهلة الفلاسفة ونحوهم .

وقال : ليس الجن كالإنس في الحد ، والحقيقة ؛ فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد ، والحقيقة ، لكنهم شاركوهم في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، بلا نزاع أعلمه بين العلماء .

وقال ابن حزم في كتاب « الفيْصَلْ » : ووجود الجن جاءت به النصوص ، وأنهم : أمة عاقلة مميزة ، متعبدة ، موعودة متوعدة متناسلة يموتون ، وأجمع المسلمون على ذلك ؛ بل النصارى والمجوس ، والصابئون ، وأكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم .

وقال الإمام الماوردي : الجن من العالم الناطق المميز ، يتناسلون ، ويموتون ، وأشخاصهم محجوبة عن

الأبصار ، وإن تميزوا بأفعال وآثار ، إلا أن الله يخص برؤيتهم من يشاء .

وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلٰهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ـ إلى أن قال ـ فإن أنكر قوم خلق الجن ، ولم يؤمنوا بالكتب الإلٰهية ، قهرتهم براهين العقول ، وحجج القياس .

وقال أبو البقاء في كلياته : وجمهور أرباب الملل ، المصدقين بالأنبياء ، قد اعترفوا بوجود الجن ، واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة .

وقال ابن القيم رحمه الله في « زاد المعاد » في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان ، صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ؛ وصرع من الأخلاط الرديئة ؛ والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه .

وأما صرع الأرواح : فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرية العلوية ، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها ، وتعارض أفعالها ، وتبطلها .

وقد نص على ذلك بقراط في كتبه ، فذكر بعض علاج الصرع ، وقال : هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الاختلاط ، والمادة ؛ وأما الصرع الذي يكون من الأرواح ، فلا ينفع فيه هذا العلاج .

وأما جهلة الأطباء : فينكرون صرع الأرواح ، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع ، وليس معهم إلا الجهل ، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك ، والحس والوجود شاهدان به ، وإحالتهم ذلك على علية بعض الأخلاط ، هو : صدق في بعض أقسامه لا في كلها .

وقدماء الأطباء يسمون هذا الصرّاع : « المرض الإلٰهي » وقالوا من الأروح . وقال في الإقناع وشرحه : والمشهور أن للجن قدرة على النفوذ في بواطن البشر ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » .

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله : إذا أُوتي بالمصروع وعظ من صرعه ، وأمره ونهاه ، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود ، وإن لم يأتمر ، ولم ينته ، ولم يفارقه ، ضربه حتى يفارقه .

والضرب في الظاهر يقع على المصروع ، وإنما يقع في الحقيقة على من صرعه ، ولهذا يتألم من صرعه به ويصيح ، ويخبر المصروع إذا أفاق بأنه لم يشعر بشيء من ذلك ، ولو تتبعنا أقوال العلماء في هذا لكثر جداً .

أما حكم منكر الجن ، فإنهم مكذبون للقرآن العزيز ، والسنة النبوية ، ومخالفون لما أجمع عليه المسلمون ، كما قال تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون

القرآن) [الأحقاف : ٢٩] (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) [الجن : ١] وكما في خبر جن نصيبين الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ ، فاستمعوا قراءته ، وآمنوا به ، وصدقوه .

فظهر مما تقدم : إثبات وجود الجن حقيقة ، وكفر من أنكر وجودهم ، وأن لهم قدرة على النفوذ من بواطن البشر ، وأن الصرع صرعان ، صرع من الأرواح الشريرة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة ، لما نص عليه كثير من محققي العلماء ، رحمهم الله ، والله الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد :

تعقيب وتنبيه[1]

نشرت جريدة البلاد بعدديها ، الصادرين في ٦ محرم ، وفي ١٢ منه ، سنة ١٣٨٥هـ ، كلمتين للأستاذين الفاضلين : صالح محمد جمال ، وأخيه أحمد محمد جمال ، ومع شكري لهما وتقديري لمواقفهما الإسلامية ، بارك الله فيهما ، وفي علومهما ، غير أنه لا بد من إيضاح ما ورد من الخطأ في كلمتيهما .

قال الأخ الفاضل صالح في كلمته بعنوان : « الحج بين

(١) كتب هذا التعقيب والتنبيه، في آخر محرم سنة ١٣٨٥هـ.

التعسير والتيسير » ذكرني هذا الاقتراح ، بما يعمد إليه خطباء المساجد عندنا ، في كل عام في موسم الحج ، من إيراد صفة حج النبي ﷺ ، وحث الحجاج أن يحجوا كما حج تماماً . . . إلخ .

أقول : ناهيك بهذا شرفاً وفضلاً ، من أن المسلمين يحجون كما حج الرسول ﷺ ، وأن فيهم من يأمر بذلك ، ويحث عليه ، ويرغب فيه ؛ فإن الله أمرنا باتباعه ، والتمسك بهديه .

فقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب : ٢١] وقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه) [الحشر : ٧] فهل يجوز لنا أن نغير في شرع الله ودينه ؟ وفي صفة الحج وهيئته ؟ بحجة الفروق الزمنية ، واختلاف الوسائل العصرية ؟! فيختص الشرع في أناس كانوا فبانوا ؟!! .

لا أظن أن أحداً من المسلمين يقول بهذا ، أو يعيب على من حث بالاقتداء بالنبي ﷺ ، في الحج ، أو الصلاة ، أو الزكاة ، والصوم ، وغيرها من شرائع الإسلام ، فقد قال عبد الله بن مسعود : اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم ؛ وقال : إنكم اليوم على الفطرة ، وإنكم ستحدثون ، ويحدث لكم ، فإذا رأيتم ذلك ، فعليكم بالهدي الأول .

مع أن الحث هو الحض ، والترغيب ، وليس الإلزام ،

والإيجاب ، فهل يريد الأخ أن لا يذكر شيء أبداً ؟! مما جاء عن النبي ﷺ في صفة الحج ؟! .

ثم قال الأخ : ويحذروهم من الذبح بمكة ، لأنه غير جائز ، ووجوب الذبح بمنى! لا أظن هذا صحيحاً ، فإن الذبح بمنى وبمكة جائز ، لما روى أبو داود ، وابن ماجه وغيرهما ، عن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « منى منحر وفجاج مكة كلها منحر » .

ثم قال الأستاذ : ولو أراد الحجيج كلهم أن يأخذوا بدعوة هٰؤلاء الخطباء لدقّت الأعناق . . . إلخ .

أقول : لو تمسك الناس بحج رسول الله ﷺ ، لوجدوا فيه الخير والبركة والهدوء ، والراحة التامة ، فهذا الحجيج ينصرفون من عرفات إلى مزدلفة دفعة واحدة ، وما دقّت الأعناق ، ولا كسّرت الرواحل ، ولا تعطلت الحركة ، وما حصل إلا الخير .

ثم هم ينفرون من منى دفعة واحدة إلى مكة ، ولا يبقى إلا القليل على كثرتهم ، وهٰؤلاء الخطباء لم يأتوا بشيء من عندياتهم ، أو استحساناتهم ، حتى نترك أقوالهم ، أو يمنعون من صيغ الخطب ، التي يلقونها ، وهي : إيراد صفة حج النبي ﷺ كما تفضلتم بذلك .

وبعد أن فرض الحج : أمر الرسول ﷺ أن ينادي في الناس ، بأنه سيحج هذا العام ، ليقتدوا بأفعاله ، وليعلمهم

طريقة أداء المناسك ، فهل الرسول ﷺ ، أراد من هذا العمل ، ومن قوله ﷺ : « خذوا عني مناسككم » تكليف أمته والشق عليهم ؟! ، لا والله .

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة : ١٢٨] وإذا لم نتبع هدي الرسول ونقتدي به ، فمن نتبع ؟ وكيف نعلم الجاهل ، إذا كان حج الرسول ﷺ فيه تكليف ؟!

ثم قال الأخ صالح : ولولا رحمة الله التي تمثلت في اختلاف المذاهب الأربعة ، لكان الحج عملية جد شاقة .

أقول : أصحاب المذاهب الأربعة لم يقصدوا مخالفة النبي ﷺ لغرض التوسعة على الناس ؛ وليست أقوالهم شرعاً يتبع ، إذا خالفت النص ؛ بل كل منهم يتحرى ما أمر به الرسول ﷺ ، أو فعله ، أو أقره ، لا أنهم يأتون بأحكام جديدة لم تستند على دليل .

وهذا الاختلاف : إنما نشأ عن حسن نية وتطلب للحق ، وإلا فكلهم مجمعون ، على أن أي قول يقولونه ، مخالف لهدي رسول الله ﷺ ، يضرب به عرض الحائط ؛ قال هذا المعنى أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي وأحمد .

والخلاف : ليس رحمة ، بل هو مذموم ، ذمه القرآن ، والسنة (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) [الأنعام : ١٥٨] (ولا يزالون مختلفين ، إلا من

رحم ربك) [هود : ١١٨، ١١٩] (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران : ١٠٣] .

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات) [آل عمران : ١٠٥] (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى) [النساء : ١١٥] .

ولو كان الخلاف رحمة لما كان الإجماع ـ الذي هو الأصل الثالث ـ حجة .

وفي حديث العرباض بن سارية : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

وجاء في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال : هَجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ يوماً ، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج رسول الله ﷺ يرى في وجهه الغضب ، قال : « إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم في الكتاب » .

وفي حديث آخر : « أبهذا أمرتكم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟! وإنما أهلك من كان قبلكم كثرة التنازع في أمر دينهم ، واختلافهم على أنبيائهم » .

وبالجملة : فهذه الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، كلها تذم الاختلاف ، وتعيبه ، وتمنع منه ، وما يُروَى : « اختلاف

أمتي رحمة » لا أصل له ، كما قاله السيوطي ، وابن الديبع ، والسخاوي في المقاصد الحسنة .

بل الرحمة ، والخير ، في الاجتماع ؛ والشر ، والبلاء ، في الفرقة والاختلاف ؛ ومعناه ليس بصحيح ، لأن المعنى : يكون الحث على الاختلاف ، والتفرق ، وعدم الاتفاق ، طلباً لتوسعة الرحمة .

والذي تعطيه عبارة الأخ في قوله : ولولا رحمة الله ، التي تمثلت في اختلاف المذاهب الأربعة ، ... إلخ ؛ ما يدل على أن الرحمة ، لم تتمثل وتحصل إلا بعد وجود هذه المذاهب الأربعة ، وكثرة الخلاف ؛ وأعتقد أن الأخ لا يقصد هذا ، وإنما هي سبقة قلم .

قال الأخ : ولو أراد الحجيج كلهم أن يخرجوا دفعة واحدة من مكة ، فيخرجوا يوم التروية ، متجهين إلى منى ، ليصلوا بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وفجر اليوم التاسع ، ثم يتحرك كل الحجيج دفعة واحدة أيضاً إلى عرفات ، لو وقع هذا فعلاً ، لما تحركت سيارة واحدة من مكة - إلى أن قال - ولو تحركوا من منى كلهم في صبيحة اليوم التاسع ، لانتهى وقت الوقوف قبل أن يصل كل الحجيج إلى عرفات .

أقول : لو خرجوا دفعة واحدة لتيسر أمرهم ، ما داموا متبعين لهدي الرسول ﷺ ، ولوجدوا فيه الراحة ،

والطمأنينة ، وهذا يحصل فعلاً بدفعهم من عرفات إلى مزدلفة ، وكالنفر الأول من منى إلى مكة ، ولا يحصل إلا الخير .

ومع هذا : فإن الخطباء لم يقرروا وجوب الخروج في اليوم الثامن ؛ بل لو خرج الحجيج قبله أو بعده ، إلى عرفات ، جاز ، والمبيت بمنى الليلة التاسعة ، سنّة بغير خلاف ، ثم لو لم يأت عرفة إلا ليلة النحر قبل طلوع الفجر ، صح حجه .

ثم قال الأخ صالح : ولم يكن الحج عند إصدار هذه التشريعات ، بهذه الكثرة ، وبهذه الوسائل ، فكيف لو شاهد واحد منهم ، هذا الذي يلقاه الحجاج الآن ؟ مما يجعل إلزام الحاج ، بأن يحجوا كما حج الرسول ﷺ ، أمراً يكاد يكون مستحيلاً ، فهل الكثرة وتلك الوسائل المريحة ، تكون سبباً لتغيير الأحكام الشرعية ؟!

بل إن هذه الأزمنة ، أسهل وأيسر في حق الحجاج من الزمن الأول ، لعدم توفر المياه في ذلك الوقت ، ولصعوبة المسالك ، ولحاجتهم الشديدة إلى نقل كل ما يحتاجونه ، من ماء وغيره ، لبعد المسافات على الرواحل ، ولعدم وجود ما يحتاجونه ، من الأطعمة في عرفات ، ومزدلفة ، ومنى ، والذين حجوا مع النبي ﷺ ، بلغ عددهم مائة وأربعة وعشرين ألفاً .

وقد ذكر بعض المؤرخين : أن عدد الحجاج في أواخر خلافة بني العباس ، قد بلغ ستمائة ألف ؛ فقارن نسبتهم مع نسبة عدد الحجاج في هذا الزمن ، مع اعتبار وسائل النقل ، وفي زمننا كل شيء متيسر ـ ولله الحمد ـ من المياه ، والمطاعم ، ووسائل النقل ، وغيرها .

وأحب أن أذكر الأخ : أن الحج ليس مجرد نزهة فقط ، لا يتحمل الإنسان منه أدنى مشقة أو تعب ، لا ، بل أخبر الرسول ﷺ : أن الحج من الجهاد ، والجهاد معروف ما يتحمله الإنسان في سبيله ، وكما يدل عليه قوله تعالى : (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) [النحل : ٧] .

وقول الأخ صالح : فكيف لو شاهد واحد منهم هذا الذي يلقاه الحجاج الآن ؟ مما يجعل إلزام الحاج أن يحج كما حج النبي ﷺ أمراً ، يكاد يكون مستحيلاً .

هذه عبارة لا ينبغي أن تصدر من عاقل فضلاً عمن عنده أدنى علم ؛ فهل يسوغ لنا أن نغير في العبادات الشرعية بحجة الكثرة ؟ يشرع للناس وقوفاً في اليوم الثامن وفي اليوم التاسع ، أيشرع للناس ترك رمي الجمار نظراً للكلفة والمشقة ؟! ، أيشرع للناس اختصار الطواف والسعي خمسة أشواط بدلاً من سبعة ؟! نظراً للكثرة والمشقة !! .

وقوله : يكاد يكون الاقتداء بالنبي ﷺ أمراً مستحيلاً

ليس هو ـ والحمد لله ـ بالمستحيل ، بل هو متيسر سهل ، فلا نزيد ولا ننقص « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وإذا كان الاقتداء بالنبي ﷺ مستحيلاً ، فمن الذي يجب أن يقتدى به ، وتكون طريقته أسهل وأيسر من النبي ﷺ ؟ أم نقول للناس تخبطوا في متاهات الجهل ، وحجوا كما أردتم ، بدون الاقتداء بأحد ؟! .

وقوله : لم أسمع خطيباً يحاول التيسير على الحجاج ، فيقول لهم مثلاً : إن الإمام مالك ، أجاز المكث في مزدلفة ، بقدر حط الرحال .

أقول : ليس التيسير من جهة الخطباء ، ولا من غيرهم ، بل هي السنة ؛ والإمام مالك إذا كان يرى إجزاء المكث بمزدلفة بقدر حط الرحال ، فإن من الصحابة من قال : إن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة ، قال بهذا ابن عباس ، وابن الزبير رضي الله عنهما .

وقال به من التابعين : إبراهيم النخعي ، والشعبي ، وعلقمة ، والحسن البصري ، والأوزاعي ، وحماد ابن أبي سليمان ، وداود الظاهري ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام ، وابن جرير ، وابن خزيمة ، وهو أحد الوجوه للشافعية ، وأكثر العلماء يقولون بوجوبه . والمسلمون مأمورون باتباع نبيهم ﷺ ، لا باتباع مالك ، ولا أحمد ، ولا غيرهما .

قال شيخ الإسلام : وأجمع العلماء على تحريم الحكم والفتيا بالهوى ، وبقول ، أو وجه من غير نظر في الترجيح ؛ والإمام مالك يقول : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وقوله : لم أسمع واحداً منهم قط ، قال لهم : إمضاء يوم الثامن بمنى إلى فجر يوم التاسع مجرد سنة ، أنفي سمعك يدل على أنهم لم يقولوه؟ بل كلهم مجمعون فيما علمت على أن الخروج في اليوم الثامن ، والمبيت بمنى تلك الليلة سنة ، وأنه لو لم يخرج إلى عرفات ، إلا ليلة النحر قبل طلوع الفجر صح حجه .

وقوله : أما وجوب ذبح الهدي بمنى ، فإني ألاحظ عليهم ، وعلى أكثرية خطباء المسجد الحرام : تحذير الحجاج من الذبح بمكة ، والفتوى بعدم إجزائه!!

لا يقول بهذا أحد منهم ، بل الذي عليه أكثر العلماء ، من الشافعية ، والحنابلة ، جواز الذبح بمكة ، وعدم وجوبه بمنى ، لحديث جابر السابق .

قوله : وأسلوب الرسول ﷺ في توجيه الحجيج ، الذي كان يقوله لكل سائل : افعل ولا حرج!!

لم يقل الرسول ﷺ لكل سائل افعل ولا حرج ، إلا فيما يحصل به التحلل ، فهذا عروة بن مضرس ، جاء يسأل الرسول ﷺ ، ولم يقل له : افعل ولا حرج .

قال عروة : جئت من جبل طيئ أتعبت نفسي ، وأكللت راحلتي ، فما من جبل إلا وقفت عنده ، فهل لي من حج ؟ قال ﷺ : « من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً ، فقد تم حجه ، وقضى تفثه » .

فراعى الرسول ﷺ الترتيب ، ولم يقل له : افعل ولا حرج ، مع أن السائل ، قال : أتعبت نفسي ، وأكللت راحلتي ؛ فهل : لو رمى الجمار يوم عرفة - بأن قدمه على يوم النحر - هل يجزئه بحجة : افعل ولا حرج ؟! ، أو طاف طواف الإفاضة في اليوم التاسع ، فهل يكفيه بحجة : افعل ولا حرج ؟! .

وإنما قال النبي ﷺ لمن سأله يوم النحر : ذبحت قبل أن أرمي ؟ ، قال : ارم ولا حرج ؛ قال آخر : رميت قبل أن أذبح ؟ قال : اذبح ولا حرج ؛ فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر ، إلا قال : افعل ولا حرج .

والمراد به ، هو : ما يحصل به التحلل يوم العيد ؛ لقوله : فما سئل يومئذ ؛ ولم يقل لكل سائل : افعل ولا حرج ؛ وقصة كعب بن عجرة أيضاً معروفة معلومة ؛ انتهى المراد من كلمة الأخ : صالح .

ولي على كلمة الأخ : أحمد محمد جمال ، المنشورة في جريدة البلاد ، في العدد الصادر بتأريخ اثنا عشر منه : خمس ملاحظات :

أولاً قوله : وأردف الفقيه العربي ، أن مذهب الشافعي : جواز الذبح طيلة العام .

أقول : لم يكن هذا هو مذهب الشافعي الصحيح ، بل قوله موافق لقول الجمهور ، كما دلت عليه النصوص النبوية ، من تخصيص الذبح في أيام التشريق ، كما قاله الحافظ ابن كثير وغيره ، ونقله عنه الموفق ابن قدامة في المغنى ، وكما في الأم له رحمه الله .

ثانياً : نقله عن الفقيه العربي قوله ، ويمنع في الوقت نفسه ، الخطباء والوعاظ ، الذين يحرمون الذبح في غير منى ؛ لو تفضل الأخ الفقيه ، وأعلن بأسماء الذين يمنعون من ذلك لكان أليق ؛ فإن الجمهور من العلماء : يجوزون الذبح بمكة ، كمنى ، لحديث جابر السابق .

ثالثاً : نقله استنكار الفقيه العربي : أن يجمد الخطباء والوعاظ على الحث للحجاج ، باقتفاء سنة الرسول ﷺ في حجه من حيث المبيت بمنى ليلة التاسع ، وفي المزدلفة ليلة العاشر ، مع أنهم يعلمون علم اليقين : أن ذلك مستحيل على كافة الحجاج . . . إلخ .

أعظم بها من منقبة وأكرم بها من طريقة سامية ، كيف لا يقتدى بسيد الخلق ، وإمام المرسلين الذي أمرنا باتباعه ، والتمسك بهديه ، والاقتداء بأفعاله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب : ٢١] (وإن تطيعوه تهتدوا) [النور : ٥٤] .

وقال ﷺ : « خذوا عني مناسككم » في حين أن المبيت بمنى ليلة التاسع سنة إجماعاً ، لأحاديث دلت على ذلك ، والمبيت بمزدلفة واجب عند كثير من أهل العلم .

وآخرين قالوا إنها ركن من أركان الحج ، لا يتم الحج بدون المبيت بمزدلفة ، كما تقدم ، لحديث عروة بن مضرس : « من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع » الحديث .

رابعاً : قوله : وإن الفقهاء قبلهم قد أوضحوا السنة من الواجب ، من مناسك الحج ، وبذلك يسروا على الحجاج ؛ فهل التيسير من الفقهاء ؟! ، أهم مشرعون من عندياتهم ؟! ، أم مجتهدون ، يتحرون الدليل ، ويلتمسون الصواب ، ويتطلبون الاقتداء بنبيهم ﷺ في صفة الحج وغيره .

وكلهم يعلمون ، أن التيسير ليس من قبلهم ، ويعلمون أن الرسول ﷺ ، قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ويعلمون أن الرسول ﷺ ، قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، وإياكم ومحدثات الأمور » .

نقل الأستاذ أحمد ، عن الفقيه العربي ، بأنه سيصدر فتوى لحجاج بلاده بجواز التصدق بثمن الهدي عند الحاجة إليه ، فهلا يتكرم بإصدار فتوى بجواز التصدق ، بتكاليف الحج ، بدلاً من الحج ؟! ويسقط عنهم حجة الإسلام ؛ فمتى جاز في البعض جار في الكل .

وقل للعيون الرمد للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً أطفأ الله نورها ... بأهوائها لا تستفيق ولا تعِ

ففتواه هو وغيره ما لم تستند على دليل شرعي غير معتبرة .

وليس كل خلاف جاء معتبرا ... إلا خلافاً له حظ من النظر

وختاماً : أشكر للأستاذين الجليلين ، أن أتاحا لي الفرصة للاشتراك بإبداء رأيي في الموضوع ؛ والله الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل .

وقال الشيخ : عبد العزيز بن باز[1] في ردّه على عبد الله السعد[2] :

فألفيت الكاتب : قد أساء الظن بالإخوان المتطوعين ، القائمين بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في « الرياض » وملحقاتها .

ووصفهم بأنهم مخدوعون ، ومتشددون ، ومحاربون للجديد ، إلى غير ذلك مما وقع في كلامه من الأخطاء .

وقد رأيت أن أنبه في هذه الكلمة ، على ما وقع في مقاله ، من الأخطاء ذات الأهمية ، نصحاً له ولسائر الأمة ،

---

(١) في رسالته: « الأدلة الكاشفة » لأخطاء بعض الكتاب.

(٢) الذي نشر مقاله في صحيفة البلاد، تحت عنوان « احذروا الغلو » بتأريخ ١٢/ ٢/ ١٣٨٥هـ.

ودفاعاً عن الإخوان ، فيما نعلم براءتهم منه ، وتحريضاً له ولغيره من الكتاب ، على التثبت في القول ، ولزوم الاعتدال في الحكم ، والحذر من سوء الظن الذي لا ينبني على أساس مستقيم .

وإلى القارئ : تفصيل القول ، فيما وقع في مقال الكاتب : عبد الله السعد ، من الأخطاء التي تستحق التنبيه عليها ، والإنكار على قائلها ؛ فنقول ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به :

أمّا ما ذكره الكاتب : عن مضار الغلو والتشديد ، فصحيح ، ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة ، جاءت بالتحذير من الغلو في الدين ، وأمرت بالدعوة إلى سبيل الحق بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

ولكنها مع ذلك لم تهمل جانب الغلظة والشدة في محلها ، حيث لا ينفع اللين ، والجدال بالتي هي أحسن ، كما قال سبحانه : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) [التوبة : ٧٣] .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) [التوبة : ١٢٣] وقال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) الآية [العنكبوت : ٤٦] .

فشرع الله سبحانه لعباده المؤمنين ، الغلظة على الكفار ، والمنافقين ، حين لم تؤثر فيهم الدعوة بالحكمة واللين ؛ والآيات : وإن كانت في معاملة الكفار ، دالة على أن الشريعة إنما جاءت باللين في محله حين يرجى نفعه .

أما إذا لم ينفع ، واستمر صاحب الظلم ، أو الكفر ، أو الفسق في عمله ، ولم يبال بالواعظ والناصح ، فإن الواجب الأخذ على يديه ، ومعاملته بالشدة ، وإجراء ما يستحقه ، من إقامة حدّ ، أو تعزير ، أو تهديد ، أو توبيخ ، حتى يقف عند حدّه ، وينزجر عن باطله .

ولا ينبغي للكاتب وغيره : أن ينسى ما ورد في هذا من النصوص ، والوقائع من حين بعث النبي ﷺ إلى عصرنا هذا ؛ وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنى :

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب ... وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

والخلاصة :

أن الشريعة الكاملة : جاءت باللين في محله ، والشدة في محلها ، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك ؛ ولا يجوز أيضاً : أن يوضع اللين في محل الشدة ، ولا الشدة في محل اللين .

ولا ينبغي أيضاً : أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت

باللين فقط ، ولا أنها جاءت بالشدة فقط ؛ بل هي شريعة حكيمة كاملة ، صالحة لكل زمان ومكان ، ولإصلاح كل أمة ، ولذلك جاءت بالأمرين معاً ، واتسمت بالعدل والحكمة والسماح .

فهي شريعة سمحة ، ليسر أحكامها ، وعدم تكليفها ما لا يطاق ، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين ، والحكمة ، والرفق ؛ فإذا لم يؤثر ذلك ، وتجاوز الإنسان حدّه ، وطغى ، وبغى ، أخذته بالقوة والشدة ، وعاملته بما يردعه ، ويعرّفه سوء عمله .

ومن تأمل : سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين ، وصحابته المرضيين ، وأئمة الهدى بعدهم ، عرف صحة ما ذكرناه[١] .

ومما ورد في اللين قوله تعالى : ﴿فبما رحمة من الله

---

(١) من ذلك: ما أرشد الله إليه نبيه ﷺ في معاملة من أراد التحاكم إلى الطاغوت مع دعواه الإسلام، فقال تعالى، في حقه في سورة النساء [٦٣]: ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ وكل من دعا إلى نبذ مبادئ الإسلام، وهو في صف المسلمين، فينبغي أن يعامل معاملة تردعه هو وأمثاله، وإلا تجرأ الفسقة والمارقون؛ والمسؤول عن هذا المقام: الإمام الأعظم ونوابه.

لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) الآية [آل عمران : ١٥٩] وقوله تعالى ، في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون : (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) [طه : ٤٤] وقوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) الآية [النحل : ١٢٥] .

ومما ورد في الشدة : الآيات المتقدم ذكرها[1] ومن الأحاديث : ما رواه أحمد ، وأبو داود وغيرهما ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ لما تلى قوله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ، وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [المائدة : ٧٨، ٧٩] .

قال : « والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، ولتأخذنّ على يد السفيه » وفي لفظ آخر : « على يد الظالم » « ولتأطرنّه على الحق أطراً ، أو لتقصرنّه على الحق قصراً ، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » .

---

(١) في صفحة ١٣٢.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب ، إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم » وروى عنه ﷺ أنه قال : « لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم » .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله من نبي في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره .

ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ، معلومة لدى أهل العلم ، وقد هجرهم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم خمسين ليلة ، حتى تابوا ، فتاب الله عليهم ، وأنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ إلى قوله : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلّفوا ﴾ الآية [التوبة : ١١٧، ١١٨] .

فمما تقدم من الآيات ، والأحاديث ، يعلم الكاتب وغيره من القراء : أن الشريعة الإسلامية الكاملة ، جاءت باللين في محله ، والغلظة والشدة في محلها ؛ وأن المشروع للداعية إلى الله : أن يتصف باللين والرفق ، والحلم والصبر ، حتى يكون ذلك أكمل في نفع دعوته والتأثر بها ، كما أمره الله بذلك ، وأرشد إليه رسوله ﷺ .

وأن يكون على علم وبصيرة فيما يدعو إليه ، وفيما ينهى عنه ، لقول الله سبحانه : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة) [يوسف : ١٠٨] .

ولا ينبغي للداعية أن يلجأ إلى الشدة والغلظة ، إلا عند الحاجة والضرورة ، وعدم حصول المقصود بالطريقة الأولى ؛ وبذلك يكون الداعي إلى الله سبحانه : قد أعطى المقامين حقهما ، وترسم هدي الشريعة في الجانبين ؛ والله الموفق .

ونحن في هذا : لا نقصد موافقة الكاتب على ما نسبه للإخوان من التشديد ، فالذي عرفنا عنهم خلاف ذلك ، فهم - بحمد الله - على بينة وبصيرة ، ويعاملون الناس بالتي هي أحسن ، ويوجهونهم إلى الخير ، تحت إرشادات علماء البلاد ، والمسؤولين فيها .

ولو فرضنا أنه وقع من بعضهم خطأ ، أو تشديد في غير محله ، فليسوا معصومين ، والواجب تنبيههم ،

وإرشادهم إلى ما قد يقع منهم من الخطأ ، حتى يحذروه مستقبلاً .

وكان الواجب على الكاتب ، حين بلغه عنهم ما يعتقده خلاف الشرع : أن يتصل بأعيانهم مشافهة أو كتابة ، ويناصحهم فيما أخذ عليهم ، أو يتصل بسماحة المفتي ، أو رئيس الهيئات ، ويبدي ما لديه حول الإخوان من النقد ، حتى يوجههم المشائخ إلى الطريق السوي .

أما أن يكتب في صحيفة سيارة ، ما يتضمن التشنيع عليهم ، والحط من شأنهم ، ووصفهم بما هم بُرءَاء منه ، فهذا لا يجوز من مؤمن يخاف الله ويتقيه ، لما فيه من كسر شوكة الحق ، والتثبيط عن الدعوة إليه ، والتلبيس على القراء ، ومساعدة السفهاء والفساق على باطلهم ، وعلى النيل من دعاة الحق .

والله المسؤول أن يسامحنا وإياه ، وأن يوفق الجميع للتوبة النصوح ، والاستقامة على الحق ، ومناصرة الداعين إليه ، إنه خير مسؤول .

وأما قوله : وأنا لا أنكر على كل مؤمن أن يرشد إلى الخير ، ويوجه إلى الرشد ، ويستنكر الشر ، ويلفت النظر إليه بأخلاق القرآن والسنة ؛ وهي : اللطف واللين ، والروية ؛ أما إذا اتسمت أقواله أو أفعاله بالقسوة والشدة ، فإن ذلك ليس من حقه .

لأنه غير مأذون ، ولا مكلف من جهة أسند إليها هذا الأمر ، وغاية ما في الأمر : أن يستنكر ما يراه منكراً بقلبه ، وهو أضعف الإيمان لغير المسؤول .

قد يكون هذا الأمر مستساغاً ومقبولاً في جماعة ، أو أمة ، ليس فيها أجهزة حكومية ، خصصت لهذا الواجب ، ولكنه غير لازم ، ولا مقبول إلى جانب السلطات الحكومية المكلفة .

فهذا الكلام فيه حق وباطل وإيهام ، وإليك أيها القارئ بيان ذلك بالتفصيل .

أما قوله : إنه لا ينكر على كل مؤمن ، أن يرشد إلى الخير ، ويوجه إلى الرشد . . . إلخ ؛ فهذا حق ، والواجب على كل من لديه بصيرة ، أن يقوم بذلك ، وهو سبيل نبينا محمد ﷺ ، وسبيل أتباعه على بصيرة ، كما قال تعالى : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) [يوسف : ١٠٨] .

فهذه الآية الكريمة : ترشد إلى أن أتباع النبي ﷺ ، على الكمال ، هم أهل البصيرة والدعوة إلى الحق ، وقال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) [النحل : ١٢٥] .

وهذه الآية العظيمة ، وإن كان الخطاب فيها موجهاً إلى رسول الله ﷺ ، فالمراد بها جميع الأمة ، وقد أوضح الله فيها سبيل الدعوة ومراتبها .

فالواجب على الدعاة : أن يسيروا في دعوتهم ، إلى الله سبحانه على ضوئها ، وعلى الطريقة التي رسمها الله فيها ، سواء كان المدعو كافراً ، أو مسلماً ، إلا من ظلم وعاند ، فقد تقدم في الأدلة السابقة ، ما يدل على شرعية الغلظة عليه ، ومعاملته بما يستحق ، في حدود الشريعة الكاملة .

وأما قول الكاتب : أما إذا اتّسمت أقواله وأفعاله ، بالقسوة والشدة ، فإن ذلك ليس من حقه ، لأنه غير مأذون ، ولا مكلف من جهة أسند إليها هذا الأمر ؛ وغاية ما في الأمر : أن يستنكر ما يراه منكراً بقلبه ، وهو أضعف الإيمان لغير المسؤول .

فهذا فيه إجمال وخطأ ظاهر ، يتضح مما تقدم ؛ وذلك : لأن المطلوب من جميع الدعاة ، سواء كانوا مسؤولين من جهة الحكومة ، أو متطوعين ، أن يكونوا في دعوتهم على المنهج الشرعي ، وأن لا تتسم أقوالهم وأفعالهم ، بالقسوة والشدة ، إلا عند الضرورة إليها ، كما سبق ، وكلام الكاتب يوهم خلاف ذلك .

وقوله : وغاية الأمر . . . إلخ . هذا خطأ واضح .

والصواب : أن مراتب الإنكار الثلاث ، مشروعة للمسؤول ، وغيره ، وإنما يختلفان في القدرة ، فالمسؤول من جهة الحكومة أقدر من غيره ، والإنكار بالقلب هو

أضعف الإيمان ، في حق العاجز عن الإنكار ، باليد واللسان ، سواء كان مسؤولاً ، أو متطوعاً ، وهو صريح الحديث الشريف ، ومقتضى القواعد الشرعية .

وأما قول الكاتب : قد يكون هذا الأمر مستساغاً ومقبولاً ، في جماعة أو أمة ، ليس فيها أجهزة حكومية ، خصصت لهذا الواجب ؛ ولكنه غير لازم ولا مقبول إلى جانب السلطات الحكومية المكلفة ، ففيه نظر ظاهر أيضاً .

وهذا الأسلوب الذي أطلقه الكاتب ، ليس أسلوباً علمياً ، ولا منسجماً مع الأدلة الشرعية ؛ لأن الدعوة إلى الله سبحانه ، وتعليم الناس ما يجهلونه من شرع الله ، لا ينبغي أن يعبر عنه بمثل هذا الأسلوب .

بل ينبغي أن يعبر عنه بأسلوب الحث والترغيب ، ولا سيما في الأمم والجماعات المحتاجة إلى ذلك ، فإن دعوتهم ، وإرشادهم إلى ما يجب عليه من شرع الله ، من الأمور المتعينة على ولاة الأمر ، وعلى أهل العلم حسب القدرة ، فكيف يعبر عن مثل هذا الأمر العظيم ، يقول الكاتب : قد يكون هذا الأمر مستساغاً ومقبولاً . . . إلخ ؟! .

وأما قوله : ولكنه غير لازم ، ولا مقبول إلى جانب السلطات الحكومية المكلفة ؛ فهذا خطأ ظاهر أيضاً . لأن الأجهزة ، والسلطات الحكومية ، إن كانت قد قامت بواجب

الدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فمشاركة غيرها لها في ذلك ، من المتطوعين حسن جداً ، ومطلوب شرعاً ، لأنه من باب التعاون على البر والتقوى ، والمشاركة في جهاد شرعي ، وتوجيه صالح .

فصارى ما هنالك : أن الأجهزة ، والسلطات الحكومية ، قد أدت فرض الكفاية ، وصار القيام من غيرهم لمشاركتهم من باب السنن والتطوع ، وذلك من أفضل العبادات ، وأحبها إلى الله سبحانه .

وأما إن كانت الأجهزة والسلطات الحكومية ، لم تقم بالواجب على الوجه الأكمل ، كما هو الواقع ، فإن مشاركة غيرهم لهم في ذلك متعينة ، لأن فرض الكفاية لم يسقط بهم .

وقد تقرر في الأدلة الشرعية : أن الدعوة إلى الله سبحانه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ، إذا قام بها من يكفي سقط الفرض عن الباقين ، وصارت المشاركة فيها في حق الباقين سنة ، وإن لم يقم بها من يكفي أثم الجميع .

وقد يكون الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فرض عين ، وذلك في حق من يرى المنكر ، وليس هناك من ينكره ، وهو قادر على إنكاره ، فإنه يتعين عليه إنكاره ، لقيام الأدلة الكثيرة على ذلك .

ومن أصرحها : قول النبي ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » أخرجه مسلم في صحيحه .

والإنكار بالقلب : فرض على كل واحد ، لأنه مستطاع للجميع ، وهو بغض المنكر ، وكراهيته .

ومفارقة أهله عند العجز عن إنكاره باليد ، واللسان ، لقول الله سبحانه : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ الآية [١٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ [الفرقان : ٧٢] ومعنى لا يشهدون الزور : لا يحضرونه ؛ والزور : يشمل كل منكر .

ويدخل في ذلك الشرك ، والكفر ، وأعياد المشركين ، والاجتماع على شرب الخمور ، والتدخين ، والأغاني ، وآلات الطرب ، وأفلام السينما ، وأشباه ذلك من المنكرات ، ذكر معنى ذلك ، الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية .

وذكرى البغوي رحمه الله ، عند تفسيرها قريباً من ذلك ، وقال : أصل الزور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ، وهذا هو الواقع من أهل الباطل .

فإنهم يحسّنون المنكرات ، بوصفها بغير حقيقتها ، حتى يرغب فيها الناس ، وحتى لا ينفروا منها ، فيكون على فاعل ذلك إثم ما عمل ، وإثم الدعوة إليه ، وأعظم من ذلك ، الدعوة إليها بالقول .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » والأدلة في هذا المعنى كثيرة .

وقول الكاتب : وقد سرني أن علماءنا الأفاضل ، قد استنكروا هذا التجاوز منهم ، ونهوهم عنه . . . إلخ . فيه نظر .

وقد سبق لك أن الإخوان كانوا في دعوتهم ، وإنكارهم للمنكر ، يتحرون الطريقة الشرعية ، ويعاملون الناس بالرفق والحكمة ، ولا نعلم أنهم تعاطوا من الشدة والقسوة ما يوجب إنكار العلماء عليهم .

فلا أدري عن أي مصدر وصل هذا الخبر إلى الكاتب .

ومعلوم أن على الناقل أن يتثبّت في النقل ، وأن ينظر فيما ينقل وينشر بين الناس ، وإذا صح لديه الخبر ، نظر هل إعلانه أصلح ، أم تركه أحسن في العاقبة .

ولا شك أن هذا الخبر لو صح ، فليس من المصلحة نشره بين الناس ، وإعلانه في الصحف ، لما في ذلك من التنقص للدعاة إلى الحق ، وتثبيط عزائمهم ، وتشجيع أهل الفسق ضدهم ، في وقت يتكاتف فيه دعاة الباطل ، والمذاهب الهدامة ، على نشر باطلهم ، وإعلان مذاهبهم ، فالله المستعان .

وأما : ما ذكره الكاتب عن الفتنة ، التي وقعت في صدر الإسلام ، وتمخض عنها قتل عثمان رضي الله عنه ، وما جرى من الخلاف بعد ذلك ، بين أهل الشام والعراق . . . إلخ . فتلك أمور قد عنى بها التأريخ ، وعرفها علماء الإسلام وغيرهم .

ولا شك أن لأعداء الإسلام ، والجهال به ، فيها دوراً فعّالاً ، وقول أهل السنة والجماعة ، في هذه الفتنة معلوم ، وهو الكف عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ، والترضي عنهم جميعاً ، واعتقاد أنهم مجتهدون فيما فعلوا ، طالبون للحق ، والمصيب منهم له أجران ، والمخطئ له أجر واحد ، كما صح بذلك الحديث الشريف .

وإنما يهمنا هنا أمران ؛ أحدهما : تخوف الكاتب من

أن يكون هٰؤلاء الإخوان ، قاموا بما قاموا به ، عن تأثير جماعة سرية ، إجرامية تخريبية ؟!

والجواب عن هذا ، أن يقال : من عرف الإخوان وسبر حالتهم ، يعلم يقيناً أنهم بعيدون كل البعد ، عن هذه التهمة الشنيعة ، وعن هذا الظن السيئ ، والواجب على المسلم ، حمل أحوال إخوانه على أحسن المحامل .

وعلاج ما قد يقع من الخطأ ، بالطرق الشرعية ، التي تبنى ولا تهدم ، وتشجع الحق ولا تخذله ، وتنصر الحق ، وتدمغ الباطل ، لا أن يظن بهم السوء ، ويشجع على إماتة دعوتهم ، وتشويه سمعتهم وتشجيع أهل الباطل ضدهم ، وتحريض ولاة الأمر على إيقاف حركتهم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات : ١٢] وقول النبي ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » .

والأمر الثاني : وصفه كعب الأحبار ، تقليداً لبعض المتأخرين ، بأنه يهودي أظهر الإسلام ، من أجل الكيد للإسلام ، وإفساد أهله .

والجواب : أن هذا خلاف المعروف ، عن علماء الإسلام ، ونقلة الأخبار ، فقد روى عنه علماء الحديث ، وأثنى عليه معاوية رضي الله عنه ، وكثير من السلف ؛ وروى عنه مسلم في صحيحه ، وذكره البخاري في كتابه

« الجامع الصحيح » ولم يزنه بريبة ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ، والتهذيب ، وابن الأثير في أسد الغابة ، ولم يتهموه بهذه التهمة .

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ، ما نصه : كعب بن مانع الحميري ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة ، من الثانية ، مخضرم ، كان من أهل اليمن ، فسكن الشام ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه .

فكيف يجوز لمن يخاف الله ويتقيه : أن يرمي شخصاً أظهر الإسلام ، والدعوة إليه ، وشارك الصحابة في أعمالهم ، بأنه يهودي ، بدون حجة ، ولا برهان يسوغ ذلك .

وقد صح عن النبي ﷺ ، التحذير من رمي المسلم لأخيه ، بالصفات الذميمة ، وأن من رمى أخاه بما هو بريء منه ، كان الرامي أولى بذلك الوصف ، الذي رمى به أخاه ؟! .

وكونه : يروي بعض الأخبار الإسرائيلية الغريبة ، لا يوجب رميه باليهودية ، والكيد للإسلام ، لأن النبي ﷺ ، قال : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » .

وقد قام علماء الإسلام : بنقد أخبار بني إسرائيل ، وتزييف ما خالف الحق منها ، وإبطاله ؛ فكعب في ذلك يشبه عبد الله بن عمرو ، وعبدالله بن سلام ، ووهباً ، وغيرهم ممن نقل أخبار بني إسرائيل .

فكما أن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، لا يجوز أن يتهم باليهودية ، لكونه نقل كثيراً من أخبار بني إسرائيل ، من الزاملتين اللتين أصابهما ، يوم اليرموك من كتبهم ، فهكذا كعب ، لا يجوز أن يرمى باليهودية والكيد للإسلام من أجل ذلك ؛ ولا يجوز أن يجعل في صف عبد الله بن سبأ وأشباهه ، من المعروفين بالكفر والإلحاد ، والكيد للإسلام .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال : « من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال يا عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه »[1] .

هذا الحديث ، وما جاء في معناه : يوجب على المسلم التثبت في الحكم على الناس ، والحذر من رمي أخيه بصفة ذميمة ، وهو بريء منها ، بمجرد الظن ، أو تقليد من لا يعتمد عليه ، والله المستعان .

ثم قال الكاتب : أقول : إن من جهل شيئاً عاداه ، كما في المثل ، وقد كنا قبل وعينا الجديد ، وقبل معرفتنا بحقيقة المستحدثات العلمية الجديدة : نكره استعمالها ، ونستعيبه ؛ ثم ذكر استعمال السيارات ، والطائرات ، والصواريخ ، إلى أن قال :

---

(١) أي: رجع إليه ما نسب إليه؛ اهـ، لسان.

ما دمنا قد عرفنا هذا كله ، ولمسناه ، وتأكدنا فوائده ، وعدم معارضته للدين ، فلماذا يحاربه هؤلاء الطيبون المخدوعون؟ ولماذا يسافرون من بلد إلى آخر ، لاستنكاره ومحاولة عدم استعماله؟ ... الخ .

لا ريب أن من قرأ هذا الكلام ، وضم بعضه إلى بعض ، يفهم منه : أن الإخوان الذين انتصب الكاتب لنقدهم ، ينكرون هذه المستحدثات الجديدة ، من السيارات ، والطائرات ، واللاسلكي ، وأشباه ذلك ؛ ومعلوم قطعاً : أن الإخوان الذين أشرنا إليهم ، لا ينكرون شيئاً من ذلك ، ولا يعيبونه ، بل هم أنفسهم يستعملون ذلك ، فينتقلون في السيارات ، ويركبون الطائرات ، ويستعملون اللاسلكي ، فما الذي دعا الكاتب إلى الوقوع في هذه الفرية الكبيرة؟ والزّلّة الشّنيعة؟!!

أترك الجواب للقراء ، وأسأل الله سبحانه وتعالى : أن يعصمنا من الهوى ، وخطوات الشيطان .

وأما سفرهم إلى البلدان للدعوة ، والتوجيه ، فهو أمر يستحقون عليه الثناء والشكر ، وليس محلاً للاستنكار والاستغراب ؛ نعم هو حقيق بالاستغراب ، بالنسبة إلى تخلف أكثر الناس عن هذه المهمة الشريفة ، التي هي طريقة الرسل وأتباعهم ، وليس هو محلاً للاستغراب ، الذي ينتج عنه الاستنكار ، والتشنيع والظن السيئ .

وأما قوله : المخدوعون ؛ فهي عبارة لا تليق من الكاتب ، وليس الإخوان محلاً لها ، وقائلها أولى بها ؛ لأن الإخوان ـ بحمد الله ـ على بينة من أمرهم ، وليسوا مخدوعين ، ولا متأثرين بحركة هدامة ، ولا عاملين لغرض دنيء ، بل غايتهم شريفة ، وعملهم مشكور ، ودافعهم هو الحق ، والغيرة له ، والخوف على المسلمين من عواقب ظهور المنكرات ، وعدم تغييرها ؛ وإنما المخدوع حقًّا من ظن بهم خلاف ذلك .

وأما قوله : الطيبون ؛ وقوله ـ فيما تقدم ـ عن المغرضين ، والطامعين ، وأعداء الإسلام ، إنهم استغلوا طيبة الصحابة ؛ أرجو أن لا يكون قصد بهذا الوصف ، التنقص لمن وصفهم بالطيب .

لأن سياق الكلام ، ووصف الصحابة ، والإخوان بالطيب ، في جانب كونهم مخدوعين ، يشير إلى أن المراد بوصف الطيب الغفلة ، والغباوة ، وعدم التنبه لعواقب الأمور ، هذا هو المعروف من بعض كتّاب العصر .

أرجو أن لا يكون الكاتب قصد هذا المقصد ؛ وإن كان كلامه يقتضيه ، أو يحوم حوله ، ونسأل الله أن يعفو عنا وعنه ، وأن يمن علينا جميعاً بالتوبة النصوح من أخطائنا ، وسيئات أعمالنا ، إنه خير مسؤول .

وأما قول الكاتب ـ بعدما تقدم ـ ليس لي بالطبع

الإفتاء، ولا أحمل مؤهلاته!! فهذا من اختصاص علمائنا الأفاضل، الذين استنكروا عمل هٰؤلاء، المخدوعين الطيبين!!

فيقال له، أولاً: ما دمت تعرف أنك غير أهل للفتوى، فما بالك أفتيت أولاً، وآخراً؟! ولو تأملت كلمتك، لعلمت أنك أفتيت فيها عدة فتاوى، على غير هدى.

ومن أعظم الجرائم: الفتوى بغير علم، فكم ضل بها من ضل، وهلك بها من هلك، ولا سيما إذا كانت الفتوى معلنة على رؤوس الأشهاد، وممن قد يغتر به بعض الناس، فإن الخطر عظيم، والعواقب وخيمة.

وعلى المفتي بغير علم مثل آثام من تبعه، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه» وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

وقد أعظم الله سبحانه وتعالى، شأن الفتوى بغير علم، وحذر عباده منها، وبيّن أنها من أمر الشيطان، قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٨، ١٦٩] .

ثم يقال للكاتب ، ثانياً : من هو الذي استنكر من العلماء الأفاضل على الإخوان عملهم ؟! .

وقد سبق في صدر هذه الكلمة : أنا لا نعلم أحداً من العلماء المعروفين بالغيرة والتحقيق ، استنكر عملهم ؛ بل المعروف من العلماء الأفاضل : تأييدهم ، ومساعدتهم ، وشكرهم على أعمالهم الطيبة ، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد .

وكيف يستنكر العلماء الأفاضل ، الدعوة إلى الله ، وإرشاد العباد إلى طاعته ، وتحريضهم على الصلاة في الجماعة ، والإنكار على من تخلف عن ذلك ؟! فلا يستنكر هذه الأعمال الجليلة مسلم ، يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعرف شيئاً مما ورد في الدعوة إلى الله سبحانه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فضلاً عن العالم الفاضل .

فعياذاً بالله من القول عليه ، وعلى عباده بغير علم ، وعياذاً بالله من خطل اللسان ، وسيئات العمل ، فما أعظم ما جناه الكاتب على نفسه ، وعلى غيره ، ممن قد يغتر بقوله ، وما أعظمها من جريمة!!

ثم قال الكاتب بعد ذلك ؛ ولكني أقول : إذا كان الدين يحرم التماثيل المجسمة ، وما في حكمها سداً للذريعة ، وخوفاً من العودة إلى عبادتها ، كما كان في الجاهلية الأولى ، وكما هو الحال اليوم في الأمم الوثنية .

وإذا كان من واجبنا كأمة مسلمة محافظة : أن نحارب الصور الماجنة الخليعة ، خوفاً على أخلاقنا ، وتقاليدنا ، فما هي حجة بعضنا في إنكار الصور الظلّية العاكسة ، التي لا فرق بينها مطلقاً ، وبين ما تعكسه المرآة التي يستعملها شبابنا وشيوخنا ، ونساؤنا وبناتنا ؟ .

وما الفرق بين هذه الصورة الظلّية العاكسة كالمرآة ، التي تشتمل عليها الجريدة والمجلة والمعرض والبيت والسينما ؟ وبين أختها المعروضة لاسلكياً في التلفزيون ؟

وكما قلت في كلمة سابقة : إن التلفزيون لا يسجل إلا ما يعرض على شاشته من خير أو شر ، ونحن في هذه البلاد المقدسة : قادرون على اختيار الخير والنافع ، وعرضه على شاشة التلفزيون ، كعلم وكدرس ، وكتأريخ ، وكتسلية بريئة نحول فيها بين المجتمع وبين الفراغ والنميمة وسفاسف الأقوال والأفعال ، انتهى المقصود .

والجواب عن هذا ، أن يقال :

لقد أحسن الكاتب في اعترافه بأن الدين الإسلامي يحرم التماثيل المجسمة ، وما في حكمها ، سداً للذريعة ،

وخوفاً من العودة إلى عبادتها ، كما كان في الجاهلية الأولى ، وكما هو الحال اليوم في الأمم الوثنية .

فقد جاءت الأحاديث الصحيحة ، عن رسول الله ﷺ بما يدل على ما ذكر الكاتب ؛ من تحريم التماثيل ، والزجر عنها ، ولعن المصورين ، والتصريح بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة ؛ وأنهم يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم .

وقد جاء في القرآن الكريم ، وثبت في الأحاديث والآثار : أن أسباب ضلال قوم نوح ، هو : التماثيل ، كما قال تعالى : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ، مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ [نوح : ٢٣ ـ ٢٥] .

وثبت عن النبي ﷺ : أن بعض أزواجه ، ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور ، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

فتبين مما تقدم : أن التساهل ببيعها في الأسواق ، ونصبها في المكاتب والدوائر ونحوها ، من أعظم أسباب الشرك ، ومن أعمال الجاهلية ، ومن أخلاق شرار الخلق عند الله .

فالواجب على المسؤولين جميعاً في حكومتنا السنية :

القضاء على هذه التماثيل ، والزجر عنها ، ومنع توريدها ، وإتلاف ما يوجد منها في كل مكان ، طاعة لله ولرسوله ، وحذراً من عواقبها الوخيمة .

ولقد أحسن الكاتب أيضاً في قوله : وإذا كان من واجبنا كأمة مسلمة محافظة ، أن نحارب الصور الماجنة الخليعة ، خوفاً على أخلاقنا وتقاليدنا .

نعم والله قد أحسن الكاتب في هذا ؛ فالواجب علينا ، وعلى المسؤولين في حكومتنا ، محاربة هذه الصور الخليعة ، التي غزت بلادنا من كل مكان ، وعرضت بين شبابنا وفتياتنا في كل بقعة ، إلا ما شاء الله .

فالواجب على أولي الأمر : أن يحاربوها ، ويحاربوا الصحف والكتب ، التي تحملها إلى هذه البلاد ، كما يجب أن تحارب جميع الصحف والكتب ، التي تحمل إلى بلادنا أنواع الإلحاد والتخريب ، والدعوة إلى التفسخ من الأخلاق الفاضلة ، والسجايا الكريمة .

ويجب على أولي الأمر أيضاً : تكليف الحكام الإداريين ، وموظفي الأمن بالتعاون مع هيئات الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، على القضاء على هذه المعاول الهدامة ، والوسائل الفتاكة بديننا وأخلاقنا ، وفقهم الله لنصر دينه ، وحماية شريعته ، ومساعدة من قام بذلك ، إنه على كل شيء قدير .

وأما قول الكاتب ـ بعد ذلك ـ فما هي حجة بعضنا في إنكار الصورة الظلّية العاكسة ، التي لا فرق بينها مطلقاً وبين ما تعكسه المرآة . . . إلخ ؟!

فالجواب أن يقال : هذه فتوى من الكاتب ، بالتسوية بين الصورة الشمسية ، وبين الصورة في المرآة!! ومعلوم : أن الفتوى تفتقر إلى علم بالأدلة الشرعية ، وقد سبق اعتراف الكاتب بأنه ليست فيه صفتها ، ولا يحمل مؤهلاتها ، فما باله ـ هداه الله ـ أفتى هنا ، وجزم بالحكم بغير علم ؟! .

ويقال له أيضاً : لقد أخطأت في التسوية والقياس ، من وجهين : أحدهما : أن الصورة الشمسية لا تشبه الصورة في المرآة ، لأن الصورة الشمسية لا تزول عن محلها ، والفتنة بها قائمة .

وأما الصورة في المرآة فهي غير ثابتة ، تزول بزوال المقابل لها ، وهذا فرق واضح لا يمترى فيه عاقل .
والثاني : أن النص عن المعصوم ﷺ جاء بتحريم الصور مطلقاً ، ونص على تحريم ما هو من جنس الصورة الشمسية ، كالصورة في الثياب والحيطان .

فقد صح عنه ﷺ في عدة أحاديث : أنه لما رأى عند عائشة ستراً فيه تماثيل ، غضب وهتكه ، وقال : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » وقال في حديث آخر : « إن أصحاب هذه الصور ـ يشير إلى الصور التي في الثياب

ـ يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » وثبت عنه عليه الصلاة والسلام : أنه محى الصور التي في جدران الكعبة يوم الفتح ، وهي في حكم الصور الشمسية .

فلو سلمنا مشابهة الصورة الشمسية للصورة في المرآة ، لم يجز القياس ، لما قد تقرر في الشرع المطهر : أنه لا قياس مع النص ، وإنما محل القياس إذا فقد النص ، كما هو معلوم عند أهل الأصول ، وعند جميع أهل العلم .

وأما ما ورد عنه ﷺ ، أنه قال : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ، إلا رقماً في ثوب » فهذا الحديث لا شك في صحته ، وقد تعلق به بعض من أجاز الصور الشمسية .

والجواب عنه من وجوه :

منها : أن الأحاديث الواردة في تحريم التصوير ، ولعن المصورين ، والتصريح بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، مطلقة عامة ، ليس فيها تقييد ولا استثناء ، فوجب الأخذ بها ، والتمسك بعمومها ، وإطلاقها .

ومنها : أنه ﷺ لما رأى الصور المشبهة للشمسية ، وهي الصور الموجودة في الستور والحيطان ، غضب ، وتلون وجهه ، وأمر بهتك الستور التي فيها الصور ، ومحو الصور التي في الجدران ، وباشر محوها بنفسه ، لما رآها في جدران الكعبة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ومنها : أن الاستثناء المذكور ، إنما ورد في سياق

الأحاديث ، الدالة على امتناع الملائكة ، من دخول البيت الذي فيه تصاوير ، ولم يرد في سياق الأحاديث المانعة من التصوير ، وفرق عظيم بين الأمرين .

ومنها : أن قوله : « إلا رقماً في ثوب » يجب أن يحمل على الصور التي قطع رأسها ، أو طمس ؛ أو التي في الثياب التي تمتهن باتخاذها وسائد وبُسُطاً ، ونحو ذلك ، لا فيما ينصب ويرفع كالستور على الأبواب ، والجدران ، والملابس ؛ فإن الأحاديث الصحيحة ، صريحة في تحريم ذلك ، وأنه يمنع من دخول الملائكة ، كما ورد ذلك في حديث عائشة ، وأبي هريرة ، وغيرهما .

وبما ذكرناه : يتضح الجمع بين الأحاديث ، وأن الاستثناء إنما ورد في سياق الأحاديث ، الدالة على امتناع دخول الملائكة ، البيت الذي فيه الصور ، وأن المراد بها الصور الممتهنة في الوسائد ، والبسط ، ونحوها ، أو مقطوعة الرأس ، والله ولي التوفيق .

وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح ، والنووي في شرح مسلم ، بين الأحاديث بما ذكرته آنفاً ، وأنا أنقل لك أيها القارئ كلامهما ، وبعض كلام غيرهما في هذه المسألة ، ليتضح لك الصواب ، ويزول عنك الإشكال ، والله الهادي إلى إصابة الحق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال الحافظ في الفتح ، قال الخطابي : والصورة التي

لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه : ما يحرم اقتناؤها ، وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح ، مما لم يقطع رأسه ، أو لم يمتهن ، اهـ .

وقال الخطابي رحمه الله أيضاً : إنما عظمت عقوبة المصور ، لأن الصور : كانت تعبد من دون الله ، ولأنّ النظر إليها يفتن ، وبعض النفوس إليها تميل ، اهـ .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم : باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ، ونحوه ، وأن الملائكة عليهم السلام : لا يدخلون بيتاً فيه صورة أو كلب .

قال أصحابنا ، وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان ، حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد ، المذكور في الأحاديث ، وسواء صنعه بما يمتهن ، أو بغيره .

فصنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله ، وسواء ما كان في ثوب ، أو بساط ، أو درهم ، أو دينار ، أو فلس ، أو إناء ، أو حائط ، أو غيرها ؛ وأما تصوير صورة الشجرة ، ورحال الإبل ، وغير ذلك مما ليس صورة حيوان فليس بحرام ؛ هذا حكم نفس التصوير .

وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان ، فإن كان معلقاً على حائط ، أو ثوباً ملبوساً ، أو عمامة ، ونحو ذلك مما

لا يعد ممتهناً فهو حرام ؛ وإن كان في بساط يداس ، ومخدة ، ووسادة ، ونحوهما مما يمتهن فليس بحرام - إلى أن قال : لا فرق في هذا كله بين ما له ظل ، وما لا ظل له ، هذا تلخيص مذهبنا في المسألة .

وبمعناه : قال جماهير العلماء من الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم ، وهو مذهب الثوري ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم .

وقال بعض السلف : إنما ينهى عما كان له ظل ، ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل ؛ وهذا مذهب باطل ، فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه ، لا يشك أحد أنه مذموم ، وليس لصورته ظل ، مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة ؛ اهـ .

قال الحافظ - بعد ذكره لملخص كلام النووي هذا - قلت : ويؤيد التعميم فيما له ظل ، وما لا ظل له : ما أخرجه أحمد من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أيكم ينطلق إلى المدينة ، فلا يدع بها وثناً إلا كسره ، ولا صورة إلا لطخها » أي ، طمسها ، الحديث ؛ وفيه : « من عاد إلى صنعة شيء من هذا ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » ، اهـ .

قلت : وقد سبق أن النبي ﷺ محى الصور التي في جدران الكعبة ، وهي لا ظل لها ؛ وخرج مسلم في

صحيحه عن علي رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال له : « لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » .

وهذا يعم الصور التي لها ظل ، والتي لا ظل لها ؛ والأمر في ذلك واضح لا غبار عليه ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به ، ونسأله تعالى لنا ولجميع المسلمين : التوفيق لما يرضيه ، والسلامة من أسباب غضبه ، إنه سميع الدعاء .

وأما التلفزيون : فهو آلة خطيرة ، وأضرارها عظيمة ، كالسينما ، أو أشد ، وقد علمنا عنه من الرسائل المؤلفة في شأنه ، ومن كلام العارفين به في البلاد العربية وغيرها ، ما يدل على خطورته ، وكثرة أضراره بالعقيدة ، والأخلاق ، وأحوال المجتمع .

وما ذلك إلا لما يبث فيه ، من تمثيل الأخلاق السافلة ، والمرائي الفاتنة ، والصور الخليعة ، وشبه العاريات ، والخطب الهدامة ، والمقالات الكفرية ، والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم ، وأزيائهم ، وتعظيم كبرائهم ، وزعمائهم .

والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم ، والاحتقار لعلماء المسلمين ، وأبطال الإسلام ، وتمثيلهم بالصور المنفرة منهم ، والمقتضية لاحتقارهم ، والإعراض عن سيرتهم ، وبيان طرق المكر ، والاحتيال ، والسلب ، والنهب ، والسرقة ، وحياكة المؤامرات والعدوان على الناس .

ولا شك : أن ما كان بهذه المثابة ، وترتب عليه هذه المفاسد : يجب منعه ، والحذر منه ، وسد الأبواب المفضية إليه ، فإذا أنكره الإخوان المتطوعون ، وحذروا منه ، فلا لوم عليهم في ذلك ، لأن ذلك من النصح لله ولعباده .

ومن ظن أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ، ولا يبث فيها إلا الصالح العام إذا روقبت ، فقد أبعد النجعة وغلط غلطاً كبيراً ، لأن الرقيب يغفل ، ولأن الغالب على الناس اليوم هو : التقليد للخارج ، والتأسي بما يفعل فيه .

ولأنه قل أن توجد رقابة تؤدي ما أسند إليها ، ولا سيما في هذا العصر ، الذي مال فيه أكثر الناس إلى اللهو والباطل ، وإلى ما يصد عن الهدى ، والواقع يشهد بذلك ، كما في الإذاعة ، والتلفزيون في المنطقة الشرقية ؛ فكلاهما لم يراقب الرقابة الكافية ، المانعة من أضرارهما ؛ ونسأل الله : أن يوفق حكومتنا لما فيه صلاح الأمة ونجاتها ، وسعادتها في الدنيا والآخرة ، وأن يصلح لها البطانة ، إنه جواد كريم .

وهذا آخر ما أردنا التنبيه عليه ، من أخطاء الكاتب عبد الله السعد ، نصحاً لله ولعباده ، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا والكاتب ، وسائر المسلمين ، للتفقه في الدين ، ولكل ما فيه صلاح أمر ديننا ودنيانا ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

وقال الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز[1] :

احذروا الصحف الخليعة

لقد أصيب العالم الإسلامي عامة ، وسكان الجزيرة خاصة ، بسيل من الصحف ، التي تحمل بين طياتها أشكالاً كثيرة ، من الصور الخليعة ، المثيرة للشهوات ، الجالبة للفساد ، الداعية للدعارة ، الفاتنة للشباب ، والشابات .

وكم حصل في ضمن ذلك من أنواع الفساد ، لكل من يطالع تلك الصور العارية ، وأشباهها ، وكم شغف بها من الشباب من لا يحصى كثرة ، وكم هلك بسمومها من شباب وفتيات ، استحسنوها ، ومالوا إليها ، وقلدوا أهلها .

وكم في طيات تلك الصحف من مقالات إلحاديّة ، تنشر الأفكار المسمومة ، والقصائد الباطلة ، وتدعو إلى إنكار الأديان ، ومحاربة الإسلام ؛ وإن من أقبح تلك الصحف ، وأكثرها ضرراً : « المصور » و« آخر ساعة » و« الجيل » و« روزاليوسف » و« صباح الخير » و« مجلة العربي » .

فالواجب على حكومتنا ـ وفقها الله ـ منع هذه الصحف منعاً باتاً ، لما فيها من الضرر الكبير ، على

---

(١) في مقال نشر في مجلة راية الإسلام سنة ١٣٨٠هـ، وللشيخ محمد بن عثيمين أيضاً: خطبة جيدة في فتن المجلات طبعت مفردة وانتشرت سنة ١٤٠٧هـ.

المسلمين ، في عقائدهم ، وأخلاقهم ، ودينهم ، ودنياهم ؛ ولا ريب : أن ولاة الأمر ، أول مسؤول عن حفظ دين الرعية وأخلاقهم .

ولا شك أن هذه الصحف مما يفسد الدين والأخلاق ، ويضر المسلمين ضرراً ظاهراً في الدين والدنيا ، ويزلزل عقائدهم ، ويحدث الشكوك والمشاكل الكثيرة بينهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ [الحج : ٤٠، ٤١] ويقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد : ٧] .

ولا ريب : أن القضاء على هذه الصحف ، ومنع دخولها البلاد ، من أعظم نصر الله وحماية دينه .

وفي الحديث الصحيح ، يقول النبي ﷺ : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ، ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والعبد راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته » .

وقال ﷺ : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح ، إلا لم يدخل معهم الجنة » رواه مسلم .

فيا ولاة أمر المسلمين : اتقوا الله في المسلمين ،

وحاربوا هذه الصحف الهدامة ، وخذوا على أيدي السفهاء ، وأغلقوا أبواب الفساد ، تفوزوا بالنجاة والسعادة ، وتنشلوا بذلك جمعاً غفيراً من الفتيان والفتيات ، من وهدة هذا التيار الجارف ، وحمأة هذه الصحف الخبيثة المدمرة .

ويا معشر المسلمين : حاربوا هذه الصحف الخبيثة المدمرة ، ولا تشتروها بقليل ولا كثير ؛ فإن بيعها وثمنها حرام ، وإنما الواجب إتلافها أينما وجدت ، دفعاً لضررها ، وحماية للمسلمين من شرها ، أراح الله منها العباد والبلاد ، ووفق ولاة أمر المسلمين ، لما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وسلامة عقائدهم ، وأخلاقهم ، إنه على كل شيء قدير .

وقال الشيخ : صالح بن علي بن غصون[1] :

الحمد لله : إن كل فرد منا يدرك ، أثر الدعوة والتوجيه والإرشاد ، في الجماهير والأسر والأفراد ، كما يدرك أن أنجح الوسائل ، وأقرب الطرق في هذا الوقت لهذا الغرض ، طريق الإذاعة ، والصحف ، والمجلات ، والمنابر ، والنوادي ، مما جعل أعداء الإسلام يستغلون هذه الثغور استغلالاً فظيعاً ، دجلًا ، وتضليلًا ، وخلاعة ، ودعارة ، وتشبيهاً ، وزندقة ، وإلحاداً ، بكل جرأة وإقدام ؛ دأبوا على ذلك ليل نهار ، وضحوا في هذا السبيل ، بكل

---

(١) في مجلة راية الإسلام، سنة ١٣٨٠هـ.

غال ورخيص ، فانخدع ببريق دعاياتهم ، وترويجاتهم خلق كثير ، وجم غفير .

ونحن : يا للأسف بين غافل ، ومتغافل ، عن تلك الأخطار المحدقة ، والدعايات المغرضة التي زعزعت العقائد ، وحطمت الكرامات ، ودنست الأخلاق ؛ فالبعض منا يتعلل عن المساهمة في هذا الواجب بمشاغله وأعماله الرسمية ، بينما يتخلف قسم آخر عن المساهمة في هذا الواجب ، مستتراً بالخمول وعدم اعتباره لدى الكثيرين ؛ على حد تعبيره .

وقسم آخر حظهم التألم ، وإظهار الحزن والأسى ، وشن الحملات النكراء على المسؤولين ، والأشخاص البارزين ، كأن المسئولية عليهم دونهم ، وكأن النصوص الشرعية القاضية بالأمر والنهي لم تتناولهم ، فنصيبهم منها التخلي ، والعيب على إخوانهم .

ولا شك : أن واجب الأمر والنهي ، والدعوة والإرشاد : على كل فرد منا بحسب حاله ، وعلمه ، ومقدرته ، ونفوذه ، إذا لم يقم بهذا الأمر العظيم ، من تحصل بهم الكفاية في هذا الزمن .

فعلينا : أن نفرغ أنفسنا للدعوة والإرشاد ، والكفاح ، والنضال عن طريق الوسائل المجدية ، كالإذاعة ، والمنابر ، والنوادي ، والصحف ، والمجلات ، وأن نساند الدعاة إلى

خير أين كانوا ، وأن نشجع الصحف ، والمجلات التي تحتضن الدعوة إلى التمسك بهذا الدين ، وآدابه ، وأخلاقه ، مادياً ، وأدبياً .

فواقعنا اليوم يحتم علينا أن نكرس الجهود ، ونستهين المشقات ، والصعوبات في سبيل نشر هذا الدين ، ومقاومة المبادئ الهدامة ، التي لعبت أدواراً في ميادين الدجل ، والتضليل ، سيما وقد أفسح لها المجال ، فوجدت آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، انساقت وراء تلك الدعايات ، بدون تفكير ، ولا روية .

وإن لم يتدارك الأمر قبل فواته ، فالواقع أليم ، والخطب جسيم ، ولن يسلم من معرة ذلك وعواقبه ، إلا من قام بواجبه تجاه نفسه وولده وذويه ، وإخوانه المسلمين ، مهما كثرت مشاغله ، وتعللاته ، وفقنا الله لصالح القول والعمل .

وقال الشيخ : صالح بن محمد بن لحيدان ، في كلمة افتتاحية[1] :

بحمدك اللهم نبدأ ، وعلى هدى منك نسير ، ورجاؤنا بك عظيم ، أن تسدد خطانا ، وتكتب لنا النجاح والتوفيق فيما نحن فيه .

في السنوات الأخيرة : انتشرت الحياة الثقافية في بلادنا

---

(١) نشرت في مجلة راية الإسلام سنة ١٣٨٠هـ، وكان رئيس تحريرها .

انتشاراً سريعاً ، يحمل معه طابع السرعة في كل شيء ، وفي السرعة من الأخطار والأخطاء الشيء الكثير ، انتشرت هذه الحياة ، وانتشر معها الأفكار المختلفة ، والمبادئ المتباينة ، ترد من الشرق والغرب ، وتحمل الناس على نبذ دينهم ، والسير في ركابها .

تحملها الجرائد والمجلات في صفحاتها ، والإذاعات على أمواج الأثير ، في أثواب مختلفة ، تخدع العيون ، وتميت القلوب ، ففتن بها الشباب ، وارتاع منها الشيوخ ، وبهتوا ، وجعلت مبادئ الشر تلوح من كل جانب .

وأقبل المتعلمون من أبناء الأمة الإسلامية ، على اعتناق هذه الأفكار ، والدعوة لها ، لجهلهم بالدين وتعاليمه ، يساعد على ذلك واقع المسلمين ، وما هم عليه ، وقليل منهم وقف منها موقف الناقد الممحص ، المدقق ، ليسبر غورها ، ويطلع على ما تنطوي عليه ، وتنتهي إليه من شرور وفساد في الأخلاق ، والعقائد والعادات والتقاليد .

فأفضى بهم موقفهم هذا إلى نتائج أفزعتهم ، وأقضت مضاجعهم ، وأقلقت بالهم ، وجعلوا يرسمون الخطط ، ويخطون السبل لصد هذا السيل الجارف ، وحماية أمتهم وملتهم من ويله ووباله .

وكانت الجزيرة العربية مصدر النور ، والإشعاع ، ومهبط الوحي والفلاح ؛ منها انتشر الإسلام في ابتداء رسالته ، كما كانت منار هدى عند اندراس ملته ، فمن قِبَلها

ظهرت الدعوة التجديدية للملّة الإسلامية ، على يد حاملها وباعث نهضتها ، في قلب الجزيرة .

لهذا أصبح من المتحتم على أبنائها : أن يستعدّوا لنشر الدعوة الإسلامية ، والوقوف موقف المدافع عن دينه ومقدساته ، وأن يردّوا ما تقوله الكتب ، وتنشره الصحف ، من سخف القول ، ورذيل الأفكار .

وأقرب وسيلة لهذا الميدان ، هي : الصحافة ، لاشتراك العامة والخاصة في الاطلاع عليها ، والوقوف على ما يقال فيها .

وكان إنشاء مجلة تلزم نفسها السير مع الدين ، وتقف نشاطها لحمايته ، ونفي ما يلصق به وبأهله من باطل : فكرة تداعب مخيلات كثير من العلماء ، والمتعلمين ، ولكن إخراجها إلى حيّز الوجود ، هو الصخرة التي تتكسر عليها أفكارهم ، وتذوب عندها آمالهم .

ذلك لما يرونه من إعراض الناس مما يكتب في هذا الميدان ، وخوفاً من المستقبل المظلم ، فالقراء يسعون وراء الصحف التي تنشر هجر القول ، ووضيع الكلام ، والتي تخدم المادة ، وتسير في ركاب الفكر الشرقي ، والغربي ، الذي هدفه : رفع الدنيا بهدم الدين!! .

ولكن الله يسّر لهذه الفكرة من ذوي الغيرة الإسلامية ، فقاموا لها على قدم وساق ، وتولى إخراجها إلى ميدان العمل والظهور ، على مسرح الحياة ، من لهم مسابقة في

ميدان الدعوة ونشر الدين ، فعملوا على إبرازها ، وليس غريباً منهم :

وهل ينبت الخطِّيّ إلا وشيجهُ ... وتغرس إلا في منابتها النخل[1]

وهذه المجلة التي نتشرف بزفها إلى القراء ، وعرضها عليهم : هدفها واضح من اسمها ، وغايتها مرتسمة في الراية التي تحملها ؛ رائدها : الخير والدعوة إليه ، ونفي الشر والتحذير منه ، وإرشاد المسلمين إلى ما فيه صلاحهم .

فهي مجلة كل مسلم غيور ، حريص على بعث أمته وهدايتها ، ومنها يستطيع أن يعبر عن رأيه ويرشد ، فهي منار إرشاد ، ومصدر تثقيف ، تعالج المشاكل الإسلامية ، وتحاول حلها ، وترسم الخطط السليمة التي ترفع من شأن المسلمين ، وينبني عليها نظام الإسلام في العبادات والعادات ، وفي السياسة والاقتصاد ، وفي علاقة الناس بربهم ، وفيما بينهم .

وتشرح أحوال المسلمين وواقعهم ، وتبين مصادر الفلاح ، وأن مكانها في الإسلام ، وتحذر من انتهاج السبل المؤدية إلى الهلاك والدمار ؛ فيها تقرأ عن أسلوب الدعوة في الإسلام ، وعن الأدب والأدباء ، وعن التأريخ ، وما

---

(١) وانظر الشاهد رقم ٢١٨ من أوضح المسالك لفهم معناه.

سجله لأهل الجهاد من أعمال البطولات، والنصر .

تجد فيها ما تحب من فتاوى تهمّ المسلمين، ولها مساس بحياتهم، يكتبها أكابر العلماء في هذه البلاد، وهي مصدر حياة، ومنار علم، تجيب على أسئلة القراء، واستفتاءاتهم، وتحل ما يصعب حله من مسائل الاقتصاد، التي ضل فيها الشرق والغرب، ومن سار في ركابهم .

إنها مجلتك أيها المسلم أين كنت، وحيث تكون، فهي بك ولك، ومنك تصدر، وعنك تنطق، هي ميدانك الفسيح الذي تجد فيه ما يروقك من علم وأدب، فتنقلك من مقالة إلى قصيدة، إلى قصة هادفة، إلى فتوى مفصلة .

فهي روضتك المحببة، تضم أنواع النباتات النافعة، تغذيها أفكار حية، أشربت حب الإسلام، والدفاع عنه، ويتولى إخراجها كوكبة من العلماء، والشباب المثقف، ممن ستقرأ لهم في هذا، والأعداد المقبلة .

إنها مجلتك، ونجاحها متوقف على وقوفك بجانبها، فجاهد بمساندتها، وستساير بإذن الله العصر وتطوره، وسترتبط بين المسلمين في شرق بلادهم وغربها، حتى يكونوا جسماً واحداً، يحيا حياة حرة كاملة، وهي بعون الله بالغة ما تصبو إليه، وما ذلك على الله بعزيز .

الباب العاشر « النظم »

سميته بها لكثرتها في هذا العصر ، ولم تكن في عصر الشيخ عبد الله ، ولا في عصر النبوة ، ولا الأئمة المهديين ؛ وإنما سرت إلينا من أفراخ الإفرنج المنحلين ، المعرضين عن شرع رب العالمين ، فجاؤوا بنظمهم يطبقونها على المسلمين .

وفي الباب فصول ؛ الأول منها : القضاء الشرعي الذي أوجبه الله على عباده ، وقد أجمعوا على أن ينصب في كل إقليم قاضياً ، لحفظ حقوق المسلمين ، عملاً بقوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) [المائدة : ٤٩] وقوله : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) [الأعراف : ٣] .

وقد تكفل الله لعباده جميع ما يحتاجون إليه إلى قيام الساعة ، قال تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) الآية [الأنعام : ١١٥] وقال : (اليوم أكملت لكم دينكم) [المائدة : ٣] .

والقضاء ، وفضله ، وآدابه ، قد أفرد بالمؤلفات ، وفي أثناء كتب الحديث والفقه ما يشفي ويكفي ، ويغني عن أفكار المعرضين عن شرع رب العالمين .

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله .

من محاسن الإسلام :[1]

لا شك : أن الدين الإسلامي ، دين سماوي ، لم يكن لأمة من الأمم مثله ، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيره ، إذ هو دين عام ، مبين لأحوال المجتمع الإسلامي ، بل البشر عامة ، وبه كمل نظام العالم ، فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية ، والأخلاقية .

فإنه : يبين الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربه ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وشرع نظافة البدن ، فأمر بغسل الجنابة ، والجمعة ، والعيد ؛ أو بعضاً ، كالوضوء عند أداء كل فريضة من الفرائض الخمس .

وشرع أمور الفطرة ، من ختان ، وقص شارب ، وتقليم أظفار ، ونتف الأبط ، والسواك ، وحلق العانة ، كما أرشدنا الإسلام إلى تجميل الثياب ، وأن تكون على أحسن هيئة وأكملها ، كما سن ذلك في الجمعة ، والعيدين .

وهذب الأخلاق : فأمر بالصدق في المعاملات ، والوفاء بالعقود ، والعهود ، والمواعيد ؛ وأوجب ترك الذنوب ، من زنى ، وخمر ، وغيبة ، وقذف ، وسعاية ، وشهادة زور ، وانحراف في الأحكام ، وتحريف لما أباح الله

---

(١) نشر في جريدة القصيم.

وحرم ، بتغيير له عن وجهه ، وما أريد به إلى غير ذلك .

وبالجملة : إن الدين الإسلامي ، جامع ، ورابط للأمة الإسلامية ، بل هو حياتها ، تدوم ما دام ، وتنعدم ، وتسقط إذا انعدم ، وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة ، ومن خصائصها ، حيث لم يكن لأمة من الأمم قبلنا مثله .

فلو أن المسلمين تمسكوا بأحكام الإسلام وتعاليم دينهم ، كما كان آباؤهم الأماجد ، لكانوا أرقى الأمم ، وأسعد الناس ، ولكن لما حرفوا تعاليم دينهم ، انحرفوا عن الصراط السوي .

وقد جعل الإسلام للفقراء حظاً في مال الأغنياء ، بالزكوات ، والكفارات ، لطفاً بهم وإحساناً إليهم ، ورحمة بالأغنياء ، وتكرمة لهم ، وتحصيناً لأموالهم ؛ هذا أساس المبادئ الاشتراكية المعتدلة ، والأعمال الخيرية ، التي تأسست لها الجمعيات الكبرى في بعض أقطار العالم .

وشرع الإسلام : الحج ليحصل اجتماع عام لسائر الأمم التي تدين به ، لينتفع بعضهم من بعض علومهم ، وأحوالهم ، ويحصل بذلك التعارف ، والتعاون ، والتآخي .

ولما في ذلك من إعانة أهل الحرمين الشريفين ليكونا مركزين عظيمين للإسلام ، وهذا بعض من مقاصد الحج ؛ كما قد شرع الإسلام : اجتماعات أخرى أصغر وأيسر ، في الجمع ، والأعياد .

وبين أحكام المعاملات ، من بيع وشراء ، ورهن ، وقرض ، وإباحة شركات ووكالة ، وحوالة ، وعارية ، وغيرها من المعاملات المالية ، التي تقتضيها القاعدة التي عليها مبني علم الاجتماع البشري .

وبيّن الإسلام : كيف تقام البيوتات ، وتتأسّس العائلات ؛ فندب إلى الزواج وحث عليه ورغب فيه ؛ وبيّن العقود التي تعتبر زواجاً ، ووضّح شروطها ، من رضا وولي وشهود ، وغيرها ، وما خالف ذلك فهو سفاح أو قريب منه ؛ وأمر بسدل الحجاب للنساء صيانة للنسل ، وإبعاداً للمظنة وراحة لكل ضمير .

وبيّن أحكام الجنايات ، كالقصاص في النفس والطرف ، وما يشرط لذلك ، كما بين أحكام فصل الخصومات ، في الدماء والأموال ، والأعراض .

وبيّن ما يلزم لحفظ المجتمع العام ، من نصب الإمام ، وشروط استحقاقه للإمامة ، وما يجب له من الطاعة ، وما يجب عليه من المشورة ، والعمل بالشريعة ، وإقامة العدل بين أصناف الرعية .

ثم إن الإسلام قسّم السلطة فجعلها خططاً ؛ منها القضاء ، فحدّد للقاضي خطته ، من فصل الخصومات ، والنظر في أموال غير المرشدين ، والحجر على من يستوجبه ، والنظر في وقوف عمله ليعمل بشرطها ، وتنفيذ الوصايا ، وإقامة الحدود ، إلى غير ذلك .

وبيّن خطة الشاهد : كيف تحمل الشهادة وأدائها ، ومن تقبل شهادته ، ومن لا تقبل ؛ وأمر بإثباتها وعدم كتمانها ، كما بيّن خطة المحتسب ، ثم بقية الخطط .

وبيّن حكم من خرج عن طاعة الإمام ، بأن يقاتل حتى يفيء إلى أمر الله ؛ وبيّن كيف تعامل الأمم الأجنبية فيما إذا وقع حرب معها ، وفي حالة مسالمتها ، وأمر بحسن الجوار ، وإقامة الحدود على من أخاف السبيل ، أو خالف ما أمرت به الشريعة .

وبالجملة : فقد استقصى هذا الدين الإسلامي العظيم جميع الشئون الاجتماعية ، وبيّنها أحسن بيان ، مما يعجز عن مثله عقلاء البشر ، حتى دخل مع الرجل في بيته وحكم بينه وبين امرأته ، فبيّن ما له عليها من الحقوق ، وبيّن ما لها عليه من مثل ذلك ، وبيّن ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل ؛ كما حكم الإسلام بين الرجل وبين ولده .

وبينه وبين نفسه في حياته وبعد وفاته ، كأوقافه ووصاياه ، وما يصح منها وما لا يصح ، وقسّم مواريثه ؛ وبين أحكام تغسيله وتكفينه ودفنه ؛ كل هذا لأجل أن تنتظم الحياة انتظاماً كاملاً ، ويعيش المسلم عيشة هنيئة منتظمة ، ليتمكن معها لإعداد الزاد ليوم المعاد ، والتأهب لما بعد الموت .

فالدين الإسلامي : نظام عام للمجتمع البشري الإسلامي ، فإنه تام الأحكام ، ثابت المباني ، دين سماوي ، لم يدع شاذّة ولا فاذّة إلا بينها أحسن بيان ، ووضّحها أتم إيضاح .

وما دخلت الأمم الكثيرة في الإسلام أفواجاً أفواجاً ، واتسعت دائرة الإسلام ، فانتشرت الأمة الإسلامية مادة جناحها من نهر القانج من الهند شرقاً إلى إفريقيا ، ثم إلى أواسط أوروبا ، في زمن قليل ، إلا باحترام الحقوق والعمل بقواعد الإسلام ، والتسوية بين طبقات المسلمين ، ملكهم ، وصعلوكهم ، وصغيرهم ، وكبيرهم فيه على السواء .

فالأمة الإسلامية : لا حياة لها ولا استقامة بدون التمسك بدينها ، والعمل بأوامره ، ونواهيه ، فهي دائمة بدوام دينها ، مضمحلة بإضمحلاله ، ساقطة إذا أهملت تعاليم دينها القويم .

كما قال بعض أعداء المسلمين : لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم ، وجهلوا حكمته وأحكامه ، نشأ فيهم فساد الأخلاق ، والتباغض ، وتفرقت كلمتهم ، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم .

وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون ، وينامون ، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن : متى أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر في إلحاق الضرر به ، فجعلوا بأسهم

بينهم ، والأمم تبتلعهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا إلى السكون في كسور بيوتهم ، يسرحون في مرعاهم ثم يعودون إلى مأواهم .

هذا وصفهم لحالة المسلمين حين جهلوا تعاليم هذا الدين القويم ، ورضوا منه بمجرد الانتساب إليه ؛ وهو دين سماوي عام ، شامل لمصالح الدنيا والآخرة ، ثابت المباني ، تام الأركان .

قال كثير من منصفي عقلاء المستشرقين ، ممن يكتب لبيان الحق ، لا للسياسة : إن نشأة مدنية أوروبا الحديثة ، إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام ، فاض عليها من الأندلس ، ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين ، في الشرق والغرب .

وقال : القس لميلوان : الإسلام يمتد في إفريقيا ، وتسير الفضائل معه حيث سار ، فالكرم ، والعفاف ، والنجدة من آثاره ، والشجاعة ، والإقدام من نتائجه ؛ ومن الأسف : أن السكر والفحش والقمار تنتشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين .

وقال كونتنسن : يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجايا ، وشرف في الأخلاق ؛ قد طبعت في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن ، بخلاف غيرهم ، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك .

وقال أيضاً : إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم : عزة النفس ، فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه ، لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله ، وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم ، إذا توفرت معها الوسائل ، كانت أعظم دافع لها إلى التسابق إلى غاية المدنية الصحيحة ، ورقيات الكمال .

وقال : هانوتو ، وزير خارجية فرنسا في وقته : إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ، ثابت الأركان ؛ وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً ؛ وهو الدين الإسلامي العظيم ، الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل ، إلى اعتناق دين سواه ، فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده ، فانتشر في الآفاق .

وأقوالهم في هذا كثيرة جداً ، يعترفون فيها بعظمة الإسلام ، وشموله لعموم المصالح ، ودرء المفاسد ، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً ، لصاروا أرقى الأمم وأسعد الناس ، ولكن ضيعوه فضاعوا ، واكتفوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون .

مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

ويؤسفنا كثيراً : بأن البعض من أولادنا لم يعرفوا عن

الإسلام وعظمته ، ما عرفه هؤلاء المعادون له ، بل صاروا يعظمون هذه المدنية الزائفة ، ويتقبلون كل ما يكتب نحو الإسلام وأهله ، من غير تعقل وتفهم .

ولم يدروا أن معظم كتاباتهم على اختلاف أساليبها ؛ يريدون بها غمط الإسلام ، وتشكيك المسلمين في إسلامهم ، بما يبذرونه من الشك والشبه ، المؤدية إلى الحيرة والتردد ، لمن لا خبرة له بمقاصدهم ، ولا علم عنده بالإسلام وحكمه ؛ والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وقال رحمه الله :

مكانة القضاء في الإسلام[1]

إن مركز القضاء له الأهمية الكبرى في هذه الشريعة ، حيث كان القاضي يفصل في الخصومات ، ويقضي في الدعاوى بين الناس ، لا فرق بين ملك وأمير ، وصغير وكبير ، وغني وفقير ، والذي هذا شأنه ، وهذه مهمته ، يجب عليه : أن يتخلق بخلق القرآن ، ويقتدي بالنبي الكريم ، والسلف الصالح .

فإن رسول الله ﷺ يتولى القضاء بنفسه ، فكان إذا جلس له يتمثل العدل في أسمى وأجمل المظاهر ، وكان خلفاؤه من بعده يتولون هذا المنصب بأنفسهم ، قام به أبو

---

(١) نشر في جريدة الندوة في ١٣٨٠/٦/٢٩هـ.

بكر رضي الله عنه ، جامعاً بين السلطة الدينية والسياسية ، فكان يحكم بكتاب الله ، فإن لم يجد فبسنة رسول الله ﷺ ، ويتوقف في بعض القضايا ، فيجمع لها المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم ، فيستشيرهم في حكمها .

وجرى على هذا من بعده ، الخليفة الراشد ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية ، واشتغل بالأعمال السياسية ، ولّى أبا الدرداء قضاء المدينة ؛ وكان أكابر الصحابة وحفاظ القرآن ، يقومون بهذا المنصب ، فأبو موسى تولّى قضاء الكوفة ، وشريح في البصرة ، وغيرهما ، فساروا وأمثالهم في القضاء ، سيرة بهرت العقول .

هذا صعلوك من صعاليك اليهود ، ادّعى عليه علي رضي الله عنه ، في رمح كان بيد اليهودي ، على أنه رمحه ، فطلب شريح من علي البينة بأنه رمحه ، فشهد ابنه الحسن ؛ فقال : ائتني بشاهد غيره ، لأنه ابنك ، ولا تقبل شهادة الابن لأبيه ، فقضى به شريح لليهودي ، فسبح اليهودي ، وهلل ، وحمد وكبر ، فأسلم ، وقال : الرمح لعلي ، وإني لكاذب عليه ؛ فقال علي : الرمح لك ، وأعطاه فرساً لتكمل عنده آلة الجهاد .

فالشريعة الإسلامية : عنت بالعدل في القضاء عنايتها بكل ما من شأنه دعامة لسعادة الحياة ، فأتت فيه بالعظات

البالغة ، تبشر من أقامه وعدل فيه ، بعلو المنزلة ، وحسن العاقبة ، وتنذر من قصّر أو جار ، بسوء المنقلب ، وعذاب الهون .

فمن الآيات المنبهة لما في العدل والاستقامة ، من الكرامة والفضل ، قوله تعالى : (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أي : بالعدل (إن الله يحب المقسطين) [المائدة : ٤٢] .

فدلت الآية الكريمة على الأمر بالعدل ، وأن خيراً عظيماً يحصل للحاكم بالقسط ، هو محبة الله له ، وناهيك بها من محبة ، فما بعد محبة الله إلا الحياة الطيبة في الدنيا ، والعيشة الراضية في الآخرة .

ومن الأحاديث الدالة على ما يورثه العدل ، من المنزلة ، وعلو المكانة : ما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » وشدة قربهم من الله جل شأنه ، وفوزهم برضوانه ، حاصل لهم بسبب عدالتهم .

وإن ترد مثلاً من آيات الوعيد ، فتأمل قوله تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) [ص : ٢٦] .

تجد الآية تنادي : بأن الفصل في القضاء جرياً مع الأهواء ، ضلال عن سبيل الله الذى هو صراطه المستقيم ، والضلال عن سبيل الله ، ملق صاحبه في العذاب الشديد ، فما ظنك بعذاب وصفه الكبير المتعال بالشدة ، ويشتريه بمتاع في هذه الدنيا ؟ إن هذا لسفه ، ودلالة على عدم نفوذ الإيمان إلى سويداء قلبه ، فلهذه الآية أثر عظيم في النفوس المطمئنة بالإيمان ، البعيدة عن الأهواء .

يحدثنا التأريخ : أن أحمد بن سهل ، جار لقاضي مصر ، بكار بن قتيبة ، فاتفق أنه مر على بيت بكار أول الليل ، فسمعه يقرأ هذه الآية ، ويرددها ، ويبكي (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) ثم قمت آخر الليل ، فإذا هو يقرؤها مردداً لها ، وإن بكاراً هذا من أعدل القضاة حكماً ، وأشرفهم أمام أولي الأمر موقفاً .

والأحاديث الواردة في الوعيد على الجور كثيرة جداً ، كحديث بريدة : « القضاة ثلاثة ، اثنان في النار ، وواحد في الجنة ، رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق وقضى بخلافه ، فهو في النار » .

فإن كان حظه من القضاء بخساً ، أو يكون خلُق العفاف في نفسه واهياً ، كمن كان متبعاً لهواه ، جارياً على غير السنن ، فهذا جزاؤه .

وصف الإسلام : مافي العدل ، من فوز ، ورضا ، وخير ، واستقامة ؛ وما في الحيف من شقاء ، وبلاء وشر ؛ فإن رسول الله ﷺ ، رسم العدل في القضاء رسماً مستقيماً ليس بذي عوج ، وزاده بسيرته العملية بياناً واستنارة .

انظر إلى قصة المخزومية التي سرقت ، وأمر بقطع يدها ، وشفاعة أسامة بذلك ؛ وقول رسول الله ﷺ : « إن من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله : لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

فاستبانت قضيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه في أجلى مظهر ، فاقتدوا بهديه الحكيم ، وأيدوا للناس القضاء ، الذي يزن بالقسطاس المستقيم ، كما في كتاب عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فإن للإسلام في سيرة رجاله الذين أوتو العلم ، والإيمان أثراً كبيراً في إصلاح القضاء ، والسير به على المنهج القويم .

والمحاكم : لا تشرق بنور العدل ، إلا أن يمسك بأزمتها رشيد العقل ، وقوي الإيمان بيوم المعاد ، فالخوف من الله ومراقبته ، تحمل القاضي على تحقيق النظر في كل واقعة ، بحيث يتطلب معرفة الحق ، ويبلغ في تطلبه منتهى استطاعته .

ولا يتعجل بما يلوح له من أول فهم يبدو له ، بل

يتأنى ، ويبحث عما تستدعيه مجريات القضية ، حتى ولو علم أن قضاءه نافذ المفعول ، وما له فيه معقب . فمن ملوك الأندلس من يعزل القاضي إذا رأى منه التعجل في فصل الأحكام التي تستدعي بطبيعتها شيئاً من التروي والتعقل ، إذ يبدو من تعجله عدم تحرجه ، من إثم الخطأ في الحكم .

فإن التقوى هي التي توقف القاضي عند حدود العدل ، لا يخرج عنها قيد شعرة ، وانظر إلى خبر عقبة بن يزيد ، قاضي بغداد ، وتخوفه على دينه ، حيث قدمت له هدية فردها ، واستقال من أجلها .

فقد روى : أن عقبة بن يزيد ، قاضي بغداد ، في أيام الخليفة المهدي ، جاء إليه في بعض الأيام وقت الظهيرة ، وهو منفرد ، فلما دخل عليه : استأذنه فيمن يسلم إليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم ، واستعفاه من القضاء ، وطلب منه أن يقيله من ولايته .

فظن الخليفة المهدي : أن بعض الأمراء من البيت المالك قد عارضه في حكمه ؛ فقال له في ذلك : إن كان عارضك أحد لننكرنّ عليه ؛ فقال القاضي : لم يكن شيء من ذلك ؛ قال : فما سبب استعفائك من القضاء ؟

قال يا أمير المؤمنين : كان قد تقدم إلي خصمان منذ شهر في قضية مشكلة ، وكل يدعي بينة وشهوداً ، ويدلي

بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت ، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا ، وأن يظهروا الفصل بينهما ؛ فسمع أحد الخصوم أني أحب الرطب ، فعمد في وقتنا هذا ، وهو أول أوقات الرطب ، لا يتهيأ في وقتنا هذا جمع مثله لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا خادمي بدراهم ، على أن يدخل الطبق ، ولا يبالي عاقبة ذلك .

فلما أدخله علي أنكرت ذلك ، وطردت خادمي ، وأمرت برد الطبق إليه ، فلما كان اليوم : تقدم الخصمان إلي فما تساويا في عيني ، ولا في قلبي ، فهذا يا أمير المؤمنين وأنا لم أقبل الهدية ، فكيف يكون حالي لو قبلت ؟

ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني فأهلك ، وقد فسد الناس ، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله ، وأعفني أعفاك الله ، فشدد في هذا الطلب ، فلم يسع الخليفة إلا إقالته من القضاء ، إجابة لطلبه وإلحاحه في ذلك .

ويروى : أن منذر بن سعيد البلوطي ، كان قاضياً بقرطبة ، في أيام زهوة الإسلام ، في تلك البلاد التي أخنى عليها الدهر ، وأصبحت أثراً بعد عين ، وفي عصره احتاج الخليفة الناصر إلى شراء دار في قرطبة ، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد أيتام ، قصّر ، وكانت قريبة لبعض أملاكه ، وهذه الدار يتصل بها حمام له غلة واسعة .

وكان الأولاد الأيتام القصّر في حجر القاضي ، فأرسل

الخليفة من قوّم الدار بقدر ما طابت نفسه به ، وأرسل أناساً أمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم ؛ فقال : إنه لا يجوز ذلك إلا بأمر القاضي .

وأرسل الخليفة إلى القاضي منذر ، ليبيع هذه الدار ؛ فقال القاضي لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا بوجوه ؛ منها : الحاجة ؛ ومنها : الوهي الشديد ؛ ومنها : الغبطة ؛ فأما الحاجة بهذه الأيتام إلى البيع فلا ؛ وأما الوهي : فليس فيها ؛ وأما الغبطة فهذا مكانها ، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستديم به الغبطة فأمر وصيهم بالبيع ، وإلا فلا .

فنقل جوابه إلى الخليفة ، فأظهر الزهد في شراء الدار ، طمعاً في أن يتوخى رغبته فيها ، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها ، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار ، وبيع أنقاضها ، ففعل ذلك ، وباع الأنقاض ، فكانت لها قيمة أكسب مما قومت به للخليفة الناصر ، فاتصل الخبر بالخليفة ، فعزّ عليه خرابها ، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصي على القاضي أنه أمر بذلك .

فأرسل عند ذلك إلى القاضي منذر ، وقال له : أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة ؟ فقال له : نعم . فقال : وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقوله تعالى : (أما

السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) [الكهف : ٧٩] .

مقوموك لم يقوموها إلا بكذا ، وبذلك تعلق وهمك ، فقد قبض في أنقاضها أكثر من ذلك ، وبقيت القاعة ، والحمام ، فضل ، وقد نظر الله تعالى للأيتام القصّر ، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أوتي من ذلك ، وقال : نحن أولى من أنفذ الحق ، فجزاك الله عنا وعن أمانتك خيراً .

ونقل بعضهم : أنه لما تولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام القضاء في مصر ، تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك ، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحراراً ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ، فبلغهم ذلك ، وعظم الخطب عندهم ، والشيخ مصمم على فكرته ، لا يصحح لهم بيعاً ، ولا شراء ، ولا نكاحاً ، وتعطلت مصالحهم لذلك .

وكان من جملتهم : نائب السلطنة ، فاشتاط غضباً ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه ؛ فقال : نعقد لكم مجلساً ، وننادي عليكم لبيت مال المسلمين ، فرفع الأمراء إلى السلطان ، فبعث إليه فلم يرجع ، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه .

فانزعج النائب ، وقال : كيف ينادي علينا هذا الشيخ

ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟! والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعة، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده.

فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، وشرح لوالده الحالة، فما اكترث لذلك، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج، فحين أن وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وارتعدت مفاصله، فبكى، وسأل أن يدعو له.

وقال: يا سيدي: ماذا تعمل؟! قال: أنادي عليكم، وأبيعكم؛ وقال: فيما تصرفون ثمننا؟! قال في مصالح المسلمين؛ قال: من يقبضه؟ قال: أنا؛ فتم ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، ولم يبعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير التي يعود نفعها على الأمة الإسلامية.

ويروى: أن القاضي بكار بن قتيبة، كان عالماً، ورعاً، محدثاً، ثقة، ويبتعد عن الشبهات، خوفاً من الوقوع في المحرمات، وقد تولى القضاء في مصر، في زمن الملك بن طولون، وكان أحمد بن طولون يعظمه ويحترمه.

ويظهر أن ابن طولون: لما رأى نفسه ملكاً مستقلاً في مصر، أراد أن يضيف إلى ذلك الخلافة الإسلامية،

فأرسل للقاضي بكار رسولاً ، وطلب منه خلع الخليفة الموفق بن المتوكل ، فامتنع القاضي بكار من ذلك ، وقال : هذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله .

فغضب أحمد بن طولون على القاضي بكار ؛ ويقال : إنه أحضره أمامه ، ومزق ثيابه ، وبعد ذلك أمر بسجنه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حرض عليه بعض بطانته ، فادعى عليه بمظالم كذباً وزوراً ، وكان يحضره أمامه من السجن في حالة لا تناسب الأدب ، حتى إذا انتهى التحقيق من المظالم المزعومة ، أعاده إلى السجن مرة ثانية ، وقد منعه من أداء صلاة الجمعة . فيقول القاضي بكار : اللهم اشهد .

فأرسل إليه بن طولون من يقول له : كيف رأيت المغلوب المقهور ، لا أمر له ولا نهي ، ولا تصرف له في نفسه ؟! ومع كل هذه المحن التي رآها القاضي بكار ، لم يمنعه من قراءته الحديث الشريف ، وهو في السجن ، على تلاميذه ، الذين يستمعون من خارج السجن .

ومكث القاضي بكار في السجن على هذه الحالة ، حتى مرض ابن طولون مرض الموت ، فأرسل إليه يستسمحه ؛ فقال للرسول : قل له أنا شيخ كبير ، وأنت عليل مدنف ، والمتلقى قريب ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين . ولم تمض أيام حتى مات ابن طولون ، وخرج

القاضي بكار من السجن ، وقد رأى ما رأى من البلايا والمحن ، ولم يغير عقيدته ويوافق ابن طولون .

فهذا شيء يسير من سير بعض قضاة الإسلام ، وأخبارهم كثيرة جداً ، كما في كتب التراجم ، والتواريخ ، ساروا فيها سيراً يمثل العدل ، في أجلى مظهر وأسمى منزلة ؛ فقارن بين القضاء في العصور الخالية ، وبين القضاء في هذا الزمان ، واحكم بما ترى ، فأنت العاقل اللبيب ؛ والله الموفق ، الهادي إلى سواء السبيل ؛ وصلى الله على نبينا محمد .

وله أيضاً رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد ، إلى حضرة المكرم الأحشم ، سماحة الشيخ : محمد بن إبراهيم ، رئيس القضاة ، أدام الباري عليه إحسانه ، وأجرى بالصواب قلمه ولسانه آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد : فأرجو الله أن يحفظكم ويوفقكم لما فيه رضاه ، وأن يسدد خطاكم ، ويجعلكم من صالح عبيده وأوليائه .

سلمك الله : بما أني أعتبر نفسي كواحد من أبنائكم ، وأن الواجب علينا جميعاً التناصح ، والتساعد على ما فيه الخير والصلاح العام ، والتعاون على البر والتقوى ، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن .

لذا أحب أن أبدي لكم ما في نفسي ، نصحاً ومحبة ؛ وحرصاً على هذه الشريعة الكاملة في مصادرها ومواردها ، أن تنتهك حرمتها ، أو تنال بسوء ، أو أن يخفف وقعها في النفوس ، وذلك بما هو معلوم لديكم ، ولدى الناس عامة ؛ وهو : ما أصيب القضاء من ضعف ، وما حصل به من خلل .

وغير خاف عليكم حفظكم الله : مكانة القضاء من الإسلام ، وما عليه الناس اليوم ؛ فإعطاؤه العناية الكاملة من كل الوجوه ، وبذل النفس والنفيس في تركيزه على الطريقة المثلى ، التي ركزها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، والتناصح في ذلك من أوجب الواجبات .

فتحكيم الشريعة الإسلامية : مفقود من جميع نواحي المعمورة ، سوى هذه المملكة الإسلامية أيدها الله ، وأدام تمسكها بهذا الدين الحنيف .

لذا ولما تقدم : رأيت من المتعين علي أن أبين لسماحتكم بعض ما لاحظته على القضاء في هذه المملكة ، والله يعلم أني لا أريد إلا النصح ، والسعي فيما فيه حفظ حقوق المسلمين ، واحترام الشريعة الإسلامية بأن لا تكون في نفوس بعض العامة وغيرهم غير كافلة لمصالحهم ، بحيث يرون : أن غيرها أحفظ لحقوقهم منها ، وأعوذ بالله أن يكون ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

سبق : أن شافهتكم كثيراً ، وكاتبتكم مراراً في هذا الموضوع ؛ وهو : أن الحالة القضائية انحط شأنها ، وضعف في نفوس الكثيرين مكانتها ، وذلك لأمور :

منها تولية غير الأكفاء ، كبعض الطلاب المتخرجين من الكليات وغيرهم ، ممن لا يعرف دينه وعقله وعلمه وأمانته ، فيما ولي مثل هذه الأعمال الهامة ؛ والتحقق عن جميع ما ذكر واجب .

والأولى : أن تتولى ذلك بنفسك ، ولا تعتمد على أحد ، لأهمية هذا العمل ؛ وذلك بأن يكون القاضي ممن اشتهر بالعلم والورع والديانة والأخلاق الفاضلة ، وإن كان ممن مارس هذا العمل فهو أولى .

ثانياً : تهاون بعض القضاة بالأخلاق الفاضلة ، وبشعائر الإسلام الظاهرة ، وعدم تخلقهم بها ، مما يسقط مكانة القضاء والقضاة من نفوس العامة .

ثالثاً : إدخال بعض الأنظمة على القضاء ، التي من شأنها تعقيد المسائل ، وتطويل المعاملات ، بكثرة السؤال والجواب ، وطول الأخذ والرد ، وتكليف الخصوم بما يحصل المقصود بدونه ، مما يجعل أحدهم يسب القضاء والقضاة والحكومة ، بسبب ما تحمله من التكاليف في بدنه وماله .

رابعاً : قصور علم بعض القضاة ، وفقد غالب الشروط التي ذكرها العلماء في القاضي ، كما لا يخفى وكما هو

مشاهد ، فإن بعضاً من القضاة لم يعرفوا أحكام صلاتهم ، فضلاً عن أن يحكموا بين الناس باسم الشريعة الإسلامية ؛ وقد بلغنا كثيراً من فتاويهم وأحكامهم ، ومع هذا يحكم في الأموال والحدود ، والفروج ، والأوقاف وغيرها بلا خجل ولا حياء .

خامساً : تكثير المحاكم في كل هجرة وقرية ، من غير تحقق في كثرة السكان وبعد المسافة ، بل بمجرد الطلب يوافق على ذلك ، والأولى التقليل من ذلك لقلة وجود الأهل لهذا العمل الهام .

سادساً : إلزام بعض أهل البلاد على قضاتهم ، إذا كان بينهم وبينه خلاف واقعي صحيح ، وهذا يخالف المصلحة ، فالمستحسن : نقل كل من تظلم أهل بلده منه ، أو رمي بتهم لا تليق به ، حفظاً لكرامته ، وصوناً لسمعته ، ونقله ـ والحالة هذه ـ أولى من إلزامهم به ، لما يترتب على ذلك من الأمور التي هي غير محمودة .

ولما تقدم يترتب عليه أمور :

منها : أن في وجود ما ذكر في القضاء والقضاة ، تكثيراً للمشاكل ، وإتعاباً للناس وللحكومة ولكم ، في كثرة المراجعات ، وإبداء التظلمات ، وإطلاق ألسنتهم في المنتسبين ، مما يجعل القاضي كأقل موظف ، بل وأحط رتبة منه في نفوس الناس ، في حين أن القاضي يجب

احترامه وتوقيره وتقديره ، لأجل المنصب الذي يشغله . لا لشخصيته .

ثانياً : إن كثيراً ممن يحكم عليه يرى أنه مظلوم ، وأن الحكم ليس بصحيح ، لعدم ثقته بقاضيه وارتياحه منه ، لأنه يرى ويسمع منه ، ما يصيره معتقداً أن قاضيه ليس على حق في حكمه ، فيعتقد أن الحكومة ظلمته بتولية مثل هذا ، ولم تراع له حقاً .

ثالثاً : إن في ترك الناس على هذه الحالة ، سبباً إلى ميول العامة إلى القوانين الوضعية ، وأنها هي التي تضمن لهم حقوقهم ؛ ولا شك أن هذه بلية عظمى ، متى رأى الناس هذا الرأي ، وإن لم يتفوهوا به .

هذا بعض ما دار في النفس ، أحببت أن أكتب لكم به ، نصحاً وبراءة للذمة ، وحرصاً على هذه الشريعة الإسلامية ، ومحبة لهذه الحكومة ولكم ، وثقة بعقلكم وبعد نظركم ، ولعل الله أن يقدر الاجتماع بكم ، فأبين لكم جميع ما في نفسي حول ذلك مما لا تنبغي كتابته .

والله أسأل : أن يوفقكم ويكلل أعمالكم بالنجاح ، ويبارك في علومكم ومساعيكم والسلام ، في ٣٠/ ١٢/ ١٣٨٢هـ .

وقال الشيخ : صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من صالح بن أحمد الخريصي ، إلى من يراه من إخواننا القضاة ، وفقني الله وإياهم لأسباب النجاة ، وعصمني وإياهم من سلوك طرق الغي والضلالات ، آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : تعلمون أيها الإخوان ، أنكم قد حملتم حملاً ثقيلاً ، وطوقت برقابكم أمانة عظيمة ، وإنكم موقوفون بين يدي الله سبحانه ، ومسؤولون عن أدائها ، فأعدوا للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً .

ومن أعظم ما يستعان به ، على أداء هذه الأمانة أسباب ؛ أولها : تقوى الله عز وجل ، ومراقبته في السر والعلانية ، فإن بتقوى الله يتبين وجه الصواب ، قال الله عز وجل : (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ، [الأنفال : ٢٩] .

وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) [الطلاق : ٢] ، وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) [الطلاق : ٤] ، وقال تعالى : (اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) [الحديد : ٢٨] .

والأيات في هذا المعنى كثيرة ؛ ولهذا : لما قيل للإمام أحمد ، رحمه الله ، من نسأل بعدك ؟ قال : سلوا

عبد الوهاب الوراق ، فإنه رجل صالح مثله يوفق للصواب .

واستدل : الإمام أحمد ، رحمه الله بقول عمر ، رضي الله عنه : اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنهم تجلى لهم أمور صادقة ، وذلك لقرب قلوبهم من الله .

وكلما قرب القلب من الله ، زالت عنه معارضات السوء ، وكان كشفه للحق أتم وأقوى ؛ وكلما بعد عن الله كثرت عليه المعارضات ، وضعف نور كشفه للصواب ، فإن العلم نور يقذفه الله بالقلب ، يفرق به العبد بين الخطأ والصواب .

ومن ذلك : أن يتأدب بالآداب التي ذكر العلماء ، رحمهم الله في هذا الباب ؛ منها : أن يكون قوياً على حمل ما كلف به ، ومن غير عنف يمنع صاحب الحق من استيفاء حقه ، ومن غير ضعف يجترئ به صاحب الباطل عليه وعلى خصمه .

قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله : لا يصلح القاضي إلا أن تكون فيه خصال ؛ أن يكون صليباً نزهاً عفيفاً حليماً ، عليماً بما كان قبله من القضاء ، والسنن .

ومن ذلك : أن يكون ذا بصيرة ، وبصر بأهل زمانه ، لا سيما أهل هذه الأزمان ، فإن أكثرهم أروغ من الثعالب ؛ وليحذر حلاوة ألسن أكثرهم ، فإن لهم في ذلك أهدافاً

وأغراضاً ، وحوائج يحومون حول تحصيلها بكل ممكن .

ومنها : أن يكون ذا أناة ، يتثبت ، وفطنة فيما يحكم به ؛ ومنها : أن لا يعجل في البت بالحكم ، حتى يتبين له وجه الصواب ، من غير تأخير يخل بالمقصود ، ويوجب للضعيف ترك حقه .

كما قال عمر ، رضي الله عنه ، في كتابه لمعاوية : وتعاهد الغريب ، فإنه إن طال حبسه ترك حقه ، وانطلق إلى أهله ، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأساً .

ومنها : الحرص على لزوم العمل ، والمبادرة إليه في أوقاته ، لإنجاز مهمات المسلمين ، وقضاء حوائجهم ؛ فإن كثيراً من إخواننا ـ هداهم الله ـ يرددون الخصوم أكثر من الحاجة ، من غير سبب يدعو إلى ذلك .

ومنها : ما ينبغي للقاضي أن يتخلق ويتأدب ويتزيّا به ، من الآداب الشرعية ، التي لا ينبغي له أن يخل بتركها ، لأنه منظور إليه ، ترمقه العيون بلحظاتها ، وتقتدي به الأرواح والنفوس في صفاتها .

فإذا أكمل نفسه وأصلحها ، فينبغي له ، بل يتعين عليه : أن يكمل غيره ، بالدعوة إلى الله ، والإرشاد ، والأمر والنهي ، والتعليم ، ويكون قدوة في ذلك ، يقتدى به ويؤتم به ، وهذا من أجل المقاصد في نصب القضاة .

وبعض إخواننا من القضاة ، قد أهمل هذا المقام

العظيم ، ولم يرفع به رأساً ؛ فتجده في أخلاقه وأعماله وآدابه ، إلى الانحراف أقرب ، عافانا الله وإياهم ، وألهمنا وإياهم رشده .

ومنها : أن يعلم القاضي ، أن الخصومات ستعاد يوم القيامة ، ويحكم فيها العدل الذي لا يجور ، وإنما القضاء في الدنيا للفصل بين الناس ، فليتَّئِد عند ذلك .

وليتلمّح وجه الصواب في القضية مهما أمكنه ، من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعين لهم بإحسان ، وعلماء الأمة الذين لهم لسان صدق في الأمة .

فإذا اجتهد وبذل وسعه وطاقته حسب الإمكان ، رجي له أن يوفق لإصابة الحق ، وأن لا يفوته أجران مع الصواب ، أو أجر مع الخطأ .

ولا ينظر إلى كثرة الأساليب ، التي استعملها بعض القضاة ، خشية أن يقال في حكمه ، أو يعترض عليه ؛ بل إذا تبين له الحق ، حكم به ولا يبالي بمن اعترض عليه ، أو قال في حكمه ، كما قيل :

إذا رضي الحبيب فلا أبالي أقام الحي أم جد الرحيل

ومنها : أنه ينبغي منه إذا خفي عليه وجه الصواب ، وأعيته الأمور ، بإغلاق الأبواب ، أن يستغيث بمعلم

إبراهيم ، فإن هذا من أنجح الأسباب الموصلة إلى المقصود ، كما ذكر الأصحاب ، أنه ينبغي للقاضي أن يدعو بدعاء الاستفتاح :

« اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، كثير الدعاء بذلك ، وكان إذا أشكلت عليه المسائل ، يقول : يا معلم إبراهيم علمني ؛ وكان بعض السلف يقول عند الافتاء : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

وكان محكول يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ وكان مالك رحمه الله يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ وكان بعضهم يقول : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي .

وكان بعضهم يقول : اللهم وفقني واهدني وسددني ، واجمع لي بين الصواب والثواب ، وأعذني من الخطأ والحرمان ؛ وكان بعضهم يقرأ الفاتحة ؛ قال العلامة ابن القيم ، رحمه الله : جربنا ذلك فرأيناه من أقوى أسباب الإصابة .

وقال النبي : ﷺ لعلي رضي الله عنه : « قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد » والمعول في ذلك كله على حسن النية وخلوص المقصد ، وصدق التوجه في الاستمداد من المعلم الأول ، معلم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فإنه لا يرد من صدق في التوجه إليه ، لتبليغ دينه وإرشاد عبيده ، ونصيحتهم والتخلص من القول عليه بلا علم .

ومما ينبغي لمن عين للقضاء : أن يعرض نفسه على الأمور المتقدم ذكرها ، ويحاسبها ويبحث معها بحثاً دقيقاً ، هل هذه الخصال موجودة فيها أم لا ؟ وهل هو أهل لذلك أم لا ؟ .

وقد كتب سلمان رضي الله عنه إلى أبي الدرداء ، لما ولي القضاء ، وقال : بلغني أنك جعلت طبيباً ، فإن كنت تبرئ فنعماء ، وإن كنت متطبباً ، فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار .

فكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا قضى بين اثنين وأدبرا عنه نظر إليهما ، وقال : متطبب والله ، ارجعا أعيد قضيتكما ؛ فهذه حال أهل المعرفة بالله .

كما أنه ينبغي للجهات المختصة ـ المسؤولين ـ أن لا يعينوا إلا من يصلح ، وتكون فيه كفاءة لذلك ، وأخلاق دينية على حسب الطاقة ، لأن الولاية أمانة ، وإذا كان تقديم

الرجل في الجماعة ، وفيهم من هو أفضل منه ، يوجب : أن لا يزالوا في سفال ، فكيف بالقاضي الذي يقتدى به فئات من الناس ؟! .

فيجب عليهم : أن يولّوا أفضل من يجدوا ، علماً وورعاً ، لأنهم ناظرون للمسلمين ؛ فيجب أن يختاروا الأصلح لهم ، واختيار الأفضل علماً من لازم القضاء ، لأنه إنما يمكنه القضاء بين المترافعين بالعلم ، لأن القضاء بالشيء فرع العلم به .

والأفضل أولى من المفضول ، لأنه أثبت وأمكن ، وكذا كل من كان ورعه أكثر ، كان سكون النفس فيما يحكم به أعظم ، وكان من ترك التجري والميل في جانب أبعد .

قال الإمام أحمد رحمه الله : لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه ، حتى يكون فيه خمس خصال ؛ أولها : أن يكون له نية ، فإن لم يكن له نية لم يكن له نور ، ولا على كلامه نور ؛ الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ؛ الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه ، وعلى معرفته .

الرابعة : الكفاية ، وإلا مضغه الناس ، فإنه إن لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس ، وإلى الأخذ مما في أيديهم ؛ الخامسة : معرفة الناس .

فهذه نبذة : ينبغي للعاقل تأملها ، لأنها تطلع على ما

وراءها ، وقد ذكر العلماء ، رحمهم الله ما يكفي ويشفي ، ولكن لعلك لا تجد كلاماً مجموعاً لهذه الكلمات اليسيرات .

وأسأل الله الكريم : أن ينفع بها كل طالب للحق ، ومستفيد ، ومراقب لله فيما يبدى ويعيد ، والله يوفق الجميع للقول السديد ، والأمر الرشيد ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . حرر في ١١/٤/١٣٨٢هـ .

الفصل الثاني :

الحكم الوضعي التشريعي ، ويسمى بالدستور ، وبالحقوق ، والقانون ، وغير ذلك ، ولكل دولة قانون ، وقد يغير كل عام ؛ ورغّب في تعليمه ؛ فلمتولّيه أضعاف ما للشرعي ، فرغب فيه ؛ ومن سنين وهو يدرس في الخارج ، في الجامعات والمعاهد ، باسم الحقوق .

وأملنا عظيم في ولاة أمورنا ، في الحذر منه ، أيدهم الله بروح منه ، وجعلهم هداة مهتدين ، ناصرين لشرع الله القويم ، ولم يزالوا في محافلهم وخطبهم ، يعتزّون بتحكيم الكتاب والسنة ، وينفذونها على الرعية[(١)] .

ومما قالوه على رؤوس وفود حجاج بيت الله الحرام ، ونشر في الصحف والمجلات :

حيث كنا مسلمين حقاً ، فيجب أن نتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ونحق الحق ، فإن كتاب الله بين أيدينا ، ولم يحرف ولم يبدل ؛ وإن سنة رسوله ﷺ بين أيدينا ، ولم يدخلها تغيير ولا تبديل .

فحيث كنا مسلمين حقاً ، فيجب أن نعود إليهما ونحكمهما

---

(١) ومن ذلك ما تقدم في الجزء ١٤ من كلمات للملك عبد العزيز رحمه الله وعزمه على القيام بها .

في أمورنا ، ونخضع للحكم بطواعية وبنفوس طيبة : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء : ٦٥] .

ومما قالوه أيضاً : القرآن هو دستورنا ، ولا دستور لنا سواه ؛ الإسلام هو الذي شرف العرب وهداهم لرفع شأنهم ، كما رفع شأن كل من اهتدى بهديه .

الشريعة الإسلامية هي مصدر تشريعنا في العبادات والمعاملات ؛ الإسلام هو الذي جاءنا بأعلى وأرفع أنواع العدل ، وأرقى النظم الاجتماعية .

مبادؤنا الاجتماعية ، نستمدها من القرآن ، ومن سنة نبينا ، وما كان عليه السلف الصالح ، ولا يمكن أن نستورد هذه المبادئ من أي نظام في العالم .

نحن سننفذ نظمنا الدينية ، والقضائية ، والاجتماعية ، طبقاً لأحكام ديننا ، في بلادنا بكل شدة وحزم ، وندعوا لذلك في خارج بلادنا ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلو ذهبنا نتتبع خطاباتهم البليغة ، وغيرها ، لخرج بنا عن المقصود .

وتقدم في الجزء التاسع : فتوى المشائخ بهدم مسجد حمزة ، وأبارشيد على الفور ؛ وأما القوانين : فإن كان شيء منها موجوداً في الحجاز ، فيزال فوراً ، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر .

وللشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله رسالة في تحكيم القوانين[1] وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من الكفر الأكبر المستبين ، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد ﷺ ، ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، في الحكم بين العالمين ، والرد إليه عند تنازع المتنازعين ، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقد نفى الله سبحانه وتعالى ، الإيمان عمّن لم يحكموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] .

ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ ، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من

---

(١) طبعت في غرة رجب سنة ١٣٨٠هـ، وهي موجودة وغيرها في مجموع فتاويه الجزء ١٢ وسبق أن نشرت في مجلة راية الإسلام في ٤/ ١٣٨٠هـ، وغيرها.

الحرج في نفوسهم ، بقوله جل شأنه : (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) والحرج : الضيق ؛ بل لا بد من اتساع صدورهم لذلك ، وسلامتها من القلق والاضطراب .

ولم يكتف تعالى أيضاً هنا بهذين الأمرين ، حتى يضموا إليهما التسليم ، وهو : كمال الانقياد لحكمه ﷺ ، بحيث يتخلون ها هنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء ، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم ، ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد ، وهو قوله جلّ شأنه : (تسليما) المبين أنه لا يكتفى ها هنا بالتسليم ، بل لا بد من التسليم المطلق .

وتأمل : ما في الآية الأولى ، وهي قوله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) كيف ذكر النكرة ، وهي قوله : (شيء) في سياق الشرط ، وهو قوله جل شأنه : (فإن تنازعتم) المفيد العموم فيما يتصور التنازع فيه ، جنساً وقدراً ؛ ثم تأمل : كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر ، بقوله : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) .

ثم قال جل شأنه : (ذلك خير) فشيء يطلق الله عليه أنه خير ، لا يتطرق إليه شر أبداً ، بل هو خير محض ، عاجلًا وآجلًا .

ثم قال سبحانه : (وأحسن تأويلا) أي عاقبة في الدنيا والآخرة ؛ فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ ، عند التنازع ، شر محض وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة .

عكس ما يقوله المنافقون : (إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقا) [النساء : ٦٢] ، وقولهم : (إنما نحن مصلحون) ولهذا ردّ الله قائلاً : (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) [البقرة : ١١ ، ١٢] .

وعكس ما عليه القانونيون ، من حكمهم على القانون بحاجة العالم ، بل ضرورتهم إلى التحاكم إليه ، وهذا سوء ظن صرف ، بما جاء به الرسول ﷺ ، ومحض استنقاص لبيان الله ورسوله ، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع ، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة ، إن هذا لازم لهم .

وتأمل أيضاً : ما في الآية الثانية من العموم ، وذلك في قوله تعالى : (فيما شجر بينهم) [النساء : ٦٥] ، فإن اسم الموصول مع صلته ، من صيغ العموم ، عند الأصوليين وغيرهم ، وذلك العموم والشمول ، هو من ناحية الأجناس والأنواع ، كما أنه من ناحية القدر ، فلا فرق هنا بين نوع ونوع ، كما أنه لا فرق بين القليل والكثير .

وقد نفى الله الإيمان عمّن أراد التحاكم ، إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ ، من المنافقين ، كما قال تعالى : (ألم

تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) [النساء : ٦٠] .

فإن قوله عز وجل : (يزعمون) تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان ، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ ، مع الإيمان في قلب عبد أصلاً ، بل أحدهما ينافي الآخر .

والطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهو : مجاوزة الحد ؛ فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ ، أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه .

وذلك : أنه من حق كل أحد ، أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ ، فقط ، لا بخلافه ، كما أن من حق كل أحد أن يحاكم إلى ما جاء به النبي ﷺ ، فمن حكم بخلافه ، أو حاكم إلى خلافه ، فقد طغى وجاوز حده ، حكماً ، أو تحكيماً ، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده .

وتأمل قوله عز وجل : (وقد أمروا أن يكفروا به) تعرف منه معاندة القانونيين ، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد ؛ فالمراد منهم شرعاً ، والذي تعبدوا به ، هو : الكفر بالطاغوت ، لا تحكيمه (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) [البقرة : ٥٩] .

ثم تأمل قوله : (ويريد الشيطان أن يضلهم) كيف دل على أن ذلك ضلال ، وهٰؤلاء القانونيون يرونه من الهدى ؛ كما دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان ، عكس ما يتصور القانونيون ، مِنْ بُعْدِهِم من الشيطان ، وأنه مصلحة الإنسان .

فتكون على زعمهم : مرادات الشيطان ، هي صلاح الإنسان ، ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان ، معزولاً من هذا الوصف ، ومنحى عن هذا الشأن ، وقد قال تعالى منكراً على هذا الضرب من الناس ، ومقرراً ابتغاءهم أحكام الجاهلية ، وموضحاً أنه لا حكم أحسن من حكمه : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة : ٥٠] .

فتأمل هذه الآية الكريمة ، وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية ، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية ، الموضح : أن القانونيين من زمرة أهل الجاهلية ، شاؤوا أم أبوا ، بل هم أسوأ منهم حالاً ، وأكذب منهم مقالاً ، ذلك أن أهل الجاهلية ، لا تناقض لديهم حول هذا الصدد .

وأما القانونيون : فمتناقضون ، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ ، ويناقضون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، وقد قال الله تعالى في أمثال هٰولاء : (أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) [النساء : ١٥١] .

ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة ، على القانونيين ما زعموه ، من حسن زبالة أذهانهم ، ونحاتة أفكارهم ، بقوله عز وجل : (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم ، المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء ، والاصطلاحات التي وضعها الرجال ، بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به ، من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم .

وكما يحكم التتار من السياسات الملكية ، المأخوذة عن ملكهم « جنكيزخان » الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام ، قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية ، والنصرانية ، والملّة الإسلامية ، وغيرها .

وفيها كثير من الأحكام ، أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك فهو كافر ، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير .

قال تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون ، (ومن أحسن من الله حكما لقوم

يوقنون) [المائدة : ٥٠] أي : ومن أعدل من الله في حكمه؟ لمن عقل من الله شرعاً وآمن به ، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين ، وأرحم من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء .

وقد قال عز شأنه - قبل ذلك - مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :

(فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وقال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) [المائدة : ٤٨ ، ٤٩] .

وقال تعالى مخيراً نبيه محمداً ﷺ ، بين الحكم بين اليهود والإعراض عنهم ، إن جاؤوه لذلك : (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) [المائدة : ٤٢] ، والقسط هو العدل ، ولا عدل حقا إلا حكم الله ورسوله .

والحكم بخلافه هو الجور والظلم ، والضلال والكفر والفسوق ، ولهذا قال تعالى بعد ذلك : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما

أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) [المائدة : ٤٤، ٤٥، ٤٧] .

فانظر كيف سجل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله ، بالكفر والظلم والفسوق ، ومن الممتنع : أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ، ولا يكون كافراً ، بل هو كافر مطلقاً ، إما كفر عمل ، وإما كفر اعتقاد .

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في تفسير هذه الآية ، من رواية طاووس وغيره ، يدل : أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر ، إما كفر اعتقاد ناقل عن الملّة ، وإما كفر عمل ، لا ينقل عن الملّة .

أما الأول ، وهو : كفر الاعتقاد ، فهو أنواع ؛ أحدها : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ، أحقيّة حكم الله ورسوله ، وهو معنى ما روي عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير ، أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي ، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم .

فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم ، أن من جحد أصلا من أصول الدين ، أو فرعا مجمعاً عليه ، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً ، فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة .

الثاني : أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ، كون

حكم الله ورسوله حقاً ، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ ، أحسن من حكمه وأتم وأشمل ، لما يحتاجه الناس ، من الحكم بينهم عند التنازع ، إما مطلقاً ، أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان ، وتغير الأحوال ؛ وهذا أيضاً : لا ريب أنه كفر ، لتفضيله أحكام المخلوقين ، التي هي محض زبالة الأذهان ، وصرف حثالة الأفكار ، على حكم الحكيم الحميد .

وحكم الله ورسوله ، لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان ، وتطور الأحوال ، وتجدد الحوادث ، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت ، إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصا أو ظاهراً أو استنباطا ، أو غير ذلك ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

وليس معنى ما ذكره العلماء ، من تغير الفتوى ، بتغير الأحوال ، ما ظنه من قل نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها ، حيث ظنوا أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية ، وأغراضهم الدنيوية ، وتصوراتهم الخاطئة الوبية .

ولهذا تجدهم يحامون عليها ، ويجعلون النصوص تابعة لها ، منقادة إليها مهما أمكنهم ، فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه ؛ وحينئذٍ معنى تغير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان ، مراد العلماء منه : ما كان مستصحبه فيه الأصول

الشرعية ، والعلل المرعية ، والمصالح التي جنسها مراد الله تعالى ورسوله ﷺ ؛ ومن المعلوم : أن أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل ، وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مراداتهم كائنة ما كانت ، والواقع أصدق شاهد .

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله ، فهذا كالنوعين اللذين قبله ، في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة ، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق ، والمناقضة والمعاندة .

لقوله عز وجل : ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى : ١١] ، ونحوها من الآيات الكريمة ، الدالة على تفرد الرب بالكمال ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين ، في الذات والصفات والأفعال ، والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله ، مماثلاً لحكم الله ورسوله ، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه ، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ، فهذا كالذي قبله ، يصدق عليه ما يصدق عليه ، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة ، القاطعة ، تحريمه .

الخامس : وهو أعظمها وأشملها ، وأظهرها معاندة للشرع ، ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ولرسوله ، ومضاهاة : بالمحاكم الشرعية ، إعداداً وإمداداً ، وإرصاداً

وتأصيلاً وتفريعاً ، وتشكيلاً وتنويعاً ، وحكماً وإلزاماً ، ومراجع مستمدات .

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات ، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسي ، والقانون الأمريكي ، والقانون البريطاني وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب بعض البدعيين ، المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك .

فهذه المحاكم : الآن ، في كثير من أمصار الإسلام ، مهيأة مكملة ، مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسراب إثر أسراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب ، من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به وتقرهم عليه ، وتحتمه عليهم ؛ فأي كفر فوق هذا ؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ؟ .

وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط ، معلومة معروفة ، لا يحتمل ذكرها هذا الموضع ؛ فيا معشر العقلاء ، ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى : كيف ترضون أن تجري عليكم ، أحكام أمثالكم ، وأفكار أشباهكم ، أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ ، بل خطؤهم أكثر من صوابهم ، بل لا صواب في حكمهم ، إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصا ، أو استنباطاً ؟ .

تدعونهم يحكمون في أنفسكم ، ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم ، وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم ، وفي أموالكم وسائر حقوقكم ، ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله ، الذي لا يتطرق إليه الخطأ ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخضوع الناس ، ورضوخهم لحكم ربهم ، خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه ، فكما لا يسجد الخلق إلا لله ، ولا يعبدون إلا إياه ، ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ، ولا يخضعوا ، أو ينقادوا ، إلا لحكم الحكيم ، العليم الحميد ، الرؤوف الرحيم ، دون حكم المخلوق الظلوم الجهول ، الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات ، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة ، والظلمات .

فيجب على العقلاء : أن يربؤوا بنفوسهم عنه ، لما فيه من الاستعباد لهم ، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض ، والأغلاط والأخطاء ، فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة : ٤٤] .

السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل ، من البوادي ونحوهم ، من حكايات آبائهم

وأجدادهم ، وعاداتهم التي يسمونها « سلومهم » يتوارثون ذلك منهم ، ويحكمون به ، ويحصلون على التحاكم إليه عند النزاع ، بقاءً على أحكام الجاهلية ، وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما القسم الثاني : من قسمى كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ، وهو الذي لا يخرج من الملّة ، فقد تقدم : أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ، لقول الله عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قد شمل ذلك القسم ، وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية : كفر دون كفر ؛ وقوله أيضاً : ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ؛ اهـ .

وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاده : أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى .

وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملّة ، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر ، كالزنا وشرب الخمر ، والسرقة ، واليمين الغموس وغيرها ، فإن معصية سماها الله في كتابه كفراً ، أعظم من معصية لم يسمها كفراً ؛ نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه ، انقياداً ورضاء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وله أيضاً وغيره من المشائخ، رحمهم الله[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن إبراهيم، وعبد العزيز الشثرى، وعبد اللطيف بن إبراهيم، وعمر بن حسن، وعبد العزيز بن باز، وعبد الله بن حميد، وعبد الله بن عقيل، وعبد العزيز بن رشيد، وعبد اللطيف بن محمد، ومحمد بن عودة، ومحمد بن مهيزع .

إلى من يراه من المسلمين، سلك الله بنا وبهم سبيل عباده المؤمنين، وأعاذنا وإياهم من طريق المغضوب عليهم والضالين، آمين؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فالموجب لهذا هو نصيحتكم، ووصيتكم بتقوى الله، وترغيبكم فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة، وتحذيركم مما يضركم من الدنيا والآخرة، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [المائدة : ٢] .

وقوله عز وجل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا

---

(١) وهي موجودة أيضاً في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد، رحمه الله، ج١٢.

الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

فأمر سبحانه بالتعاون على البر والتقوى ، وحذر من التعاون على الإثم والعدوان ، وتوعد من خالف ذلك بشديد العقاب ؛ وأخبر عز وجل في هذه السورة القصيرة العظيمة : أن الناس قسمان ، خاسرين ، ورابحين .

وبين : أن الرابحين ، هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ؛ فمن اكتمل هذه الصفات الأربع ، فهو من الفائزين بالربح الكامل ، والسعادة الأبدية ، والعز والنجاة في الدنيا والآخرة ، ومن فاته شيء من هذه الصفات ، فاته من الربح بقدر ما فاته منها ، وأصابه من الغبن والفساد ، بقدر ما معه من التقصير والغفلة ، والإعراض عن ما يجب عليه .

فاتقوا الله عباد الله ، وتخلقوا بأخلاق الرابحين ، وتواصوا بها بينكم ، واحذروا صفات الخاسرين ، وأعمال المفسدين ، وتعاونوا على تركها وتحذير الناس منها ، تفوزوا بالنجاة ، والسلامة والعاقبة الحميدة .

وقد قال النبي ﷺ : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

فمن أهم الأمور التي يجب فيها التناصح والتواصي ، تعظيم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ،

والتمسك بهما ، ودعوة الناس إلى ذلك في جميع الأحوال ؛ لأنه لا سعادة للعباد ولا هداية ، ولا نجاة في الدنيا والآخرة ، إلا بتعظيم كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ ، اعتقاداً وقولاً وعملاً ، والاستقامة على ذلك والصبر عليه حتى الوفاة .

لأن الله سبحانه أمر عباده بطاعته وطاعة رسوله ، وعلق كل خير بذلك ، وتهدد من عصى الله ورسوله بأنواع العذاب ، والخزي في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) [النور : ٥٤] .

وقال تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) [الأنعام : ٥٥] ، وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور : ٦٣] .

وقال عز وجل : (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) [النساء : ١٣ ، ١٤] .

ففي هذه الآيات المحكمات : الأمر بطاعة الله

ورسوله ، والحث على اتباع كتابه ، وتعليق الهداية والرحمة ودخول الجنات ، بطاعة الله واتباع كتابه العظيم ، وتعليق الفتنة والعذاب المهين بمعصية الله ورسوله .

فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم الله منه ، وبادروا إلى ما أمركم به ، بإخلاص وصدق ، ورغبة ورهبة ، تفوزوا بكل خير ، وتسلموا من كل شر في الدنيا والآخرة .

ومن أعظم طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام : التحاكم إلى شريعته ، والرضا بحكمها ، والتواصي بذلك ، والحذر كل الحذر مما خالفها ، عملاً بقول الله عز وجل : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء : ٦٥] .

أقسم الله سبحانه في هذه الآية الكريمة : أن العباد لا يؤمنون ، حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما شجر بينهم ، وينقادوا لحكمه راغبين مسلمين ، من غير كراهية ولا حرج ، وهذا يعم مشاكل الدين والدنيا ؛ فهو ﷺ هو الذي يحكم فيها بنفسه في حياته ، وبسنته بعد وفاته ، ولا إيمان لمن أعرض عن ذلك أو لم يرض به .

وقال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) [الشورى : ١٠] ، فهو سبحانه الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في هذه الدار ، وذلك بما أوحى إلى

رسوله ﷺ من القرآن والسنة ؛ وفي يوم القيامة يحكم بين الناس بنفسه عز وجل .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) [النساء : ٥٩] .

يأمر الله سبحانه في هذه الآية بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، لأن في ذلك خير الدنيا والآخرة ، وعز الدنيا والآخرة ، والنجاة من عذاب الله يوم القيامة .

ويأمر بطاعة أولي الأمر ، عطفاً على طاعة الرسول ﷺ ، من غير أن يعيد العامل ؛ لأن أولي الأمر : إنما تجب طاعتهم فيما هو طاعة لله ولرسوله ، وأما ما كان معصية لله ورسوله ، فلا تجوز طاعة أحد من الناس فيه كائناً من كان .

لقول النبي ﷺ : « إنما الطاعة في المعروف » وقال ﷺ : « لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق » .

ثم أمر الله سبحانه عباده : أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، فقال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه الكريم ، والرد إلى الرسول ، هو الرد إليه في حياته عليه الصلاة والسلام ، وإلى سنته بعد وفاته .

ثم قال سبحانه وتعالى : (ذلك خير وأحسن تأويلاً) يرشد عباده إلى أن رد مشاكلهم كلها إلى الله والرسول ، خير لهم وأحسن عاقبة في العاجل والآجل .

فانتبهوا رحمكم الله ، واعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، تفوزوا بالحياة الطيبة ، والسعادة الأبدية ، كما قال الله سبحانه : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [النحل : ٩٧] .

وإن من أقبح السيئات وأعظم المنكرات : التحاكم إلى غير شريعة الله ، من القوانين الوضعية ، والنظم البشرية ، وعادات الأسلاف والأجداد ، التي قد وقع فيها الكثير من الناس اليوم ، وارتضاها بدلاً من شريعة الله ، التي بعث بها رسوله محمد ﷺ .

ولا ريب أن ذلك من أعظم النفاق ، ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق ، وأحكام الجاهلية التي أبطلها القرآن ، وحذر عنها الرسول ﷺ .

قال الله تعالى : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) [النساء : ٦٠ ، ٦١] .

وقال تعالى : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ [المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

وقال عز وجل : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧] .

وهذا تحذير شديد من الله سبحانه لجميع العباد ، من الإعراض عن كتابه وسنة رسوله ﷺ ، والتحاكم إلى غيرهما ؛ وحكم صريح من الرب عز وجل على من حكم بغير شريعته ، بأنه كافر وظالم وفاسق ، ومتخلق بأخلاق المنافقين وأهل الجاهلية .

فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم الله منه ، وحكِّموا شريعته في كل شيء ، واحذروا ما خالفها ، وتواصوا بذلك فيما بينكم ، وعادوا ، وأبغضوا من أعرض عن شريعة الله أو تنقصها ، أو استهزأ بها ، أو سهّل في التحاكم إلى غيرها ، لتفوزوا بكرامة الله ، وتسلموا من عقاب الله ، وتؤدوا بذلك ما أوجب الله عليكم ، من موالاة أوليائه الحاكمين بشريعته ، الراضين بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

والله المسؤل أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ، وأن يعيذنا وإياكم من مشابهة الكفار ، والمنافقين ، وأن ينصر دينه ويخذل أعداءه ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسلمياً كثيراً إلى يوم الدين ، حرر في ١٢/ ١١/ ١٣٨٠هـ .

وقال الشيخ : حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله :[1] .

فصل

النوع الثاني من المشابهة ، وهو من أعظمها شراً ، وأسوئها عاقبة : ما ابتلى به كثيرون ، من اطراح الأحكام الشرعية ، والاعتياض عنها بحكم الطاغوت ، من القوانين ، والنظامات الإفرنجية ، أو الشبيهة بالإفرنجية ، المخالف كل منها للشريعة المحمدية .

وقد قال الله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة : ٥٠] ، وقال تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم) [الشورى : ٢١] .

وقد انحرف عن الدين بسبب هذه المشابهة فئام من

---

(١) في كتابه « الإيضاح والتبيين » .

الناس ، فمستقل من الانحراف ومستكثر ، وآل بكثير منهم إلى الردة ، والخروج من دين الإسلام بالكلية ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والتحاكم إلى غير الشريعة المحمدية من الضلال البعيد ، والنفاق الأكبر ، قال الله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ [النساء : ٦٠، ٦١] .

ثم نفى تبارك وتعالى الإيمان عمّن لم يحكم الرسول ﷺ عند التنازع ، ويرضى بحكمه ويطمئن إليه قلبه ، ولا يبقى لديه شك ، أن ما حكم به هو الحق الذي يجب المصير إليه ، فيذعن لذلك وينقاد له ظاهراً وباطناً .

وأقسم سبحانه وتعالى على هذا النفي بنفسه الكريمة المقدسة ، فقال تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء : ٦٥] .

وما أكثر المعرضين عن أحكام الشريعة المحمدية من أهل زماننا ، ولا سيما أهل الأمصار ، الذين غلبت عليهم الحرية الإفرنجية ، وهان لديهم ما أنزل الله على رسوله

محمد ﷺ ، من الكتاب والحكمة ، فاعتاضوا عن التحاكم إليهما ، بالتحاكم إلى القوانين والسياسات ، والنظامات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما هي متلقاة عن الدول الكافرة بالله ورسوله ، أو ممن يتشبه بهم ويحذوا حذوهم ، من الطواغيت الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وهم عنه بمعزل .

وأقبح من فعل المنافقين : ما يذكر عن بعض أهل زماننا ، أنهم قالوا : إن العمل بالشريعة المحمدية ، يؤخرهم عن اللحاق بأمم الإفرنج ، وأضرابهم من أعداء الله تعالى ، وهذه ردّة صريحة ؛ والله المسؤول أن يقيض لأهلها ، ولكل من لم يرض بأحكام الشريعة المحمدية ، من يعاملهم معاملة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه لإخوانهم من قبل .

وقال أيضاً ، رحمه الله :

فصــــل

ومن اطراح الأحكام الشرعية : ما يفعله كثير من المنتسبين إلى الإسلام ، من إبدال الحدود والتعزيرات بالحبس ، موافقة للإفرنج وأشباههم من أعداء الله تعالى .

وهذا مصداق ما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لتنتقض عرى الإسلام عروة عروة ، وكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضا الحكم ، وآخرهن الصلاة » رواه الإمام أحمد

وابنه عبد الله ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه .

وقال الشيخ : عبد الرحمن بن حماد العمر ، في رسالته في سبيل الحق .

ولما سبق : فأنا أقول لكم ، يا دعاه الحق : أبشروا فأنتم الأعلون ، فاعملوا الخير في أنفسكم ، وانشروا الإسلام في الآفاق ، فأنتم المستحفظون عليه والوارثون له .

وأزيلوا المنكرات من مجتمعكم ، في صبر وحكمة وإلحاح وعدم يأس ، ولا تعبؤوا بلغو اللاغين ؛ واعلموا : أنهم الزبد ، وأنتم الماكثون في الأرض ، وكونوا عوداً طيباً كلما أحرق زاده الإحراق طيباً .

يا دعاة الحق : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، ولا بد لكل إنسان من بلوى ، فمبتلى في سبيل الشيطان ، ومبتلى في سبيل الله ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء : ١٠٤] .

أجل : ترجون من الله ما لا يرجوه هٰؤلاء ، الذين يتكلمون بلسان الشيطان ، من تلامذة الغربيين وأفراخهم ، ممن يرون عبادة الله تخلفاً ورجعية ، ويرون السفور والعهارة رقياً وسمواً .

ويرون كتاب الله العظيم ، وهدى رسوله الكريم

قاصرين عن تنظيم الحياة ، فينادون باستبدالهما بالقوانين الوضعية ، وبالقانون الفلاني ، وهم في الوقت نفسه لا يرون أنهم أخسر الناس صفقة في هذا المجال .

فقد خسروا دينهم ودنياهم ؛ ذلك : لأنهم خالفوا قول رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه » .

ولكن : إن تأس يا أخي المجاهد على هٰؤلاء ، الذين يدّعون المعرفة ، ممن يتشدقون بأنهم يحملون الشهادات القانونية ، وشهادات السياسة ، والآداب ، والتجارة وغيرها ، وممن جهلوا منازلهم ، وظنوا أنهم تسنموا أفراد المجتمع في الفكر والفهم ، وأن كلمة الفصل هي كلمتهم فحسب .

فلأنهم ممن حسبوا في عداد المسلمين ، وصار بعض من يشاهد أفعالهم ، ويسمع مقالهم من غير المسلمين ، يمقت الإسلام والمسلمين ، ويكره الإسلام الذي هذه أخلاق أهله ، فصاروا أداة هدم وتخريب وتنفير عن دين الله ، الذي أوجب الله عليهم أن يتخلقوا بأخلاقه ، وينقادوا لتعاليمه ، ويدعوا الناس إليه .

وصار من يشاهد أفعالهم ، ويسمع مقالهم من جهال المسلمين ، يقلدهم ، وينحرف بانحرافهم ، وخاصة الذين يجلسون ويعملون معهم ، فجمعوا بين الجريمتين ، جريمة تشويه الإسلام بأفعالهم ، والانحراف عن مبادئه ، وجريمة

تضليل جهلة المسلمين ، وإدخال الزيغ إلى نفوسهم .

إن تأس يا أخي ، فمأساتك عليهم ، لأنهم مسلمون فسقوا عن الإسلام ، في الداخل والخارج ؛ أما تأسفنا عليهم لأنهم من أقطاب الدين ، فالحمد لله أنهم أبعد من كثير من اليهود والنصارى ، معرفة بكتاب الله وسنة رسوله .

ولا أدل على جهلهم هذا ، من رميهم الدين الإسلامي بالعجز عن تنظيم الحياة ، ومطالبتهم باستبداله بالقوانين ، والأنظمة ، ولو لم يبق من مطالبتهم إلا تشجيعهم ورضاهم به لكفى

والدافع الذي دفع أولئك ، إلى إقرار بعض القوانين والنظم في بلادهم ، والتي أخذوا يشتركون في وضع مخططاتها ، متحدِّين بذلك فاطر السماوات والأرض ، الذي لا حكم لأحد سواه ، في الأرض ولا في السماء .

الدافع لهم على ذلك ، هو : أنهم في الواقع لا يعرفون عن كتاب الله ، وسنة رسوله شيئاً ، ويظنون أن القصور فيهما ؛ ولا يدرون أن القصور في الحقيقة كامن في عقولهم ، ومداركهم السخيفة ، لأنها : لا تعرف غير قوانين الغرب ، وقوانين الاشتراكية ، والشيوعية الملحدة فقط .

ولو أن هؤلاء المارقين عن دين الله ، رجعوا إلى أهل العلم ، العارفين بكتاب الله ، وسنة نبيه ، وما فيهما من أحكام ومقاصد سامية وشاملة لما ظهر من الأحداث وما لم يظهر بعد .

لو رجعوا إليهم واستشاروهم ، لوجدوا منهم فتح المجالات الرحبة ، في تنظيم شؤون الحياة ، والسياسة والحرب ، على ضوء الكتاب والسنة ، ولوجدوا صوراً حية من صور البطولة المعنوية ، وتنظيماً سامياً في الاقتصاد والتجارة ، والعلم ، على اختلاف أشكاله ، تنظيماً محكماً صالحاً لكل عصر ، لا يتطرق إليه الفشل ، لأنه مستمد من وحي الله ، الذي يعلم ما كان ، وما سيكون ، وليس مستمداً من رأي مخلوق ، لأن رأي البشر قاصر ، ومعرض للخطأ .

وكان الصحابة رضي الله عنهم ، يناقشون الآراء ، لأنهم يعرفون أنها قد تصيب وقد تكون خاطئة ، ولكنهم لا يناقشون الوحي الذي يأتي من السماء ، كما لا يناقشون حديث رسول الله ﷺ .

لأنه كما قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) [النجم : ٣، ٤] ، وكانوا : لا يناقشون الوحي ، لأنهم يعرفون يقيناً إصابته ولا بد ، وإن لم يوافق ما يرون ، لأن العقول لا تدرك إلا ما تراه ، وإدراكها لما ترى إدراكاً ناقصاً أيضاً .

وبفضل تمسك الصحابة بكتاب الله وسنة رسوله ، تمت لهم ولمن سار على هديهم السيادة على العالم ، وبلوغ الذروة في العلم والمجد .

الفصل الثالث

ما يسمونه بالنظم ، وقد يسمى بالقانون ، وغير ذلك ، ولكل دولة فيه اصطلاح ، وقد يختم كل نظام بوجوب الحكم به ؛ وللدّولة نظم عديدة ، كنظام الوزراء ، والمحاكم ، وكنظام البنوك ، ونظام العمل والعمال ، وسائر الدوائر .

ولم تكن تلك تعرف في عهد سلفنا ، ولا في عهد السلف الصالح ، وعسى الله أن يوفق أئمة المسلمين أن يؤلفوا نبذا مختصرة مصحوبة بالنصوص الشرعية ، كافلة بما تحتاجه ولاة الأمر في جميع أمور الرعية .

وإليك : ما كتبه الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله ، لبيان ما في نظام العمل والعمال ، من الأخطاء ، والتناقض والضلال ، فأجاد وأفاد .

قال الشيخ : عبد الله بن محمد بن حميد ، رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد ، إلى حضرة المكرم الأحشم ، رئيس مجلس الوزراء أدام الباري توفيقه ، ومتع بحياته ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فأرجو الله أن يحفظكم ويمتع بحياتكم ، سلمك الله : نظام العمل

والعمال ، طالما كنت أسمع عنه ، وما فيه من الأحكام الباطلة ، المخالفة للشريعة الكاملة ، في مصادرها ومواردها .

وأنا لا أصدق ، ولا أكذب ، ولعلمي أنكم ـ ولله الحمد ـ من أشد الناس حرصاً على هذه الشريعة الإسلامية ، والذود عنها ، وحمايتها بكل ما أوتيتموه ، من حول وقوة ، كما جاء ذلك في خطابات سموكم المتعددة ، في بعض المناسبات .

فقد قلتم : إن شريعة الإسلام كفلية لكل مصلحة ، وقامت هذه الدولة على أسس ، أولها الأساس الإسلامي ، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقلتم : إنّنا لسنا في حاجة إلى نظام مستورد من الخارج ؛ وقلتم : سنكون في خدمة هذا الدين ، إلى أن يتوفانا الله ، جاهدين مجاهدين عن شريعة الإسلام ، ومكافحة كل ما يعترض هذا الدين .

وقلتم : كل ما لا يوافق الشريعة الإسلامية فهو رد ، ولا قضاء غير الشرع ، ولا نوافق على نظام لا يكون له أساس من ديننا ، الذي استوعب كل ما في الحياة .

والحقيقة أنكم تشكرون على هذا ، ونرجو الله أن يثبتكم ويحفظكم ، ويجعلكم دائماً محافظين على هذه الشريعة ، مجاهدين دونها ، كما نرجوه أن يتولى جزاءكم في الدارين ، ويجزل لكم المثوبة .

وبناء على هذا : قرأت نظام العمل والعمال ، فوجدته أفظع مما قيل فيه ، وأعظم مما كنت أسمع عنه ؛ فمما جاء منه : أن الآجر يدفع للعامل في حالة الإقعاد الجزئي الدائم ، مبلغ ١٨٠٠٠ للعامل درجة أولى ، و١٢٠٠٠ للعامل درجة ثانية ، و ٨٠٠٠، للعامل درجة ثالثة ، وذلك مقابل فقدان البصر كلياً ، أو فقدان العينين معاً .

وهكذا درج على هذا المنوال ، في حين أن هذا باطل ، لعدة وجوه منها : أن الآجر لا يلزمه شيء لم يلتزم به ، ولم يقع بسببه ، ولا بإهماله ، والرسول ﷺ يقول : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

ثانياً : تدل هذه المادة ، أنه لو تعدى على العامل أحد من العمال ، لزم المؤجر تلك الغرامة ، في حين أن الشرع والعقل يلزم بذلك الجاني ، فهو الذي يلزمه بذل أرش تلك الجناية الصادرة منه .

ثالثاً : هذه التفرقة ، وتقسيم العمال إلى ثلاث درجات ، تقسيم في غير محله ، فمن هو المبين أن هذا العامل من الدرجة الأولى ، والآخر من الثانية ، أو الثالثة ، فقد يكون عند هذا من العمل ما ليس عند الآخر ؛ وبكل حال هذا التفريق باطل ، تأباه الشريعة السمحة ، وينكره العقل السليم .

كما جاء أيضاً في النظام نفسه : أن العامل إذا أصيب

بإصابة أقعدته عن عمله ، يدفع له أجرة ٧٥٪ من أجرته ، وذلك بعد مضى سبعة أيام من تأريخ الإصابة ، التي يجب أن يستوفي فيها أجره كاملًا ، ويستمر دفع ٧٥٪ إلى حين شفاء المصاب ، وانتهاء مدة الإقعاد المؤقت . . . إلخ ، والنظام على هذا المنوال .

والشريعة حرمت أموال المسلمين ، كما حرمت دماءهم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة البيت الحرام ، في الشهر الحرام ، في البلد الحرام » .

فكيف يلزم المؤجر بدفع ثلاثة أرباع أجور عماله ، المصابين عنده ، بدون مقابل ؛ فالشريعة أمرت العامل إذا مرض أن يقيم مكانه من يقوم بعمله ، وإلا فللمؤجر الفسخ .

والحقيقة : أن هذا النظام باطل من أساسه ، إذ لم يستند في أحكامه على نص ، لا من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا قول أحد من أهل العلم ، والعقل السليم يعرف بطلانه ؛ بل تصوره كاف في قبحه .

ولكن بكل حال : أنتم معذورون ، لتقدم وضعه ؛ وأعتقد كما يعتقد غيري : أنكم لم تطلعوا عليه ، لسبق وضعه ، فقد وضع بتأريخ ١٣٦٦/١١/٢٥هـ ؛ ولهذا كتبت عليه هذه الملاحظات المشفوعة بكتابنا هذا .

إذاً : أرجو الاطلاع عليه ، والأمر بما ترون نحو هذا النظام الفاسد ، الذي سيعتبر قدحاً في تأريخ هذه الدولة السعودية المسلمة ، التي لم يعرف عنها سوى تحكيم الكتاب والسنة فيما لها وعليها ، وبين رعاياها ، والله يثبتها عليه ، ويحفظها من القوانين الوضعية ، المجانبة للكتاب والسنة .

ولعل يد الاصلاح في عهد سموكم ، تمتد إلى إماطة هذا الأذى عن طريق المسلمين ، تولاكم الله ورعاكم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في ٧/ ٦/ ١٣٨٤هـ .

وقال رحمه الله في ملاحظاته :

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ما في نظام العمل والعمال من الأخطاء والتناقض والضلال

الحمد لله الذي جعلنا من خير الأمم ، ونجانا بنور الوحيين من حوالك الظلم ، وخصنا بمحمد الذي أوتي جوامع الكلم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازوا بمتابعته العز في الدنيا وفي الآخرة ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد قرئ علي بعض من نظام العمل والعمال ، الذي صدر الأمر والعمل به بتأريخ ٢٥/ ١١/ ١٣٦٦هـ ، والذي لم يزل العمل به مستمراً إلى هذا الوقت .

ولما سمعت بعض مواده وفقراته ، طال تعجبي من وجود مثل هذه الأنظمة يحكم بها بين ظهراني المسلمين ، وتقررها وتنفذها دولة إسلامية ، تحكم القرآن وتفخر به ،

ويحق الفخر لمن تمسك به ، وعمل بأحكامه ، وكنت قبل اطلاعي عليه أسمع شيئاً مما يتناقله الناس عنه ، غير أني لا أصدق ولا أكذب بكل ما أسمع عنه .

ولما اطلعت عليه وجدته فوق ما أسمع ، وأفظع مما يقال فيه ، ورأيت أنه متحتم علي أن أبين ما علمته فيه من الأخطاء ، على وجه النصيحة وبراءة للذمة ، ورتبته على مقدمة ، فملاحظة عامة ، فبيان ما في كل فقرة من الأخطاء على وجه التفصيل .

والله المسؤول أن يمن علينا بحسن القصد ، والاتباع لهدى نبينا ﷺ ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، إنه سميع مجيب .

المقدمة

قد بعث الله نبيه محمداً ﷺ ، إلى البشر ، رحمة منه وإحساناً ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وكانت العرب قبل بعثته ﷺ ، في جاهلية جهلاء ، وشقاء لا بعده شقاء .

يعبدون الأصنام ، ويئدون البنات ، ويسفكون الدماء بأدنى سبب ، وبلا سبب ، في ضيق من العيش ، وفي نكد وجهد من الحياة ، يعيشون عيشة الوحوش ، ومع الوحوش ، يتحاكمون إلى الكهان والطواغيت .

فلما جاء الله بهذا النبي الكريم ، أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، أخرجهم من ظلمة الكفر والشرك ، إلى نور الإيمان والتوحيد ، ومن ظلمة الجهل والطيش ، إلى نور العلم والحلم ، ومن ظلمة الجور والبغي ، إلى نور العدل والإحسان .

ومن ظلمة التفرق والاختلاف ، إلى نور الاتفاق والوئام ، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد ، إلى نور التواضع والتشاور ، ومن ظلمة الفقر والجهد ، إلى نور الغنى والرخاء .

بل أخرجهم من ظلمة الموت ، إلى نور الحياة السعيدة (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) [الأنعام : ١٢٢] .

أكمل الله به الدين ، وتمم به مكارم الأخلاق ، أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأمر ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الفقراء والمعوزين ، حتى قال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » .

وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، لا خير إلا ودل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها عنه ، أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، كما قال حذيفة رضي الله عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ، إلا حدث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : لقد توفي رسول الله ﷺ ، أو قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ ، وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً .

رسم لأمته طرق السعادة في الدنيا والآخرة ، في سياسته الشرعية ، التي يعجز كل أحد أن يأتي بناحية من نواحيها ؛ فرسم لهم طرق السياسة مع الأعداء ، فبين لهم ما تعامل به الأمم الأجنبية ، من الحرب ووجوبه ، والسلم ووجوبه ، والمعاهدات والصلح ، وحفظ العهود .

وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها ، ونهاهم عن الإخلاد إلى الكسل ، والعجز والدعة والراحة ؛ وأخبرهم : أن هذا سبب للذّل ؛ بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء أعزاء ، لا تلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وأوضح لهم جميع الشؤون الاجتماعية أتم إيضاح ؛ بيّن ما للحاكم ، وما للمحكوم وما عليه ، فأوجب للحاكم السمع والطاعة ، وحرم الخروج عليه ، وأوجب على المسلمين مناصرته وموالاته عندما يخرج عليه خارج ، وأمرهم بقتال الباغين عليه ، وأمرهم بالصبر على ما يأتيهم من ولاتهم ، وأنهم مهما عملوا لا يجوز الخروج عليهم ، ما أقاموا فينا الصلاة ، إلا أن نرى كفراً بواحاً .

فقال ﷺ : « عليكم بالسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم

عبد حبشي » وقال ﷺ : « اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك » وهذا يدل على كمال هذه الشريعة وتمام نضوجها في السياسة وغيرها .

لأنه متى حصل منابذة للحاكم ، لا بد أن ينجم عن ذلك القتل ، وخلل في الأمن ، وعدم الاستقرار ، فيذهب بسبب ذلك الألوف من الأنفس ؛ كما قيل : ملك ظلوم غشوم ، خير من فتنة تدوم ؛ وهذا شيء يشهد له التأريخ والواقع ، وهناك أنفس شريرة لا يناسبها إلا هذا الوضع ، ما لم يضرب عليها بيد من حديد .

أما الأنفس الخيرية التي زكت عقولها ، وتنوورت بنور الوحي المحمدي ، فهذا أشق عليها ، كما قال الإمام أحمد : لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان ، لأن بصلاحه صلاحاً للرعية ، وبفساده فساداً للرعية .

ويروى عن سفيان والفضيل ، رضي الله عنهما مثل ذلك ؛ وكلما عظم قدر الدين في النفس ، عظم عندها قدر الحاكم واحترامه وتوقيره ، ولكن لا يكون هذا التوقير مانعاً عن مناصحته ، وتبيين أخطائه ليتلافاها ، وإنكار ما يرتكبه من المنكر ، والصدع بكلمة الحق بين يديه ، بل يعد هذا من كمال محبته والشفقة عليه ، كما قيل : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك ؛ وقال الشاعر :

ما ناصحتك خبايا الود من أحد ... ما لم ينلك بمكروه من العذل

مودتي لك تأبى أن تسامحني   بأن أراك على شيء من الزلل

فأوجبت الشريعة على الحاكم للمحكومين النصح لهم ، وأن لا يدخر وسعا في الشفقة عليهم وحفظ مصالحهم ، وحماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وحماية جميع ما لهم من الحقوق ، وقمع المعتدين عليهم ، وإنفاذ الحدود التي أوجبها الله على المخالفين .

والجد كل الجد في حفظ دينهم ، وتعزيزه بكل ممكن ، وتطبيق أحكامه عليهم بكل دقة ، وأن لا يشاب بشيء من الآراء والاستحسانات ، وأن يكون ذلك التطبيق جاريا على كل أحد ، من شريف ووضيع ، وحاكم ومحكوم ، وغني وفقير لأن الولاية إنما شرعت لهذا وأمثاله .

ثم إن هذه الشريعة لكمالها ، لم تقتصر على هذا ، بل أمرت بالضرب في الأرض ، لطلب الكسب ، وأمرت بحرث الأرض للمعاش ، وأمرت بالبيع والشراء ، وبينت أحكام الدِّين والاستدانة ، ونهت عن البطالة والكسل في طلب المعاش .

وعلّمت كيفية الاقتصاد ، فنهت عن التبذير ، وعن التقتير ، وأمرت بالقوام بينهما ، ورسمت أحكاماً لكل من التجارة والزراعة والصناعة ، وأوجبت حفظ الحقوق ، فأمرت

بالكتابة والإشهاد ، وحرمت كتمان الشهادة أشد تحريم ، حماية للأموال ، وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض .

كما نهت أيضاً عن الغش والخداع في المعاملات والربا بأنواعه ، وبيع البعض على بيع البعض ، وعن التدليس وبيع الغرر ، كل هذا حفظاً للحقوق ، وحرصاً على تمام الروابط بين المسلمين .

ثم إنها لم تكتف بهذا ، بل دخلت على الأسرة الواحدة في بيتها ، فبينت ما لكل منهم وما عليه ، من الوالد والولد ، والزوج والزوجة ، وجميع الأقارب كل بحسبه .

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته ، إلا بينت مشاكله ، وجميع ما قد يعرض له في حياته ، من حين رضاعه إلى إبان وفاته ، بل إلى ما بعد ذلك .

فبينت الأَوْلى بتغسيله وتكفينه ، وحمله والصلاة عليه ودفنه ، وميراثه ووصيته ، وحقوقه من قضاء دين وتنفيذ وصية وإنفاذ عهد ؛ فللّه ما أعظم هذه الشريعة ، وأجلها وأسماها .

وكلما ازداد المرء معرفة بها ، ازداد لها احتراماً وتعظيماً وتوقيراً ، فلذلك كان الصحابة رضي الله عنهم - لكمال معرفتهم بها - أشد الناس تمسكاً بها ، وتمشياً مع تعاليمها بكل جليل ودقيق .

وإنه لمن العجب : إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة ، واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ، ظاهرة التناقض ، واضحة الجور ، فاسدة المعنى .

فلذا كثيراً ما يطرأ عليها التغيير والتبديل ، كل يرى أنه أحسن ممن تقدمه ، وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه ، ثم يجري عليها تغييراً وتبديلاً ، بحسب رأيه ، وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم ، المستمدة من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان .

أما الشريعة الإسلامية ، فهي صالحة لكل زمان ومكان ، مضى عليها أربعة عشر قرنا وهي هي في كمالها ومناسبتها ، وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات .

وأهدأ الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأقرهم عيشاً ، أشدهم تمسكاً بها ، سواء في ذلك الأفراد أو الشعوب ، أو الحكومات ، وهذا شيء يعرفه كل أحد إذا كان عاقلاً منصفاً ، وإن لم يكن من أهلها ، بل وإن كان من المناوئين لها .

وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك ، فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع - لا للسياسة - أن نشأة أوربا الحديثة ، إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام ، فاض عليها من الأندلس ، ومن صفحات

الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين ، في الشرق والغرب .

وقال القس « طيلر » إن الإسلام يمتد في أفريقيا ، وتسير الفضائل معه حيث سار ، فالكرم والعفاف والنجدة ، من آثاره ، والشجاعة والإقدام من نتائجه .

وقال : « كونتنس » يمتاز المسملون على غيرهم ، برفعة في السجايا ، وشرف في الأخلاق ، قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم ، وصايا القرآن ، بخلاف غيرهم ، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك .

وقال أيضاً : إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة في النفس ، فهو ـ سواء في حالة بؤسه ونعيمه ـ لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله ، وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم ، إذا توفرت معها الوسائل ، كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدينة الصحيحة ورقيات الكمال .

وقال : « هانوتو » وزير خارجية فرنسا في وقته : إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان ، وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمزاً وأفواجاً .

وهو الدين الإسلامي العظيم ، الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل ، إلى اعتناق أي دين سواه ، فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده ، فانتشر في الآفاق .

وقال بعضهم : لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم ، وجهلوا حِكَمه وأَحْكامه ، وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة ، المستمدة من آراء الرجال ، فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق ، والتحاقد والتباغض ، فتفرقت كلمتهم ، وجهلوا أحوالهم الحاضرة ، والمستقبلة .

وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون ، وينامون ، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لأحدهم أن يضر أخاه ، لا يقصر في إلحاقه الضرر ؛ وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة جداً .

يعترفون فيها بعظمة الإسلام ، وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد ، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً ، لصاروا أرقى الأمم وأسعد الناس ، ولكن ضيعوا فضاعوا ، واكتفوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون .

مناقب شهد العدو بفضلها   والفضل ما شهدت به الأعداء

ولسنا ـ والحمد لله ـ في حاجة إلى شهادة هٰؤلاء وأمثالهم ، بفضل الإسلام وعلو مكانته ، ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به ، وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه ، إذ جهلوا مصالحه ، وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة ، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال وأنه فوق كل نظام .

ولا شك : أنه الدين الصحيح ، الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم المصالح ، ويدرأ عنهم المفاسد ، دين الفطرة السليمة ، دين الرقي الحقيقي ، دين العدالة بأسمى معانيها ، دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح ، دين العمل ، دين الاجتماع ، دين التوادد والتناصح والتحابب ، دين رفع ألوية العلم والصنائع والحرف ، لم يقتصر على أحكام العبادات ، أو المعاملات .

بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم ، على ممر السنين وتعاقب الدهور ، إلى أن تقوم الساعة ؛ ولكن يا للأسف ويا للمصيبة : أن أبناء هذا الدين جهلوا قدره ، وجهلوا حقيقته ، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون عليه معاولهم ليهدموه ، وليفرقوا أهله ، ويفضلون أهل الغرب على المسلمين ، ظناً منهم بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي أخرهم .

وهيهات هيهات أن يكون هو الذي أخرهم ، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم ، وأخلدوا إلى الكسل ، وقنعوا بالجهل ، فأصبحوا في حيرة من أمرهم ؛ إنهم لو عرفوا دينهم ، وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم ، من التقدم الصناعي ، ولكنهم تركوا دينهم ، واقتنعوا بالترف والنعيم ، وأهملوا العناية به .

فوالله : لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم ، لحازوا

شرف الدنيا والآخرة ، وإن الواجب على أهل الإسلام ، خصوصاً العلماء منهم ، وولاة الأمور ، أن يبثوا الدعوة له ، وينشروا محاسنه لنشئهم ، ليرغبوهم فيه ، ويرشدوا الأمة لأحكامه وحِكَمِه ، كما فعل أوائلهم الأماجد .

فإنهم قاموا بالدعوة ، فبينوا للأمم محاسنه وسماحته ، شارحين لهم حِكمه ، موضحين مزاياه ، وبذلك امتد سلطانهم ، واتسعت ممالكهم ، وأخضعوا من سواهم لتعاليمه .

ولكن ما لبث أبناؤهم أن حُرِفُوا فانحرفوا ، وتمزقوا بعدما اجتمعوا ، واشتبه الحق عليهم بالباطل ، فتفرقت بهم السبل ، وأصبحوا شيعاً ، متفرقين في آرائهم ، متباينين في مقاصدهم .

وكيف يحصل لهم الرقى ، وأنّى يتسنى لهم التقدم ، وقد رضوا بقوانين وضعية ، استمدوها من أعدائهم ، يجرون وراءهم ، وينهجون نهجهم تقليداً لهم ، ومصادمة للشريعة الإسلامية ، التي هي عزهم وفخرهم ، وفيها راحتهم وطمأنينتهم .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : ٥٠] ، ويقول جلّ شأنه : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله

فأولئك هم الظالمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٤، ٤٥، ٤٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقد تكفلت بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها ، قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩] ففي هذه الآية : أن القرآن فيه البيان لكل شيء ، وأن فيه الاهتداء التام ، وأن فيه الرحمة الشاملة ، وأن فيه البشارة الصادقة ، للمتمسكين به ، الخاضعين لأحكامه .

وقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة : ٢١٣] . وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ ، [النحل : ٤٤] .

وقال ﷺ : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » وقال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله ، فيه

نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله . . . » الحديث .

وقد قال الإمام ابن كثير ، رحمه الله ، على قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) الآية ، ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه ، من الآراء والأهواء ، والاصطلاحات التي وضعها الرجال ، بلا مستند من شريعة الله .

كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، كما يحكم به التتار من السياسات ، المأخوذة عن « جنكيزخان » الذي وضع لهم : « الياسق » وهو : عبارة عن كتاب أحكام ، اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية ، والنصرانية ، والملّة الإسلامية .

وفيها كثير من الأحكام ، أخذها عن مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً ، يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير ، اهـ .

وقال ابن القيم : رحمه الله تعالى ، على قوله عز وجل : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) [النساء : ٦١] هذا دليل على أن من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى ، أنه من المنافقين ، اهـ .

وقد قتل عمر رضي الله عنه رجلاً ، طلب التحاكم إليه ، ولم يرض بحكم رسول الله ﷺ ، والنبي حي ، ولم ينكر على عمر قتله للرجل ، فكيف يجتري من يدعي الإيمان مع هذا البيان الواضح ، والآيات البينات ، والأحاديث الصحيحة ، على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت ، والإعراض عن شريعة الله ؟

والله قد نفى الإيمان عمن لم يحكم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر ، قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء : ٦٥] .

وإنه لمن أعظم الضلال ، أن يعتقد من يدعي الإسلام ، أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع ، وأن الناس محتاجون إلى غيرها ، في شيء من شؤونهم ومشاكل حياتهم .

أليس ذلك ظناً وتكذيباً لقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة : ٣] وإنكاراً ورداً لقوله تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل : ٨٩] .

وإننا لنربأ بحكومتنا السنية ، ورجالها المصلحين : أن يفسدوا ما تمسكوا به من تعاليم هذا الدين الحنيف ، بإدخال بعض هذه النظم ، والقوانين المخالفة للشريعة على المسلمين ، أو يلزموهم بها ، فيبوؤوا بالإثم ، وتتناولهم هذه الآية الكريمة : ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ [النحل : ٢٥] .

فلما تقدم من الأدلة الشرعية ، على وجوب التمسك بحكم الله ورسوله ، وأن لا يلتفت إلى ما سواهما ، وبراءة للذمة ، ورجاء للمثوبة من عند الله ، رأيت أن أبين ما قد لاحظته على هذا النظام المهين .

ملاحظات عامة

تضمن هذا النظام أموراً كثيرة مما يخالف الشريعة المطهرة ، ويلاحظ عليه على سبيل الإجمال : أن هذا النظام الذي وضعته الحكومة ، ضمنته أشياء غير سائغة شرعاً ، وشروطاً في صالح المستأجر ، وأخرى ليست في صالحه ، بل هي ضرر عليه ، ومثلها للعامل .

والواقع : أن كلاً يؤجر ويستأجر ، وهو لا يعلم بوجود هذا النظام أصلاً ، ولم يعرف شيئاً مما تضمنه من الشروط ، سواء كانت له أو عليه ؛ ثم إنه لو حدث تشاجر بينهما ، أو خلاف وتكايس أحد الطرفين ، وسمع بهذا

النظام ، ثم بحث عنه ووجد أن له فيه مصلحة ؛ أو قيل له : إن هناك نظاماً يرى الحق لك ، طالب به ، وألزم الطرف الآخر بحسب ما يقضيه به هذا النظام ، فهل هذا يقره عقل ، أو عرف ، فضلاً عن الشريعة ؟! .

كلاّ ، بل هذا يعتبر من أظلم الظلم ، وكيف يتحصل أو يقضى له بشيء لم يشترطه قبل إبرام العقد ، ولم يلتزم الطرف الآخر به ، ولم يعلم به أصلاً ؟! .

هذا شيء مناقض للشريعة ، ومصادم للنصوص ، فإنه ﷺ ، يقول : « المسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً » فهذا الحديث ينص على أنه لا يلزم أحد ، إلا بما التزم به هو بنفسه ، لا باشتراط غيره عليه ، وهو لا يعلم .

وقال عمر ، رضي الله عنه : مقاطع الحقوق عند الشروط ؛ ثم إن المتعاقدين لو اشترطا فيما بينهما ما يخالف الشريعة أيضاً ، لم يقرا عليه ، وبطل الشرط وحده ، أو أبطل العقد من أصله ، بحسب ما هو مقرر في كتب أهل العلم ، المستمدة من القرآن والسنة ، لقوله ﷺ : « من شرط شرطاً ليس في كتاب الله ، فهو باطل ، وإن كان مائة شرط » .

وكثير من مواد هذا النظام ، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، مع ما اشتمل عليه من الظلم والتناقض ، ومع

أن المتعاقدين لم يتفقا عليه ، ولم يعلما بمضمونه ، ولا ما دل عليه .

ثم إنه لو قيل : إن النظام وضعته الحكومة ، وهو خاص بأعمالها الحكومية ، فهي التي التزمت بهذه الشروط على نفسها لعمالها ، لقلنا هذا ليس صحيحاً من وجهين .

أحدهما : أن جميع ما فيه من الشروط ، سواء كانت للعامل أو عليه ، يجب أن تفهّم له قبل دخوله في العمل ، حتى يفهمها جيداً ، بمنطوقها ومفهومها ، ليكون على بصيرة من أمره ، في كل ما له وما عليه ؛ الثاني : أن لا يتضمن شيئاً مما يخالف الشرع ، فإن تضمن شيئاً مما يخالف الشريعة فهو باطل ولو رضي كلا الطرفين .

وقد يقال أيضاً : إن هذا النظام وضع بين شركة كافرة وبين المسلمين ، وغالبه في صالح العامل ، والمقصود منه الاستيلاء على أموال هٰؤلاء الكفار ، بأي وسيلة حصلت لنفع المسلمين وتقويتهم .

فالجواب : أن هذا من التعليلات ، غير مجدية شيئاً في جواز تطبيقه ، لأمور ، منها : أنه ليس كله في صالح العامل ، ثم لو فرض ثبوت هذا فالشرع لا ينظر إلى مصلحة طرف دون الآخر ؛ بل كل يرى ما له وما عليه من الحقوق ، سواء كان الحق لمسلم أو لكافر ، ما لم يكن الكافر حربياً ، فليس له أي حق سوى دعوته للإسلام .

ومنها : أن أموال الكفار ، الذين دخلوا البلاد بأمان من المسلمين ، ولم يكونوا حربيين ، ولم يحصل منهم ما يخالف التعاليم الصحيحة ، التي أخذها المسلمون عليهم ، لا يجوز الاستيلاء عليها بطريق الغصب ، ولا بطريق الحيلة الممنوعة شرعاً .

فإن الله يقول في حق أهل الكتاب : ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة : ٤٩] ، فأمر الله نبيه ﷺ ، بالحكم بينهم بما تقتضيه الشريعة الإسلامية ، هذا بين الكفار بعضهم مع بعض ، فكيف إذا كان بينهم وبين المسلمين ؟ فيكون إذاً من باب أولى .

ثم حصل التفريق في هذا النظام بين المسلمين في المواد الجنائية ، ولم يرد في الشرع فرق بين المسلمين ، إذا كانوا ذكوراً أحراراً في الجنايات ، سواء في ذلك الصغير والكبير ، والغني والفقير ، والعالم والجاهل .

لأنه لا فرق بينهم إلا بالتقوى ، والتقوى لا يعلمها إلا الله ، ويظهر تفاوت الناس بها في الآخرة ، أما في الدنيا فالحكم على الظاهر ، فمن ظهر إسلامه عومل معاملة المسلمين كائناً من كان ، ماهراً فنيا أو عكسه ، فديتهما على السواء .

أما : ما ذكر في هذا النظام ، فهو تحكيم ما أنزل الله

به من سلطان ، بل هو رد لنصوص القرآن والسنة ؛ هذه ملاحظة عامة .

أما الملاحظات التفصيلية الخاصة لكل مادة وفقرة ، فهي ما يلي :

١ ـ **جاء في** هذا النظام ، في المادة السادسة ، ما نصه : لا يجوز استخدام عمال دون العاشرة من العمر بصفة عامة ، ويجوز لوزارة المالية لما يأتي . . . إلخ .

ويلاحظ عليها : أن عدم تجويز استخدام من بهذا السن ، لم يرد به الشرع ، ولا يجوز لأحد أن يبيح ، أو يحرم شيئاً بعقله ، والله يقول : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) [النحل : ١١٦] .

فإذا بلغ الصبي سن التمييز ، جاز تصرفه بإذن وليه ، بكل شيء ، من عمل وبيع أو شراء ، إذا كان في مقدوره ، وفي حدود طاقته ، وعلمت المصلحة وانتفت المفسدة .

ثم يلاحظ عليها أيضاً : التناقض ، حيث جعل هذا النظام ، الحق لوزارة المالية ، في رفع هذا السن ، أو تخفيضه ، بناء على ما ترتئيه هذه الوزارة ؛ فما الذي منعه على المسلمين ولو رأوا المصلحة ؟ وما الذي أباحه لوزارة المالية دون غيرها ؟! .

٢ ـ **نصت** فقرة (ب) من هذه المادة : أنه لا يجوز

تشغيل العامل ، تشغيلاً فعلياً أكثر من ثمان ساعات في اليوم ، ولا شك أن هذا خطأ واضح لما يأتي :

أولاً : أنه متى استأجره المستأجر يوماً ، فيجب عليه العمل كل ذلك اليوم ، إلا بشرط لفظي أو عرفي ، ما عدا أوقات الصلوات الفرائض ، وما تدعو إليه الحاجة من أكل وشرب وغيرهما .

ثانياً : أن الأعمال تتفاوت ، فمنها ما هو شاق ، ولا يستطيع العامل أن يعمل ثمان ساعات ؛ ومنها : ما هو سهل ، فهو يستطيع العمل يومه وليلته ، أكثرها بدون تكليف .

لأنه : لا يستوي العامل الذي يضرب بمرزبته صفائح الحديد ، والعامل الذي هو عبارة عن حارس ، أو بواب ، فتحديد العمل بشيء لم يتفقا عليه ، ولم يكن مستثنى شرعاً ، أو عرفاً ، مع اختلاف تنوع الأعمال ، لا يجوز .

٣ ـ **نصت** فقرة (ج) من المادة المذكورة : أنه لا يجوز أن يشتغل العامل أكثر من خمس ساعات متوالية ، وهذه كالفقرة السابقة ، بل يلزم العمل حسب ما اتفقا عليه ، ما لم يكن هناك شرط لفظي أو عرفي أو مستثنى شرعاً ، كأداء الفرائض ، أو حاجة العامل إليه ؛ وكذا لا يجوز تحديد زمن للراحة ، إلا على حسب الشرط بينهما .

٤ ـ **جاء** في المادة السابعة ما نصه : يجب دفع أجر

العامل ، وكل مبلغ مستحق له في البلاد العربية السعودية ، بالعملة السعودية ، ويحصل الدفع للعامل نفسه ولو كان قاصراً ، ما لم يكن ولي القاصر محتاجاً لكده . . . إلخ .

والجواب عن ذلك : أنه لا يلزم ما ذكر في هذه الفقرة ، بل الواجب على المؤجر أن يدفع للعامل ما اتفقا عليه من نوع الأجرة ، سواء كانت نقوداً ، أو عروضاً ، أو منفعة ، لكن لو آجره بعدد من العملة ، ولم تختص تلك العملة بعينها وقت العقد ، فينصرف ذلك إلى العملة السعودية ، لاقتضاء العرف لذلك ، فينزل منزلة الشرط اللفظي .

وقوله في هذه الفقرة : وكل مبلغ مستحق له ، أي : للعامل في البلاد العربية السعودية يكون الدفع بالعملة السعودية ؛ أي : لو كان للعامل على آخر دين أو قرض بعملة أخرى ، كذهب أو فضة ، أو استرليني ، يتعين الدفع له بالعملة السعودية ، وهذا باطل ، بل يدفع إليه نوع العملة التي له على غريمه أيًا كانت ، ولا يجبر على أخذ ما عداها ، إلا برضاه ، ما لم يفض إلى الربا .

ومما يلاحظ على هذه المادة أيضاً : أنها نصت على أنه يلزم دفع الأجرة للقاصر ، ما لم يكن وليه محتاجاً لكده ، وهذا أيضاً لا يجوز ، فإن القاصر محجور عليه ، ولا يجوز أن يسلم ماله إلا بيد وليه ، سواء كان محتاجاً إليه أو غير محتاج .

ولو أتلف القاصر ما دفع إليه من المال ، لاعتبر الدافع له ضامناً ، لأنها لا تبرأ ذمته إلا بتسليمه لوليه ، لأن الله خاطب الأولياء الدفع إليهم عند بلوغهم ، إذا آنسوا منهم الرشد .

فقال تعالى : ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ [النساء : ٦] وهذه الآية الكريمة ، صريحة في أنه : لا يجوز أن يدفع إليه ماله ، إلا إذا علم رشده .

٥ ـ جاء في فقرة (جـ) من المادة السابعة ، ما نصه : إذا كان العمل يؤدي بالقطعة ، ويحتاج لمدة تزيد على أسبوعين ، فيجب أن يحصل العامل على دفعة كل أسبوع ، تتناسب مع ما أتم من العمل ، ويصرف الباقي كله خلال الأسبوع التالي لتسليم العمل . . . إلخ .

وهذا شيء لا يجب على المؤجر ، وإيجابه لم يستند على شيء من نصوص الشريعة ، بل هو بعيد عنها ، والواجب : أن العامل متى كان عمله على شيء معين ، لا يستحق تسليم شيء من الأجرة حتى ينهي ما انبرم عليه العقد بينهما ، لقول رسول الله ﷺ : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » وهذا كناية عن وجوب تسليمه حقه فور انتهائه ، أما قبل الانتهاء ، فلا يلزم إلا بشرط ، أو تبرع من المؤجر .

وجاء أيضاً في الفقرة نفسها : أنه إذا انتهت خدمة العمل وجب دفع أجره فوراً ، إلا إذا كان خروجه من تلقاء نفسه ، فيجوز دفع أجره في خلال سبعة أيام ، وهذا تفريق بلا فارق ، وتحكم بلا دليل .

فإن الواجب شرعاً : أن العامل متى أكمل عمله المتفق عليه من قبله ، وقبل المؤجر ، وجب على المؤجر الدفع فوراً ، سواء خرج العامل من تلقاء نفسه ، أو برغبة من المؤجر ، للحديث السابق : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ولم يفرق ﷺ بين الحالتين ، فوجب اتباع الحديث ، وطرح ما سواه .

٦ ـ **جاء** في المادة الثامنة : إذا تسبب عامل في فقد ، أو إتلاف مهمات ، أو منتجات مما يملكه الآجر ، ويكون في عهدته بسبب رعونته ، أو عدم احتياطه ، أو إهماله ، أو تفريطه ، كان للآجر أن يقتطع المبلغ اللازم للإصلاح ، من أجر العامل ، بشرط أن لا يزيد ما يقتطع لهذا الغرض ، على أجر خمسة أيام في الشهر الواحد ، على شرط أن يكون كل ذلك في حالة عجز العامل ، عن إثبات : أن ما وقع كان نتيجة قضاء وقدر .

ويلاحظ على هذه المادة عدة أمور ؛ منها : قوله يقتطع المبلغ اللازم من العامل للآجر ، بشرط أن لا يزيد ما يقتطع على أجرة خمسة أيام في الشهر الواحد ، وهذا

الشرط فاسد ، لا أصل له ، فإن الواجب دفع المبلغ المستحق ، كاملاً فور ثبوته ، إلا برضا منهما ، أو في حالة إعسار المكلف بالدفع ، كسائر الحقوق الثابتة في الذمم ، فيكلف الملي بدفعها ، وينظر المعسر حتى القدرة على الوفاء .

ومنها قوله : على شرط أن يكون ذلك في حالة عجز العامل ، عن إثبات أن ما وقع كان نتيجة قضاء وقدر .

وهذا والله موضع عجب ، أيظن الكاتب : أن هناك أشياء تقع لا لنتيجة قضاء وقدر ؟! بل تكون خارجة عن القضاء والقدر ، وأن الرب لم يقدر وقوعها ، ولم يقض بوجودها ، وأنها خارجة عن مشيئته ؟! وهذا مذهب باطل ، أطبقت الصحابة والتابعون ، وسائر أئمة الإسلام ، على ذم هذا القول وبدعيته ، وتضليل قائله .

وأنه لم يؤمن بقوله : ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩] سبحانه وتعالى أن يقع شيء لم يقدره الله ولم يقضه .

بل ظن هذا الجاهل ، أو المنحرف عن العقيدة الصحيحة : أن الذي يقع بسبب من أحد خارج عن القضاء والقدر ، وهذا مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة ، ومكذب لقوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ .

ومنها : أن العامل ليس عليه الإثبات بأن ما حصل لم يكن بسببه ؛ بل الإثبات على المؤجر وغيره ، ممن له الحق : أن العامل هو الذي فرط ، أو تسبب ، لأن الأصل براءة الذمم ، حتى تقوم البينة بإثبات الحق : أن هذا عن نتيجة إهمال العامل ، أو تفريطه ، لقوله ﷺ : « البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر » .

٧ ـ **جاء** في المادة التاسعة : لا يجوز للآجر أن يقتطع من العامل أكثر من عشر أجره الشهري ، لسداد ما يكون أقرضه إياه ، وهذا خطأ بين ، فإن الواجب على العامل دفع ما عليه من القرض ، متى طلبه صاحبه ، والمؤجر وغيره سواء ، ما لم يكن من عليه الحق معسراً ؛ أما لو فضل شيء من أجرة العامل عن ما يحتاجه ، تعين عليه دفعه لغريمه .

وهذه المادة نصت في الحكم على القرض خاصة ؛ ومفهومه : أن غير القرض من الحقوق كثمن مبيع ، وقيمة متلف ونحوهما ليس كالقرض ، وهذا تفريق باطل ، بل كل الحقوق على السواء ؛ وهكذا سبيل النظم والقوانين الوضعية ، لا بد لها من التناقض والتباين ، صدق الله العظيم : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ، [النساء : ٨٢] .

٨ ـ **نصت** المادة العاشرة ، في الفقرة الأولى ، منها :

أن الآجر يعيد العامل على نفقته إلى الجهة التي أبرم فيها العقد ، أو أخذ ورحل منها ، إذا طلب العامل ذلك ، في خلال خمسة عشر يوماً من تأريخ انتهاء العقد إلى آخره .

وهذا شيء ليس بلازم شرعاً ، إلا باشتراطه عند العقد ، أو كان معروفاً عند أهل تلك الجهة ، بحيث أن المؤجر يعرف ذلك ، وعالم به وبتكاليف رد العامل إلى المكان الذي أبرم فيه العقد ، سلامة من الجهالة المفسدة لعقد الإجارة ؛ والتحديد بخمسة عشر يوماً ، تحكم بلا دليل .

٩ ـ ذكر في الفقرة الرابعة من المادة العاشرة : أنه يجوز للآجر بصفة استثنائية ، أو مؤقتة إذا دعت ضرورة ملحة ، بسبب القوة القاهرة ، أو وقوع حادث مفاجئ ، أو إصلاح عاجل ، لا يتحمل التأخير ، عدم التقيد بأحكام الفقرة الثالثة .

وهي : أنه لا يجوز للآجر أن يكلف العامل عملاً غير ما اتفق عليه أعلاه ، وبالشروط الآتية : أن لا تزيد مدة العمل عن إحدى عشرة ساعة في اليوم ، وأن لا يشتغل العامل أكثر من ست ساعات متواليات ، وعلى أن يصرف للعامل عن ساعة إضافية مبلغ يوازي الأجر العادي ، الذي يستحقه في الساعة ، مضافاً إليه خمسة وعشرون في المائة على الأقل .

ويلاحظ : أن هذا الاستثناء غير معتبر شرعاً ، بل لاحق للآجر أن يلزم العامل بعمل لم يتفقا عليه ، سواء كان بزيادة في الزمن المتفق عليه للعمل به ، أو بنقله إلى عمل آخر ، ليس من جنس العمل الذي اتفقا عليه ، وعلى أجرته الخاصة .

لقوله ﷺ : « المسلمون على شروطهم » اللهم إلا إذا كان ترك العمل المفاجئ يؤدي إلى إصابة في الأنفس ، أو ضرر في أبدان المعصومين ، كالغرق والحرق والهدم ونحوها ، فهذا يجب على العامل وجوباً استقلالياً ، بدون أمر من الآجر .

وهو ليس خاصاً بالعامل وحده ، بل يجب على كل من علم ذلك الخطر من المسلمين ، وهو قادر على تخليصه ، كما أن التحديد للعمل بإحدى عشرة ساعة ، وأنه لا يعمل أكثر من ست ساعات متواليات ، وأنه يصرف للعامل عن ساعة إضافية مثل ما صرف له في عمله المعتاد ، عن كل ساعة ، مضافاً إليه زيادة ربع على الأقل عن ما يستحقه .

كل هذه أمور باطلة ، لا أصل لها في الشريعة الإسلامية ، بل يكون على حسب ما اتفق عليه المؤجر ، والمستأجر ، فلا يلزم أحد بما لم يلتزم به ويرضاه ، إذ إن من شروط الإجارة معرفة العمل ، ومعرفة مقدار الأجرة ،

ومقدار الزمن الذي يعمل فيه ، فيكف يلزم العامل أو الآجر بما لم يعلم به أصلاً ، ولم يلتزم به ؟! .

١٠ ـ **جاء** في الفقرة السادسة من المادة العاشرة : أن الآجر يسهل للعمال الذين يعملون في أماكن بعيدة عن العمران المساكن الملائمة ، وهذا أيضاً ليس بلازم بدون شرط ، أما إذا شرط في العقد ، أو كان ذلك عرفاً مطرداً ، عند أهل تلك الجهة ، فيكون لازماً ، لكن يشترط فيه معرفة المسكن ، ونوعه في البناء ، وسعته ، وعدد حجره ، وكل وصف تختلف فيه الأجرة .

وأما وصفه بكونه ملائماً ، فهذا وصف غير منضبط ، فقد يكون العامل لا يلائمه إلا بيت من المسلح ، يحتوي على شيء كثير من المزايا ، وقد يكون العامل ممن يكتفي بأكواخ ، وصنادق وخيام ونحوها ، فينتج عن ذلك اختلاف بين المؤجر والعامل ، فلذا يجب الاحتياط عند العقد ، تفادياً للخلاف وحصول الضرر ، الناتجين عن جهالة المسكن ونوعه ، وما يشترط لمعرفته من الشروط التي يصح معها عقد الإجارة .

١١ ـ **جاء** في المادة الحادية عشر ، ما نصه : إذا كان العقد مبرما لمدة محدودة ، وانتهت المدة المحدودة ، دون أن تنقطع خدمة العامل لدى الآجر ، اعتبر العقد ممدّداً لمدة غير محدودة .

ويلاحظ عليها : أن هذا الاعتبار ، غير معتبر شرعاً ، بل متى انتهت المدة التي تم العقد عليها ، فلا يبقى بينهما عقد آخر ، إلا باتفاق جديد بينهما ، هذا إذا آجره لمدة شهر فقط ، أو أسبوع ، أو يوم ونحوها .

أما إذا قال : كل يوم تعمله عندي بكذا ، أو كل شهر ونحوه ، فإن العامل متى تلبس بعمل اليوم ، أو الشهر مثلاً ، يلزمه إتمامه ، بمقدار الأجرة المخصصة لذلك العمل .

وأما بدون ذلك ، كأن استأجره لمدة شهر ، ولم يقل كل شهر تعمله بكذا ، فهذا لو تلبس بالعمل بدون اتفاق بينه وبين المؤجر ، والمؤجر ، لم يكفه عن العمل ، فإن ما عمله بهذه المدة ، لا يستحق عليه الأجر المسمى ، ولكن يستحق أجرة مثله ، سواء زادت عن أجرة المتفق عليه بينهما ، أو نقصت ، لأنه لم يحصل بينهما عقد شرعي ، فيلزم كل منهما به .

١٢ ـ **جاء** في المادة الثانية عشر ، ما نصه : إذا كانت مدة العقد غير محدودة ، كان لكل من الطرفين الحق في فسخه ، وإعلان الطرف الآخر بذلك ، على أن يكون ذلك الإعلان سابقاً للفسخ بالمدة الآتية :

١ ـ بالنسبة لعمال اليومية ، يكون الإعلان سابقاً للفسخ لمدة ثلاثة أيام ؛ ٢ ـ بالنسبة للعمال ذوي الأجور

الأسبوعية ، يكون الإعلان سابقاً للفسخ بمدة أسبوع ؛ ٣ ـ بالنسبة للعمال المعينين بأجور شهرية ، يكون الإعلان سابقاً للفسخ بمدة ثلاثين يوماً .

وفي حالة مخالفة المدة المشار إليها ، يلتزم الطرف الذي فسخ العقد ، بأن يدفع للطرف الآخر تعويضاً مساوياً لأجر العامل عن مدة المهلة ، أو الجزء الباقي منها ، ويتخذها أساساً لتقدير التعويض متوسط ما تناوله العامل في الثلاثة الأشهر الأخيرة ، من أجر ثابت ، ومرتبات إضافية .

ويلاحظ على هذه المادة ، وما تضمنته من فقرات عدة ملاحظات :

١٣ ـ جاء في أول المادة قوله : وإعلام الطرف الآخر بذلك ، على أن يكون الإعلان سابقاً للفسخ بالمدة الآتية .

وهذا الشرط ليس لازماً ، وما على لزومه أثرة من علم ، بل هذا تحكم وإلزام بغير ما ألزم به الشرع .

وليس للمؤجر حق على العامل أن يخبره ، إلا وقت تركه العمل ، فيما إذا كان العقد غير محدد ، إلا إذا كان المؤجر شرط ذلك على العامل ، فالشرط أملك .

وأيضاً : لا بد في الشرط من تعيين المدة من قبلهما ، بحسب ما يتفقان عليه سواء زادت عن المدة المحددة في هذا النظام ، أو نقصت ، فإذا كان المؤجر قد يتضرر بترك العامل العمل بدون إشعاره ، فالذي ينبغي له أن يحتاط

لنفسه ، ويشترط في ابتداء العقد ، تعيين المدة اللازمة لإعلامه .

وفي غير هذا فالعامل لا يكلف بشيء لم يلتزم به ، ولم يلزمه به الشرع ، بل بمجرد التحكمُ والخرص .

وكذلك أيضاً : ليس للعامل حق على المؤجر ، أن يعلن له ذلك الإعلان ، إلا وقت إتمامه المدة التي حصل الاتفاق عليها منهما ، وهل يلزم المؤجر عندما يريد أن يعمل عملاً ، لا يحتمل أكثر من يوم واحد ، أن يعمل ثلاثة أيام معه ، بناء على أنه لم يشعر العامل بذلك ، أو يدفع له أجرة عمل ثلاثة أيام بدون مقابل ؟

وهل ورد في الشرع نظير ذلك ؟ أم هو مجرد ظن وخرص وزعم منهم : أن هذا يكفل مصلحة الجميع ؟! وهذا عين الضرر عليهم معاً ، ولو وقع شيء منه على واضع هذا النظام وألزم به لعلم فساده بنفسه .

١٤ ـ جاء في الفقرة (١) من المادة نفسها قوله : بالنسبة لعمال اليومية ، يكون الإعلان سابقاً للفسخ لمدة ثلاثة أيام ، سبحان الله! ما هذا التفريق بين العامل ذي اليوم وذي الأسبوع ، وذي الشهر ؟! وما هذا التحديد والإلزام الذي لم يشم رائحة العدل ، متى وجد في الشرع نظيره ، ومن قال به من العلماء ؟ وأي مناسبة لثلاثة الأيام ، مع اليوم الواحد ، الذي استؤجر به العامل ؟! .

كيف يستأجر ليوم واحد ، ويلزم بثلاثة أيام تبعاً لهذا اليوم ، فإن ذلك من لازم هذه المادة ؛ وهذا التحكيم ينتج عنه : أن من آجر نفسه يوماً واحداً ، لا يجوز له أن يترك العمل من تلقاء نفسه ، إلا بعد ثلاثة أيام ، وإلا فيغرم ثلاثة أضعاف أجرة ذلك اليوم الذي تحصل عليها .

تأبى الشريعة أن تأتي بمثل هذه التحكمات البعيدة عن العدل ، أو تقرها ، بل تنهى عن مثل ذلك أشد النهى .

١٥ ـ **جاء** في فقرة (٢) من المادة نفسها ، بالنسبة للعمال ذوي الأجور الأسبوعية يكون الإعلان سابقاً للفسخ لمدة أسبوع ، اهـ .

وهذه الفقرة فيها من الملاحظة كما في الفقرة قبلها ، ويلزم على قولهم هذا : أن العامل عندما يعقد لمدة أسبوع ليرى العمل ومناسبته له ؛ يلزمه أحد أمرين : أما أن يعمل أسبوعاً آخر من غير رضاه ، وإما أن يخسر أجرة أسبوعه الذي عمله أجمع ، وهذا غاية الجور والظلم والضرر عليه .

وكذلك نفس الشيء يعود على المؤجر ، هل إذا احتاج لعمل لا يدري ما يكفيه من المدة ، واستأجر عمّالاً ليعملوا عنده أسبوعاً واحداً ، ثم تطلب العمل زيادة يوم أو يومين ، هل يلزم أن يدفع لهم بقية الأسبوع ؟ نعم على مقتضى هذه المادة ، أليس هذا أكلاً للمال بالباطل ؟ .

١٦ ـ **يلاحظ** : على ما تضمنته فقره (٣) مع نفس

الشيء السابق ، في الفقرتين قبلها ، وهل يلزم العامل بالعمل ثلاثين يوماً بغير رضاه ، ومن دون شرط ، أو اتفقا بينهما ، إذا لم يمكن الفسخ للمؤجر في المدة المعينة ، وإلا فيغرم العامل جميع ما تحصل عليه من الأجرة في ذلك الشهر ؟! وعلى أي أساس بنيت هذه الغرامات التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟! وهل هي في مقابل عمل أونفع ؟!

ثم إن هذه الغرامات لم تأت على أساس من الدين ، ولا من العقل ، ولا من العرف ، وذلك : أن العامل إذ ترك العمل ، وتسبب لضرر أو نقص على المؤجر ، فإن الضرر اللاحق بالمؤجر ، قد يكون سهلاً جزئياً ، وقد يكون ضرره جسيماً ، وقد لا يلحقه أي ضرر .

فلم لم يقل : إن العامل يلزمه غرامة بقدر ما حصل من النقص بسببه ؟ لأنه قد يقصد إدخال الضرر على المؤجر ، فيتلف عليه شيء كبير ، أو تفوته مصلحة كبرى ، لا يوازيها أجرة عمله مدة طويلة .

وقد لا يحصل بسبب ذلك شيء من النقص ، لا قليل ولا كثير ؛ فهل تستوي هاتان الحالتان ، وهذا النظام جعلها على السواء ؟! .

ولا شك : أن هذا الإلزام ، هو عين الظلم على كل من الطرفين ، مع ما فيه من التناقض الواضح ، فلا يلزم واحد منهما الإعلان على حسب ما جاء في هذه الفقرات ،

ولا يلزم دفع هذه الغرامة المذكورة فيه أيضاً ، وعلى أي أساس بنيت هذه الغرامة ، التي تنافي المصلحة العامة لكل من الطرفين ، وهذا حكم مخالف لقواعد الشريعة السمحاء .

١٧ ـ **يلاحظ** : ظهور التناقض لهذه الفقرات ، حيث جعل للشهر ثلاثين يوماً ، وللأسبوع مثله ، ولليوم ثلاثة أيام ، أي ثلاثة أضعاف اليوم ؛ لم لم يجعل لليوم يوماً واحداً ، نظيراً للشهر ، والأسبوع ، لو قدر صحة ذلك ؟! .

صدق الله العظيم : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً﴾ [النساء : ٨٢] .

أما إذا كان العمل مستمراً ، وتلبس به العامل ، بأن استمر في اليوم الثاني ، والأسبوع ، والشهر ، بعد انقضاء ، المدة المتفق عليها بينهما ، ولم يحصل من جانب المؤجر إعلام بالفسخ له ، حال التلبس بالعمل ، أو قبله ، وكان دخول العامل على أنه يعمل كل يوم ، أو كل أسبوع ، أو كل شهر بكذا .

فهذا يعتبر كعقد جديد ، يلزم كلاّ من الطرفين إتمامه ، وله من الأجرة مثل ما سبق ، هذا قول لبعض العلماء ، وطائفة منهم لا يرون صحة مثل هذا ، بل يعتبرونه عقداً فاسداً ، لا تلزم فيه الأجرة المعينة في العقد الأول ، ولكن يستحق أجرة مثله ، سواء زادت ، أو نقصت من المسمى .

١٨ ـ **جاء** في المادة (١٣) إذا كان الفسخ من جانب الآجر ، وجب أن يدفع للعامل مكافأة عن مدة خدمته . . . إلى آخر الفقرتين منها .

ويلاحظ على هذه المادة ملاحظات ؛ قوله : إذا كان الفسخ من جانب الآجر ، فمفهومه ، أن للآجر الفسخ ، وقد سبق في مادة (١٢) أنه ليس لأحدهما الفسخ ، إلا بعد إعلان الطرف الآخر ، بالمدة الموضحة هناك ، وإلا فيلزمه الغرامة المذكورة أيضاً ، وهنا ذكر : أن له الفسخ ولم يذكر سابق إعلان فهذه تناقض تلك .

١٩ ـ **إن** المفهوم من كلمة « فسخ » أن يفسخ عقداً مبرماً ، قبل تمام أجله ، لأنه بعد تمامه لا يسمى فسخاً ، وهذا غير صحيح ؛ لأنه ليس لأحدهما فسخ العقد إلا بعد تمام المدة ، سواء في ذلك المؤجر ، أو العامل ؛ وإن كان المراد من ذلك عدم تجديد عقد آخر ، فلا مانع من ذلك لكل من الطرفين ؛ ولا يلحق المؤجر شيء من التعويضات عن ذلك إلا تبرعاً منه بغير إلزام .

٢٠ ـ **ما ذكر** في فقرة (١) من هذه المادة ، بالنسبة للعمال باليومية ، والعمال ذوي الأجور الأسبوعية ، والعمال الذين تحدد أجورهم بالقطعة أجر خمسة عشر يوماً ، يعني مكافأة . . . إلى آخر الفقرة .

ونقول : إن إلزام الآجر بذلك غير سائغ شرعاً ، ولا

يجوز هذا الإلزام ، فإنه ظلم للمؤجر ، وأخذ للمال بالباطل ، وظلم للعامل ، وإعانة له على الظلم .

إلا إذا كان هذا عن شرط بينهما ، ودخل المؤجر على بصيرة منه ، أو كان ملتزماً به لكل عامل عنده ، وعرف ذلك منه عند معامليه .

٢١ ـ جاء في الفقرة (٢) من المادة نفسها ، وهي قوله : إلا إذا بلغت الخدمة مدة عشرين سنة ، فيمكن أن تصل المكافأة إلى ما يعادل أجر سنة ونصف على الأكثر ، هـ .

والمفهوم من كلمة يمكن ، أن هذا شيء قد يحصل للعامل ، وقد لا يحصل ، فهل هو حق ثابت له فيطالب به ، أولا ؟ وهل هذا الإمكان يتقرر من العامل ، أو من جهة المؤجر ، أو من جهة أخرى ؟! .

ثم إنه أيضاً لم يقف على حد بين ، بل قال : على الأكثر ، وهذا فيه إبهام ، فالعامل مثلاً يطالب بالأكثر ، والمؤجر يمتنع من ذلك .

فإذا كان هذا راجع للمؤجر ، ولا حق للعامل في تحديد ما يدفع له ، فلم منع من الزيادة على أجر سنة ونصف ، إذا كان تبرعاً منه ؟ فإنه لا حجر على أحد في التبرع من ماله بشيء ، إلا إن كان سفيهاً ، أو محجوراً عليه .

فهذا شيء لا بد أن يوقع في الخلاف ، والشريعة تنهى عن كل ما يكون سبباً للخلاف بين المسلمين ؛ والحق : أن هذه المكافأة ، لا يجوز إلزام الآجر بها ما لم يكن شرطاً بينهما كما سبق موضحاً .

٢٢ ـ **ذكر** في المادة الرابعة عشر : أنه ينتهي العقد بوفاة العامل ، أو عجزه عن تأدية العمل عجزاً كاملاً ، بعد إثبات ذلك بشهادة طبية أو مرضية ، مرضاً أدى إلى انقطاعه عن العمل ، مدة لا تقل عن شهرين متتاليين ، أو مدة تزيد في جملتها عن الثلاثة شهور ، في خلال سنة واحدة . . . إلى آخر المادة ؛ ويلاحظ عليها عدة أشياء .

٢٣ ـ **إن قوله** : لا يجوز الفسخ من المؤجر إلا بعد انقطاعه عن العمل مدة لا تقل عن شهرين متتاليين ، وهذا التوقيت لم يستند إلى شيء من الشرع ، ولا يجوز الحجر على المؤجر ، وإلزامه بانتظار العامل هذه المدة الطويلة .

بل متى انقطع العامل عن العمل لمرضه ، ولو يوماً واحداً ، لزمه أحد أمرين : إما الفسخ برضا منهما ، وإما أن يقيم العامل من يعمل مكانه حتى يبرأ ، أو تتم المدة المعقود عليها ، إذا لم تشترط مباشرة العامل لذلك العمل .

وليس للعامل البقاء على العقد بدون عمل منه ، إلى مضي شهرين ، فإن هذا التحديد لا أصل له في الشريعة الإسلامية ، كما أن المؤجر ليس له الفسخ إذا أقام العامل

من يقوم بعمله ، ما لم تشترط مباشرة العامل للعمل ، ولو تجاوزت المدة الشهرين أو أكثر ، ما دام العقد باقياً لم يتم .

٢٤ ـ **حصرهم** اعتماد ذلك على الشهادة الطبية ، أو المرضية ، وعدم الالتفات إلى ما سواهما ، فلو أقعده المرض ، أو أعجزه عن القيام بعمله قبل أن يأخذ شهادة مرضية ، يعتبر متلاعباً ، وكأن الإثباتات الشرعية منحصرة في تلك الشهادة المذكورة .

فلو شهد رجلان مسلمان ، من أهل الخبرة والأمانة ، بما قام بهذا العامل من العذر لا يعبأ بهذه الشهادة ، ما لم تكن من طبيب ، وهذا بعينه هو الظلم ، الذي تنهى عنه الشريعة الإسلامية ، فإن طرق الإثباتات في الشريعة كثيرة ، لا تنحصر فيما حصره هذا النظام ، ويتفرع على هذا مسائل كثيرة ، لا نطيل بذكرها ، فالله المستعان .

٢٥ ـ **قوله** : ويلزم في حال انتهاء العقد بالكيفية المبينة آنفاً ، بأن يدفع المكافأة المبينة بالمادة (١٣) وقد سبق بيان مثل هذه ؛ وهو : أن المكافأة ليست لازمة شرعاً ، ما لم تشترط حال العقد ، وتكون معلومة بينهما ، فلا يجوز إلزام المؤجر بما لم يلتزمه ، ولم يشرط عليه في العقد ، والله أعلم .

٢٦ ـ **جاء** في الفقرة الثالثة من المادة (١٥) على كل

آجر يستخدم خمسين عاملاً فأكثر ، أن يضع نظاماً للإسعاف في المصنع ، أو محل العمل ، مع تخصيص طبيب لعيادة العمال ، وعلاجهم مجاناً ، وإعداد وسائل الصرف للعلاج ، والأدوية بدون مقابل ، سواء في ذلك وقت العمل أو غيره .

ويلاحظ عليها : أن هذا الإلزام غير لازم شرعاً ؛ لأنه لا يمكن ضبطه ، فالعامل قد يحتاج إليه ، وقد لا يحتاج إليه ، والمرض قد يستغرق علاجه مدة طويلة من الزمن ، وكمية كثيرة من الأدوية والمصاريف ، وقد يكون علاجه بسيطاً في زمنه ومصاريفه .

فهذه جهالة شديدة ، والشريعة الإسلامية قواعدها تنهى عن كل عقد يكون فيه جهالة أو غرر ، وهذا يعتبر كجزء من الأجرة المعلومة ، وهذا الجزء المجهول يصير الأجرة كلها مجهولة ، فيفسد العقد إذاً .

٢٧ ـ **جاء** في فقرة (٤) من نفس المادة (١٥) إن على كل آجر يستخدم خمسين فأكثر : أن يضع نظاماً للتوفير والادخار ؛ ويلاحظ على هذه الفقرة عدة أمور ، وهي : أن المؤجر ، لا يلزمه شيء لم يلتزم به في ابتداء العقد ، كما سبق بيانه أكثر من مرة .

٢٨ ـ **إن نظام** التوفير ، فيه عدة محاذير ؛ منها : أن ربحه معروف مضمون مقدر بنسبة في مقابل التصرف بهذا المال المعين ، وهو الربا الصريح ، الذي جاء الوعيد فيه

بقوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وهذا بعينه هو ربا الجاهلية ، وهو ربا النسيئة الذي هو أشد أنواع الربا تحريماً ، وقد ذكره الله بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩] .

فإن قصد بهذا الادخار غير معناه المفهوم ، وهو حفظه كأمانة تبقى في صندوق التوفير ، متى طلبها صاحبها دفعت إليه ، كسائر الأمانات ، فهذا لا بأس به ، غير أن العامل يكون مخيراً في ذلك ، إن شاء أمن ما لديه أو بعضه ، لدى صندوق التوفير أو غيره ، وإن شاء غير ذلك ، فالأمر إليه ، لأنه جائز التصرف في ماله بما يرى فيه مصلحته ، ما لم يفض إلى الربا .

٢٩ ـ لا يلزم المؤجر أن يضع لهم هذا النظام ، وإلزامه بذلك يعتبر ظلماً ، ومخلا بالعقد ، زيادة على ما فيه من المحذور السابق .

٣٠ ـ ما ذكر في الفقرة نفسها ، في حالة استخدام ما دون الخمسين عاملاً ، يجب أن يكون في كل مشروع صناعي صندوق للإسعافات الطبية ، وهذا الواجب ، غير

واجب شرعاً ، ولا يجوز أن يلزم المؤجر به ، ما لم يكن شرطاً بينهما ، أو ملتزماً به المؤجر من قبل نفسه ، مع أنه لا بد أن يكون معلوماً مقدار ما التزم به من كل نوع مما يلزم لذلك .

٣١ - **جاء** في الفقرة (٥) من المادة (١٦) أن للآجر أن يفسخ العقد إذا تغيب العامل دون سبب مشروع ، أكثر من خمسة عشر يوماً ، في خلال السنة الواحدة ، أو أكثر من سبعة أيام متوالية .

ويلاحظ عليها : أن هذا التحديد ، لم يعتمد على شيء من قواعد الشريعة الإسلامية ، بل هو تحكم لا يسوغ مثله ، فالمؤجر له الحق في الفسخ ، متى ترك العامل العمل ، إلا إذا أقام العامل مكانه من يعمل مثله ، أو أقامه الحاكم إذا لم يشترط فيه مباشرة العامل للعمل ؛ وإذا لم يحصل شيء من ذلك ، فإن للمؤجر الفسخ في الحال عندما يتغيب العامل .

٣٢ - **جاء** في الفقرة الثامنة من المادة (١٦) أن للآجر أن يفسخ العقد ، إذا ثبت أن العامل قد ارتكب عملاً مخلاً بالشرف ، أو الأخلاق ، أو الآداب ، اهـ .

ويلاحظ : أن هذه الأشياء ، لا تكون مسوغة للفسخ ، لأن المؤجر إنما استأجر العامل لعمل مخصوص ، ولا حق له أن يتدخل فيما هو خارج عن العمل المستأجر العامل لأجله ، اللهم إلا إذا كان العامل قد أخل بشيء يعود بضرر

على المؤجر ، بحيث يصير مانعاً من موانع العمل ، أو تكميله ، أو غير ذلك من الضرر .

ثم إنه يلاحظ : على هذه الفقرة ، أنه ذكر فيها الإخلال بالشرف والأخلاق والآداب ، ولم يذكر فيها الإخلال بالدين ، وكأن الواضع لها ، لا يرى أن الإخلال بالدين نقص ، مع أن الإخلال به يكون موجباً للفسق ، إذا ارتكب ما يوجبه .

والفاسق غير مؤتمن ، فربما يخون في عمله ، كما خان في دينه ، وربما كان جواز الفسخ في مثل هذا له وجه ؛ فمن العجب أن تكون تلك الأشياء مخلة ، وارتكاب ما يخل بالدين ليس مخلاًّ!!! .

٣٣ ـ جاء في الفقرة التاسعة ، من المادة (١٦) أن للآجر الفسخ إذا وقع من العامل اعتداء على الآجر ، أو على أحد رؤسائه في العمل ، أو بسببه .

ويلاحظ : على هذه الفقرة أشياء ؛ منها : أن ما ذكر فيها ليس مسوغا لجواز الفسخ للإجارة ، بل العقد باق على ما كان عليه ، وللمؤجر أن يطالب بحقه الخاص له ، أو لمن هو متولٍّ عليه .

وأما ما كان لغيره من رؤوساء العمل ، أو غيرهم ، فإذا اعتدى عليهم أحد من العمال ، فكل يطالب بحقه ، ولا دخل للمؤجر ، إلا بما يخصه بنفسه ، إلا بوكالة شرعية ممن له الحق .

٣٤ ـ **خصص** في هذه المادة : الاعتداء على الرئيس ، أو الآجر ، فإذاً ما الحكم إذا كان الاعتداء على غير الرئيس في العمل ؟! وما الفرق بين الرئيس والمرؤس ؟ في حفظ حقوقهم وكرامتهم ، وحمايتهم ، إن كان هذا يعتبر حماية لهم ؟! .

٣٥ ـ جاء في الفقرة الأولى ، من المادة (١٧) أنه يجوز للعامل أن يترك العمل قبل نهايته ، إذا كان الآجر ، أو من يمثله قد أدخل الغش عليه وقت التعاقد ، فيما يتعلق بشروط العمل ، بشرط أن يتمسك بهذا السبب ، قبل مضي شهر من تأريخ دخوله في العمل .

والواقع أن هذا التحديد غير مبني على أصل شرعي ، فهو تحديد باطل ، بل يثبت الخيار وقت علمه بالغش ، سواء مضى لذلك شهراً وأكثر ، غير أنه متى علم العامل بالغش ، ثم استمر على العمل بعد علمه به ، فإنه ليس له الخيار ، سواء كان ذلك بمدة طويلة أو قصيرة ، لأن استمراره في العمل يدل على الرضا منه بذلك .

٣٦ ـ **جاء** في الفقرة الثانية ، من المادة (١٧) أن للعامل أن يترك العمل إذا لم يقم الآجر بالتزاماته ، طبقاً لأحكام هذا النظام . . . اهـ .

وبما أن هذا النظام غالب مواده وشروطه ، ليست موافقه للشريعة الإسلامية ، بل كثير منها قد نصت الشريعة

على إبطاله ، فلا ينبغي أن الآجر يلتزم به ، فضلاً عن أن يكون للعامل الفسخ بعد التزاماته ، بل لو التزم به كله ، بما فيه المخالف للشريعة ، لكان العقد باطلاً من أصله .

وإنه لمن العجب : أن يحتاط لهذا النظام كل هذا الاحتياط ، مراعاة لأحكامه ، فلو كان ذلك بالنسبة لأحكام الشريعة لكان هو الأولى ، بل هو الأوجب ، فالله المستعان .

٣٧ ـ **جاء** في الفقرة الرابعة ، من المادة (١٧) أن للعامل أن يترك العمل ، إذا وقع من الآجر اعتداء عليه ، أو على أحد من أفراد أسرته ، اهـ .

وقد سبق الكلام على نظيرة هذه المسألة في الملاحظة ٣٣، والواقع أن هذه المادة ونظيرتها ، تعتبران مفتاح خلاف وخيانة ، فإنه متى سئم العامل من العمل ، أو المؤجر من العامل ، تعرض وتسبب لمنازعة الطرف الآخر ، لعله يحدث منه أي اعتداء ، وإن قل ، ليحصل له فسخ العقد المبرم بينهما .

٣٨ ـ **جاء** في الفقرة الخامسة ، من المادة (١٧) إلزام الآجر بدفع مكافأة مالية للعامل ، إذا ترك العمل للأسباب المبينة في فقرة (أ) و (ب) و (جـ) و (د) . والكلام على هذه المادة وفقراتها قد سبق مفصلاً في الملاحظة رقم ٢٠ و ٢١، وبينا هناك وجه بطلانه ، فليرجع إليه .

٣٩ ـ **جاء** في المادة (١٨) على صاحب العمل : أن

يدفع للعامل الذي يثبت مرضه أثناء العمل ، نصف أجر أيام مدة انقطاعه عن العمل ، لهذا السبب وحده ، دون أن يكون ناشئا عن إصابة وقعت أثناء العمل ، بشرط أن لا تزيد المدة التي يدفع عنها نصف الأجر المذكور ، عن شهر في السنة ، اهـ .

ويلاحظ على هذه المادة ملاحظات ؛ منها : أن إلزام المؤجر بدفع هذا المبلغ غير سائغ ، بل هو ظلم ، وتعدٍّ عليه ، وقد قال النبي ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » وأكل العامل لهذا المال ، من مال المؤجر ، من أكل المال بالباطل ، حيث لم يرض مالكه بدفعه إليه عن طيب نفس ، لأنه ليس في مقابلة عمل ، وحرمة مال المسلم كحرمة دمه .

٤٠ ـ **ومنها** : التحديد بنصف الأجرة ، وفي مدة لا تزيد على شهر في السنة ، هذا كالذي قبله ، لم يستند على نص من كتاب ولا سنة ، ولا قول صحابي ، ولا تابعي ، ولا أحد من أهل العلم ؛ والشريعة الإسلامية احترمت أموال المسلمين ، وبينت ما يجوز الأخذ منها ، وما لا يجوز ، وفيها مقنع وكفاية لطالب الحق ، فنعوذ بالله من مخالفتها .

٤١ ـ **التفريق** بين ما إذا كان ناشئاً عن أسباب أثناء العمل ، أو كان غير ذلك ، وهذا التفريق لا أصل له في الشريعة الإسلامية ، بل هو تحكم بدون مستند ؛ فإنه لا فرق بينهما إلا إذا كان ناشئاً عن سبب من المؤجر ، أو عن

عدم إخباره بخطورته ، مع علمه به ، والعامل لا يعلم ذلك .

وأما إذا لم يقع من المؤجر أي سبب ، فليس للعامل حق عليه ، إذا كان العامل بالغاً رشيداً ، أو كان صبياً وقد أذن له وليه ؛ وإذا كانت الإصابة نشأت عن سبب أحد ، فالمتسبب هو الغارم ، سواء كان المؤجر أو غيره .

٤٢ ـ جاء في المادة (١٩) يدخل في احتساب الأجور ، التي تقدر على أساس التعويض عن الإصابات طبقاً لأحكام هذا النظام ، سواء كانت يومية ، أو أسبوعية ، أو شهرية ، كل ما كان يدفع مقابل العمل الزائد ، والمدة الزائدة إلى العمال المصابين ، كعلاوة إضافية ، أو منفعة خاصة ، اهـ .

وسبق أن لوحظ على مماثلتها رقم (٢٠) فقرة (أ) من الماد : (١٣) منه ، وكذا في المادة قبل هذا ، وقد بينا : أن ليس للمصاب على المؤجر أي حق ، ما لم يكن بسببه أو تفريطه ، أو عدم إشعار العامل بالخطر ، مع علمه ، أي المؤجر بذلك .

وكذلك المكافأة المشار إليها ، غير لازمة شرعاً إلا بشرط ، إلا إذا كان تبرعاً من المؤجر ، وإذا كانت تبرعاً ، فلا يترتب عليها ما يترتب على الأجرة من اللزوم ونحوه .

٤٣ ـ جاء في الفقرة الرابعة ، من المادة (٢٠) أن

على الآجر أن يعد مساكن صحية ، متوفرة فيها أسباب الراحة الكاملة ، ويشترط على أصحاب المشاريع الصناعية ، أن لا يسكنوا أكثر من عاملين ، اثنين ، من العمال العرب في غرفة مساحتها ١٢ x ١٥ قدماً . . . إلخ .

وهذه الفقرة أيضاً تقدم الكلام على مماثلتها في رقم (١٠) على الفقرة السادسة من المادة (١٠) وأوضحنا فيها : أن هذا لا يلزم به المؤجر إلا بشرط ، ثم إنه لا بد من وصف المسكن وصفاً لا يختلف .

وقد ذكر هنا : الراحة الكاملة ، وهذا شيء لا ينضبط ؛ لأن كمال الراحة قد يحصل لبعض الناس بمجرد الوقاية من الحر والبرد ، وحفظ الأمتعة فقط ؛ وبعضهم : لا تكفل راحتهم إلا بإيجاد الماء فيه والكهرباء ، والهاتف ، ونحوها .

فلهذا لو حصل الاتفاق من المؤجر والعامل ، على اشتراط المسكن الكافل للراحة فلا يكفي هذا الوصف ، لما فيه من الإيهام والجهالة ، لذا يبطل مضمون هذه المادة ، من جهتين ، عدم اشتراطه في العقد ، وعدم ضبط المراد منه .

٤٤ ـ جاء في المادة (٢٢) يجب على العامل : أن يقدم للآجر بياناً بأسماء وعناوين من يقوم بإعالتهم . . . إلخ ؛ وهذا الذي عبر عنه بالوجوب ، غير ظاهر الوجوب ،

بل ليس ذلك بلازم على العامل ؛ فإن المؤجر لا حق له على أحد سوى العامل ، الذي جرى بينه وبينه العقد ، أما حقوق عائلته ، فهي على العامل ، ولا دخل للمؤجر في ذلك ، ولا يلزم العامل الإخبار بذلك إذا امتنع منه .

٤٥ ـ **جاء** في المادة (٢٣) ما نصه : إذا أصيب العامل بإصابة ، أقعدته عن العمل ، يدفع له أجرة ٧٥٪ من الأجرة ، وذلك بعد مضي سبعة أيام من تأريخ الإصابة ، التي يجب أن يستوفي فيها أجره كاملًا ، ويستمر الدفع للـ ٧٥٪ إلى حين شفاء المصاب ، أو انتهاء مدة الإقعاد المؤقت في المادة (٣) إلخ .

ويلاحظ عليها ما يلي :

٤٦ ـ **منها** : أن الإصابة التي تقع على العامل ، بدون سبب من المؤجر أو مباشرة ، أو بسبب إهماله ، فليس للعامل حق في مطالبة المؤجر بشيء من ذلك ، وتغريم المؤجر غير سائغ شرعاً ، بل هو من الحكم بغير ما أنزل الله تعالى .

٤٧ ـ **إن** التحديد بهذا المبلغ الموضح ، تحديداً مجانباً للعدل ، وذلك أن الإصابة تتفاوت ، وهي هنا جعلت على حد سواء ؛ ثم إنه نص على سبعة أيام ، فإن زادت أو نقصت تغير الحكم ، وهذا التحديد غير مبني على أساس من الشرع ، ولا من العقل ، ولا يوجد له نظير في معناه

من الأحكام الشرعية ، بل هو ظلم وجور .

٤٨ ـ **نصت** هذه المادة على أن للعامل استحقاق السبعة أيام ، التي قعد فيها عن العمل ، وهذا أيضاً لا يستحقه العامل ، ولا يجب على المؤجر ، ولا تجوز مطالبته بذلك ، كما سبق نظيره أكثر من مرة .

٤٩ ـ **إلزام** الآجر بدفع ٧٥٪ من الأجرة ظلم وتعدي ، فلو كثر المصابون من العمال ، فهل يلزم الآجر الدفع لهم ٧٥٪ من أجورهم ، بدون مقابل ، ولو أدى إلى ضرره ونفاد ماله ، ويلزم بالاستدانة لهم مهما كثر عدد المصابين عنده ؟! حاشا الشريعة الإسلامية ، التي هي أساس في العدل والكمال ، أن تأتي بمثل هذا ، صدق الله العظيم : (أفحكم الجاهلية يبغون) ، [المائدة : ٥٠] .

٥٠ ـ **تحديد** دفع هذا المبلغ إلى مدة شفاء المريض ، هو تحديد مجهول ، فقد يبرأ لمدة شهر أو أقل أو أكثر ، غاية الأمر : أنه جعل نهايته لسنة ، وهذا لا يجعله معلوماً ، لأنه إما أن تكون المدة بضعة أيام ، أو شهور ، أو سنة كاملة .

٥١ ـ **ما ذكر** من التعويض المشار إليه بمقتضى المادة (٢٥) سيأتي الكلام عليه عند الكلام على المادة نفسها .

وبالجملة : ما تضمنته هذه المادة ، كله باطل لا أصل له ، والشريعة الإسلامية تعطي العامل أجره المتفق عليه ،

بينه وبين المؤجر ، ما دام قائماً بعمله ، وإذا تخلف عن العمل فلا شيء له ، ما لم يكن بمنع من المؤجر ، مع بقاء مدة الإجارة ، بدون سبب يقتضي ذلك .

٥٢ ـ **جاء** في المادة (٢٤) يدفع الآجر إلى العامل ، في حالة الإقعاد الجزئي الدائم المبلغ المندرج في الكشف المربوط ؛ ويلاحظ على هذه المادة ما يلي :

٥٣ ـ **منها** ؛ أن إلزام الآجر بشيء لم يلتزم به ، جور وتعدي ، يتنافى مع العدل المأمور به في الكتاب والسنة .

٥٤ ـ **أنه** لو التزم بما تضمنته هذه المادة ، لفسد العقد ، للجهالة ، ومن شرط صحة الإجارة : العلم بالأجرة .

٥٥ ـ **إنه** قد أطلق الكلام فيها ولم يفصل فيه أيّ تفصيل ، مع أن الإصابة التي تكون حال العمل ، لا تخلو من حالات ، إما أن تكون بسبب من المؤجر أو إهماله ، أو بسبب غيره كأحد العمال ، أو بدون سبب ، ففي هذه الحالات ، لا يلزم المؤجر شيء إلا ما حصل منه مباشرة أو تسبباً .

والمفهوم من هذه المادة : أنه لو حصل اعتداء من أحد العمال على عامل آخر ، فإن جميع ما يترتب أو ينتج من هذا الاعتداء ، فغرامته على المؤجر ، ولا شك أن هذا

خطأ ، لا يقره الشرع الشريف ، ولا العقل السليم ، وتصوره كاف في قبحه .

٥٦ ـ فرق هذا النظام بين المصابين ، فجعلهم ثلاث درجات ، لكل درجة حكم خاص ، من حيث الدية للنفس ، والمنافع ، والأعضاء ، كما فصل ذلك في المادة الأولى ، قسم ثلاثة ، في فقرة (أ) و (ب) و (جـ) حيث جاء التفريق فيها بين العامل بالشهر ، والعامل باليومية ، والعامل تحت التمرين ، والعامل الفني ، وغيره .

إذ نوّع الدية ، فجعل دية عيني العامل درجة أولى (١٨,٠٠٠) ودرجة ثانية (١٢,٠٠٠) ودرجة ثالثة (٨,٠٠٠) كما جعل دية اللسان ، أو الإصابة بالبكم الدائم ، درجة أولى (١٢,٠٠٠) وثانية (٦,٠٠٠) وثالثة (٥٣٣٠) وقس على هذا باقي الأعضاء ، والمنافع .

وهذا التفريق : غير سائغ في الشريعة الإسلامية ، بل هو مضاد لها أيّ مضادة ، ومعارض أقبح معارضة ؛ وكيف يتجرأ من يدعي الانتساب إليها ، في وضعه أو إقراره أو الرضا به ؟! .

وقد علم من له أدنى معرفة بالشريعة : أنه لم يحصل بين المسلمين أي تفريق من حيث الدية ، قال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] وصح أن النبي ﷺ قال : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم » .

وهذا النظام : المفرق بين المسلمين في الديات مضاد

لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومخالف لما أجمعت عليه الأمة ، فلا فرق بين الصغير والكبير ، والغني والفقير ، والسيد والمسود ، في الدية لما تقدم .

ومن تأمل أسرار الشريعة في مساواة المسلمين ، بتكافؤ دمائهم ، على بطلان هذا النظام الخاطئ ، لكن يستثنى من ذلك الفرق بين الحر والعبد ، وبين الذكر والأنثى ، والمسلم والكافر .

٥٧ ـ **فرق** هذا النظام بين دية اليد اليمنى واليد اليسرى ، فجعل لليمين دية أكثر من اليسرى ، ثم عكس عندما تكون اليسرى تعمل عمل اليمين ؛ ثم جرى التفريق كذلك بين دية سلامي كل منهما ، بناء على التفريق السابق في اليد ، وهذا كما سبق تحكم ، وخرص ما أنزل الله به من سلطان .

بل بمجرد التصور الخاطئ ، والرأي العازب عن الرشد ، فإن هذا مع ما جمع من الجور والظلم ، والتفريط الذي لم يبنى على أساس من الشرع والعقل ، فهو مباين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن الشرع لم يفرق بينهما ، لا جملة ولا تفصيلاً .

ولا شك : أن حكمة الله بالغة ، وأن العقول قاصرة عن إدراك حكمة الله في شرعه ، ولكن هٰؤلاء الذين استبدلوا بالشريعة النظم والقوانين ، لما انحرفوا عن أصل الدين ،

حسّن الشيطان والهوى ، كل ما يخالف الشريعة ، وتنقصوها ، واستهزؤوا بأهلها ، فبقوا متحيرين عقوبة لهم ، قال تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [البقرة : ١٥] .

فلا ينبغي للمسلم الركون إليهم ، ولا العمل بشيء من نظمهم لحل المشاكل ، فالله قد أغناهم بكتابه وهدى رسوله ﷺ عن سواهما ؛ بل فيهما ما ليس عند أحد من العالمين ، من حل المشاكل ، ودرء المفاسد ، وحفظ المصالح .

٥٨ ـ **جعل** دية اليدين المقطوعتين من مفصل الكتفين ، أكثر من دية النفس ، وهذا أيضاً خطأ ، فإن الشارع لم يجعل فيها سوى دية واحدة ، بدون زيادة ، وفي الواحدة نصف الدية .

٥٩ ـ **فرق** بين فقدان البصر من ذي العينين ، وذي العين الواحدة ، فجعل لذى العين الواحدة مثل ما لإحدى العينين ، مع سلامة الأخرى ، ولم يفرق بين عين الأعور ، وبين من بقيت إحدى عينيه ، بأن جعل ديتهما درجة أولى (٨٠٠٠) ودرجة ثانية (٥٤٠٠) ودرجة ثالثة (٣٦٠٠) وهذا باطل شرعاً وعقلاً ؛ فالشريعة سوّت بينهما ، لقيام العين الواحدة في النفع مقام العينين .

٦٠ ـ **إنهم** لم يفرقوا بين العامل المسلم ، والحر ،

والذكر ، وضدهم ، والواجب فيه التفريق ، فإن الشرع فرق بينهم ، في دية النفس والأعضاء ، والمنافع وسائر الجراحات .

٦١ - **إنه** لم يفرق بين الإصابة إذا كانت عمداً ، أو خطأ ، والقرآن صريح في التفريق بينهما .

٦٢ - **إن** ما ذكر في هذا الجدول ، على سبيل العموم مخالف للشريعة ، ومضاد للنصوص ، فلا يحتاج مناقشة تفصيلية ، بل هو باطل من أساسه ، فلا يجوز العمل به ، لأنه متناقض من أصله ، حيث فرق بين متماثلين ، وماثل بين المتفاوتين .

فنجده : فرق بين الأسنان والأنياب والأضراس ، وما قطع من الكوع أو المرفق ، كما فرق بين الأصابع كالسبابة والوسطى ، والخنصر والبنصر ، ونحو ذلك مما هو كثير .

وهذا شأن كل ما لم يستمد من نصوص الكتاب والسنة ، تجده متناقضاً ، بعيداً عن المصلحة ، بعيداً عن العدل ، بعيداً عن الصواب ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

٦٣ - **جاء** في المادة (٢٥) أنه يدفع الآجر إلى العامل ، درجة أولى ، في حال الإقعاد الكلي (٢٧،٠٠٠) ريال ، وللعامل درجة ثانية (١٨،٠٠٠) وللعامل درجة ثالثة (١٢,٠٠٠) اهـ ؛ ويلاحظ ما يلي :

٦٤ ـ **إن** هذا التفريق بين العمال ، تفريق ما أنزل الله به من سلطان ، فيحرم العمل به ، لأنه لا يستند على نص ، بل هو محض الجور والظلم والتعدي ، فيجب احترام أموال المسلمين .

ثم لو أن هذا العامل لم يعمل عند الآجر إلا مدة يسيرة ، لا تزيد أجرته على مائة ريال مثلاً ، فما المسوغ لإلزام الآجر بدفع (٢٧,٠٠٠) اللهم غفراً ؟! .

٦٥ ـ **إن** المؤجر لا يلزمه شيء ، إلا ما ثبت عليه شرعاً ، بأنه هو المباشر ، أو المتسبب ، ثم إن الواجب عليه هو ما أوجبه الشرع ، لا ما نص عليه هذا النظام الجائر .

٦٦ ـ **نصت** المادة (٢٦) على أن الآجر يقوم بمعالجة ومداواة المصابين ، ونقلهم إلى المستشفيات ، على نفقته ، مهما كان نوع الإصابة ، ولو لم تحدث لهم أثناء العمل ، ونصت المادة (٢٧) أيضاً : أن الآجر يقدم لعماله المعالجة الطبية ، حتى في الأوقات التي لا تمنعهم إصاباتهم الجراحية عن مواصلة العمل .

وقد سبق بيان : أن هذا غير لازم ، كما لوحظ على نظيرتهما ، في الملاحظة رقم (٤٥) وهو أنه لا يجوز إلزام الآجر بهذا إلا بشرط بينهما ، فيما يمكن ضبطه ، وما لا يمكن ضبطه لا يجوز ولو شرط .

٦٧ ـ **نصت** المادة (٢٨) على أن العامل إذا مات، بإصابة لحقته أثناء العمل، دفعت لورثته المبالغ المدرجة، في المادة (٢٥) وقد سبق أن بينا أن ذلك باطل شرعاً، وأنه من التحاكم إلى الطاغوت، ولا يجوز مراعاة ما دلت عليه هذه المادة، لمخالفتها نصوص الكتاب والسنة.

٦٨ ـ **جاء** في المادة (٢٩) أن العامل المصاب، بعجز سابق، أو بمرض جسماني سابق، إذا أصيب بإصابة من النوع المؤدي للعجز الدائم، لا يأخذ تعويضاً عن الإصابة الأخيرة... إلخ.

وهذه المادة قد تقدم الكلام على مثيلتها، في الملاحظتين رقم ٥٢ و ٦٣، وبيان أن الآجر لا يلزمه شيء، إلا ما كان منه مباشرة أو تسبباً.

٦٩ ـ **نصت** المادة رقم (٣٣) على أن يعتبر تقدير تعويض الإصابات بهذا النظام، جُزْءًا متمما له، اهـ؛ وقد سبق الكلام على ذلك الجدول، وبيان تناقضه، ومباينته للشريعة بما يغني عن إعادته هنا، وذلك في الملاحظة رقم ٦٣.

٧٠ ـ **جاء** في فقرة (أ) من المادة (٣٤) يجوز حرمان العامل من التعويض عن إصابته، إذا ثبت ثبوتاً قطعياً: أن العامل كان متعدياً، في مشاجرة أو عراك.

ويلاحظ على هذه الفقرة؛ أنه لا يجوز حرمان العامل، لما يستحقه شرعاً، على من تشاجر معه، ولو

ثبت تعديه ، غير أنه يوآخذ بما عليه ، ويعطى ما له من الحق ؛ لأنه قد يتعدى ، ثم المعتدى عليه يأخذ أكثر من حقه ، وهذا لا يجوز .

لأن الله يقول : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ [النحل : ١٢٦] ، فإذا زاد المعتدى عليه بالأخذ عن حقه ، وجب أخذ الحق منه بمقدار ما زاد عن ما يستحق .

٧١ ـ **جاء** في الفقرة (٢) من المادة نفسها : يجوز حرمان العامل من التعويض ، إذا قصر في إبلاغ الإصابة وظروفها ، في مدة ثلاثين يوماً ، من تأريخ الإصابة أو الحادث .

ويلاحظ على هذه الفقرة : أن تأخر إبلاغ المصاب بالإصابة ، لا يضيع حقه على الجاني ، متى ثبت شرعاً ، بل إذا كان مستحقاً للتعويض ، فإن تأخره لا يكون سبباً في حرمانه من حقه ، ومتى وجد هذا التحديد في كتاب أو سنة ، أو كلام لأحد من العلماء ؟! .

إن هذا تحديد ما أنزل الله به من سلطان ، وجراءة على الله في أحكامه ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ ، [النحل : ١١٦، ١١٧] .

٧٢ ـ **جاء** في الفقرة الثالثة ، من المادة نفسها ، فيما

يجوز به حرمان العامل، من التعويض إذا ألحق العامل الإصابة بنفسه عمداً، بشرط ألا يتسبب عن الإصابة وفاة، أو عاهة مستديمة؛ ويلاحظ على هذه الفقرة ما يلي:

٧٣ ـ **قوله**: إذا ألحق العامل بنفسه عمداً، والمفهوم من قوله: عمداً: أن الحكم يتغير إذا أخطأ، وأنه يرجع الضمان على المؤجر في حالة الخطأ، وهذا كسابقه، من القول على الله بلا علم، ومناقضة لقول رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

٧٤ ـ **قوله**: ألا يتسبب عن الإصابة وفاة، أو عاهة مستديمة، فظاهرها أنه إن حصل شيء من ذلك، فضمان الإصابة أيضاً على المؤجر، وهذه كسابقتها، في جانب بعيد عن الصواب.

فكيف يلزم المؤجر جناية العامل على نفسه، كما لو ضر العامل يد نفسه، فعابت وتعطل العمل بها؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل؟! فالعقل السليم يأبى هذا وينكره، وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا.

٧٥ ـ **جاء** في الفقرة الخامسة من المادة (٣٤) فيما يجوز فيه حرمان العامل من التعويض، ما نصه: إذا امتنع العامل عن عرض نفسه على الطبيب، أو امتنع من قبول معالجة الطبيب المكلف بالمعالجة من قبل الآجر... إلخ.

وهذا كما سبق ليس مسقطاً لحقه، إن كان له حق

شرعي على من جنى عليه ، فيجب بذل ما وجب له من حق ، وإن امتنع ، لأن امتناعه ذلك ، لا يسقط حقه الواجب له شرعاً ، ولا يلزمه الشرع بالمعالجة من غير اختياره ، لعدم وجوب التداوي .

بل ربما كان تركه للمعالجة توكلاً على الله ، ورضا بأقداره ، أو لعدم ثقته بالطبيب ؛ ثم إنه ليس من المتيقن زوال الخطر عنه بالعلاج ، هذا شيء مشكوك فيه ، وإن كان الغالب فيه النجاح ، فإنه أيضاً ربما كان سبباً للوفاة .

٧٦ ـ **جاء** في المادة (٣٨) يجوز للعامل ، أو الآجر ، أن يطلب إجراء التحكيم ، إذا قام نزاع بينهما ، وذلك بتقديم طلب إلى الحكومة ، وتتولى هيئة من عضوين ، يعين أحدهما الآجر والآخر الحكومة ، فإذا اختلف العضوان ، عين وزير المالية حكماً ثالثاً في الفصل في النزاع ؛ ويلاحظ عليها أمور منها :

٧٧ ـ **أن** طلب التحكيم إلى شخص ممن يعرف الأحكام الشرعية ، لا يتوقف جواز التحكيم إليه إلى تقديم طلب للحكومة ، بل متى رضيه الخصمان ، وكان أهلاً لذلك ، فإنه ينفذ حكمه بدون تقديم طلب ، أو علم من الحكومة ، لأنّ عمر ، وأبيًّا تحاكما إلى زيد بن ثابت ، وتحاكم عثمان وطلحة إلى جبير بن مطعم ، ولم يكن أحد منهما قاضياً .

٧٨ ـ **أنه** لا يشترط كون التحاكم إلى هيئة مؤلفة من عضوين ، يكفي واحد إذا رضيه الكل وهو أهل .

٧٩ ـ **أنه** إذا اشتبه الحكم على الهيئة إن كانت ، أو الواحد مثلاً ، ولم يحكم كل منهما ، فالواجب الرجوع إلى المحكمة الشرعية ، من قبل الحكومة ، وليس من حق وزير المالية تعيين حكم بينهما بغير رضاهما ، إلا إن كان والي الأمر جعل له ذلك .

٨٠ ـ **إن** هذه الفقرة فرقت بين الآجر والعامل ، فجعلت الحق للآجر أن يختار حكماً ، ولم تجعل للعامل مثله ، بل جعلت ذلك للحكومة ؛ والعدل : أن كلا منهما يختار لنفسه من يكون أهلاً ، وإلا فمرجعهما إلى المحكمة الشرعية .

٨١ ـ **جاء** في المادة (٤٠) أن المحاكم المحلية ، أو الهيئات القضائية ، التي تنشأ خصّيصاً لذلك هي المرجع المختص لحل عموم القضايا المتنازع فيها ، والتي لا يمكن حلها على مقتضى التحكيم المدرج في المادة (٣٨) اهـ .

ويلاحظ عليها : أن هذه المحاكم المشار إليها ، في هذه المادة ، إن كان يقصد بها المحاكم الشرعية ، التي تحكم بنصوص الكتاب والسنة ، فنعم يلزم الرجوع إليها ، وإن كان يقصد بها ، أيّ محكمة غير شرعية ، فالرجوع إليها من التحاكم إلى الطاغوت المأمور بالكفر به ، في قوله

تعالى : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ [النساء : ٦٠] .

ثم إنه قال : التي لا يمكن حلها على مقتضى المادة (٣٨) وقد مر بيان فساد ما تضمنته تلك المادة المشار إليها في هذه ؛ والله المستعان .

٨٢ ـ **جاء** في المادة (٤١) مما نصه : يجر فصل الحوادث للإصابات التي وقعت سابقاً على العامل ، على اختلاف درجاتهم ، لدى شركات الاستثمار في المملكة التي لم تفصل ، إلى تأريخ تصديق هذا النظام ونشره ، بمقتضى مواد هذا النظام ، كما يسري مفعوله على كل ما يقع بعد ذلك من حوادث وإصابات في المشاريع الاستثمارية الحالية والمقبلة ، اهـ .

ويلاحظ عليها : أنه لا يجوز لأحد أن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله ، سواء هذا النظام أو غيره من النظم المستمدة من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

لأن هذه القوانين الوضعية من جملة الحكم الطاغوتي ، الذي نهى الله ورسوله عن التحاكم إليه ، وإنما الواجب التحاكم إلى ما أنزل الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] ، لا سيما وقد لوحظ على

هذا النظام مباينته للشريعة ، ومصادمته لها ، فكيف يسوغ لأحد أن يدعو الناس إلى التحاكم إليه ، ونبذ الأحكام الشرعية ، وهو يدعي الإسلام ؟! .

وقد سبق بيان بطلان هذه المواد ، التي تشير إليها هذه المادة ، وأنها لم تبن على أساس من الشرع ، ولا أساس من العقل الصحيح ، واعتماد هذا النظام في دماء المسلمين ، وأموالهم ، هو من الفساد في الأرض .

كما في قوله تعالى : ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف : ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ [البقرة : ١١، ١٢] .

٨٣ ـ جاء في المادة (٤٣) ما نصه : كل شرط يخالف أحكام هذا النظام يعتبر باطلاً ، ولا يعمل به ، ولو كان سابقاً على صدور هذا النظام ، اهـ .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا للمصيبة!! ويا للإسلام ، أتنسب العداوة هكذا علنا للقرآن ، والسنة ، ويضرب بأحكامها عرض الحائط بكل جراءة ووقاحة ؟!! .

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الأمور كما يشاء

أليس هذا مشاقة لله ورسوله ؟ ﴿ومن يشاقق الله

ورسوله فإن الله شديد العقاب) [الأنفال : ١٣] أليس هذا تضليلاً للأمة الإسلامية ، وحملاً لها على التحاكم إلى الطاغوت ؟ ألم يخشوا الوقوع في معنى قوله تعالى : (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) [النحل : ٢٥] .

ويلاحظ : على هذه المادة الشنيعة ملاحظات ؛ منها :

٨٤ ـ **أنها** جعلت أحكام هذا النظام فوق كل نظام ، حتى الأحكام الشرعية ، كما هو صريح المادة ، فنعوذ بالله من مخالفة شرعه ودينه (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة : ٥٠] ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء : ٦٥] .

٨٥ ـ **قوله** : كل شرط يخالف أحكام هذا النظام ، يعتبر باطلاً ؛ هذا رد صريح لقوله ﷺ : « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط » .

وهذا النظام يرد على الحديث ردّاً قبيحاً صريحاً ، لا يحتمل التأويل ، فيقول : كل ما يخالف هذا النظام ، فهو باطل ، ولو كان شرطاً صحيحاً جرى على وفق قول الرسول ﷺ : « المسلمون على شروطهم » كما لو اشترط أحد المتعاقدين على الآخر نفعاً معلوماً ، لم يذكر في هذا

النظام ، يكون باطلاً ، ما أجرأهم على الشريعة ، وعلى القول على الله بلا علم!! .

٨٦ ـ **إن هذه** المادة : أكدت بطلان ما سوى هذا النظام بستة تأكيدات .

أولاً قوله : كل شرط ؛ ومن المعلوم أن لفظ : « كل » يدل على العموم والشمول .

ثانياً : أنه أكد بالإشارة إليه ، بقوله : هذا النظام ، خوفاً من توهم غيره .

ثالثاً : توكيده بلفظة : باطل ؛ لأن التعبير بالبطلان ، من أعلى الألفاظ التي تدل على فساد العقود .

رابعاً : توكيده ، بقوله : لا يعمل به ، لأنها تأكيد لقوله : يعتبر باطلاً ، فإن هذه الجملة كافية في عدم اعتبار غيره ؛ خامساً : توكيده بقوله : ولو كان سابقاً عليه ؛ سادساً : تأكيده بالإتيان بالظاهر محل الضمير .

لأن قوله : على صدور هذا النظام ؛ يقوم مقامه ، لو قيل فيه : على صدوره ؛ وهو أليق بالقواعد العربية في مثل هذا ، إلا إذا قصد به التأكيد ، فأتى به هنا لهذا الغرض ، فلأي شيء يحتاط لهذا النظام كل هذا الاحتياط ، مع مصادمته بالشريعة ، فلو كانت هذه الاحتياطات في الأمر بالتمسك ، بالأحكام الشرعية ، لكان هو الألزم والأوجب ، كما هو المتعين فرضا .

٨٧ ـ **إن** هذه المادة تدل بجملتها، على أنها ناسخة للأحكام الشرعية ومبطلة لها؛ لأنها ألغت جميع ما تقدم على أحكام هذا النظام، ومن المعلوم: أن الشريعة الإسلامية قبله بقرون، فاعتبر أنه ناسخ لها.

فيا عجبا: يصبح هذا النظام المحتقر، المستمد من زبالة الأذهان، ونحاتة الأفكار، يحكم نفسه على الشريعة المطهرة الغراء، المنزلة من حكيم حميد، حكيم في أحكامه، عليم بما يصلح عباده، سار عليها المسلمون أربعة عشر قرنا في غاية من الطمأنينة، وحفظ الحقوق.

وكلما كمل تطبيقها كمل الأمن والراحة للبشر، وبحسب ما يهمل منها يحصل القلق والخلل، أضف إلى هذا كله: كونها أوضحت جميع ما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم.

قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى في ذم من ابتغى التحاكم إلى غيرها: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة: ٥٠].

وكل ما خالف القرآن والسنة، فهو حكم جاهلي، بعيد عن العدل والإنصاف، مبني على الجور، والميل عن طريق الصواب، وهو المعنى بقوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) [النساء : ٦٠] وكل ما خالف القرآن والسنة فهو حكم طاغوتي .

٨٨ ـ **جاء** في المادة (٤٤) ما نصه : يكون للموظفين الذين تنتدبهم وزارة المالية حق التفتيش ، عل محال العمال المختلفة ، والتحقق من اتباع هذا النظام ، وتنفيذه ، وإثبات ما يقع من مخالفات لأحكامه . . . إلخ .

وحيث أنه قد علم أن هذا النظام لم يبن على أساس من الشرع ، فلا يجوز العمل به ولا تنفيذه ، فضلاً عن المطالبة باتباعه وتنفيذ مواده ؛ فالواجب أن يتبع في جميع ذلك أحكام القرآن والسنة ، ويطرح ما سواهما من النظم والقوانين المخالفة لهما ، كهذا النظام .

٨٩ ـ **جاء** في المادة (٤٦)

ما نصه : يستحق العامل استراحة أسبوعية قدرها يوم واحد ، بأجرة كاملة بعد اشتغاله ستة أيام . . . إلخ .

ويلاحظ على هذه المادة : أن إلزام الآجر بدفع أجرة يوم واحد للعامل بدون عمل ، أن ذلك غير سائغ في الشرع ولا يجوز للعامل مطالبة المؤجر بذلك ، وهذا يعتبر في الحقيقة من أكل المال بالباطل ، والله يقول : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) [البقرة : ١٨٨] .

٩٠ ـ **جاء** في المادة (٤٧) إن للعامل أن يتمتع بإجازة

اعتبارية ، بأجرته الكاملة عن كل سنة عشرة أيام ، على أن يتعين مواعيدها ، بموافقة صاحب المشروع . . . إلخ .

ويلاحظ عليها : أن هذه الإجازة ليست لازمة على المؤجر ، إلا بشرط بينهما عند العقد ، مع بيان عدد أيامها ، وتعيينها من الشهر ، وأما بدون ذلك فهو غير لازم ، أما الإجازة المرضية ، فقد تقدم الكلام على حكمها في الملاحظة رقم ٣٩ على المادة (١٨) وبينا عدم لزومها للآجر .

٩١ ـ **جاء** في المادة (٥٧) ما نصه : الإصابات التي تعتبر إقعاداً جزئياً دائماً ، أو إقعاداً مؤقتاً ، أو إقعاداً كليّاً ، أو تشويه منظر في الجسم ، أو إخلالاً في الحواس ، أو ارتجاجاً فيها ، تجرى التعويضات عنها بمقتضى الجدول المربوط اهـ .

وقد سبق أن أوضحنا الملاحظات على ذلك الجدول ، وبيان بطلانه ، وأنه في معزل بعيد عن الصواب مخالف للكتاب والسنة ، ومخالف للعقل السليم ، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

ما صادق الحكم المحل ولا هو استوفى الشروط فصار ذا بطلان

٩٢ ـ **جاء** في المادة الأولى من المواد الملحقة بجدول التعويضات ما نصه : الشلل العام الدائمي ، والإصابة في

المخ التي ينتج عنها عته أو جنون ، لا تمكن معالجتها ، يعتبران في التعويض كالإقعاد الكلي ؛ ويلاحظ عليها ما يلي :

٩٣ ـ **التسوية** بين الشلل والعته والجنون ، مع الفارق الكبير بين هذه الثلاثة ، وهذا خطأ ، فإن الشرع جعل في ذهاب العقل كله الدية كاملة ، وفي ذهاب بعض العقل بالنسبة إلى ما ذهب منه بقدره .

وأما الشلل : فإن كان العضو المشلول ، قد تعطل نفعه كلياً ، ففيه ما في ذلك العضو لو قطع ، لأن بقاءه بدون فائدة ، كذهابه من حيث النفع ، وأما إن لم يتعطل ذلك العضو ، ولكن نقص نفعه ، ففيه حكومة ، وكذلك في العقل ، إذا لم يمكن معرفة مقدار ما ذهب منه .

والحكومة حيث جاءت في هذا الباب ، فالمراد منها : أن المجني عليه يقوم عبداً ؛ فيقوم سليماً من تلك الجناية ، ثم يقوم وهي به قد برئت ، فما نقص من قيمته سليماً فله مثل نسبته من ديته الشرعية .

٩٤ ـ **يلاحظ** عليها ما لوحظ على المادة (٢٥) منه ، وهو أن التفريق بين المصابين إذا كانوا رجالاً مسلمين أحراراً ، فهو تفريق باطل ، ما أنزل الله به من سلطان ، فالواجب المساواة في الدية الشرعية ، حسب ما نصت عليه النصوص الشرعية وأجمعت عليه الأمة .

٩٥ ـ **لم** يوافق الجدول المشار إليه الشرع ، بتقدير

الدية في أحد ، من المشلول ، والمعتوه ، والمجنون ؛ بل : إما زادت أو نقصت ؛ والحق : أنه لا يوضع تقدير للدية ، ولا لسائر الأعضاء والمنافع ، إلا من أحكام الشريعة الإسلامية ، التي أوضحت ذلك أتم إيضاح ، على وجه العدل والإنصاف .

فإن من له ذوق في الشريعة الكاملة ، في مصادرها ومواردها ، وله أدنى اطلاع على كمالها ، وعدلها وسعتها ومصلحتها ، علم يقيناً : أن الخلق لا صلاح لهم بدونها البتة ،؛ وعلم أيضاً بطلان هذا النظام الحقير ، من أوله إلى آخره .

٩٦ ـ **جاء** في المادة ثلاثة ، من الملحق بجدول الإصابات : إذا كان المصاب أعسر ، تعتبر تعويضات الإصابات التي تلحق بيده اليسرى كيمنى غيره ، وبالعكس ، اهـ .

وبناء على ما علم من الشريعة الإسلامية : أنه لا فرق بين دية اليمنى واليسرى ، من الأعسر وغيره ، فيعتبر هذا التفريق مخالف لها ، ولا يجوز العمل بموجبه ، وقد سبق بيان بطلان ذلك ، في الملاحظة رقم ٥٧، على جدول الإصابات .

٩٧ ـ **جاء** في المادة (٤) من الملحق ، ما نصه : فقدان بعض السلامى يعتبر كفقدان السلامى كلها ، وفقدان

السلامى الثلاثة من أصبع من أصابع اليد عند انفرادها ، يعوض بالفرق الواقع بين السلامتين والأصبع كاملاً ، اهـ ؛ ويلاحظ عليه ما يلي :

٩٨ ـ **أنها** مخالفة لما قرره علماء الشريعة ، وكون فقدان بعض السلامى ، كفقدانها كلها خطأ ؛ بل الواجب في بعض السلامى ، يكون بقدر نسبة ذلك البعض ، من دية تلك السلامى كاملة .

٩٩ ـ **أنه** لا فرق بين دية السلامى الثلاثة ، فإن الواجب في كل واحدة منها ، ثلث عشر الدية ، ما عدا الإبهام ، ففيها نصف عشر الدية ، لكونها لا تحتوي على أكثر من سلامتين ، وقد مر في الملاحظة رقم ٥٢ بيان خطأ ما قرر نحو الأصابع وغيرها مما هو مخالف للشريعة .

١٠٠ ـ **نصت** المادة الخامسة من الملحق : أن الإصابة التي لم يرد ذكرها في جدول التعويضات من تشويه ، أو اختلال ، أو تغير في الوضع الطبيعي ، لأي عضو ، أو لأي جزء من الجسم أو الحواس ، إذا كانت تتصل بعضو من الأعضاء ، التي ذكرت في الجدول ، يقدر تعويضها منسوباً إلى تعويض كامل ذلك العضو ، بنسبة مئوية ، وإذا كانت لا تتصل بأي عضو منها ، يقدر تعويضها من قبل لجنة . . . إلخ ، ويلاحظ على هذه المادة ما يلي :

١٠١ ـ **أن** المنصوص عليه في الجدول المشار إليه ،

لم يسلك فيه مسلك العدل ، الذي جاءت به الشريعة الكاملة ، بل هو مشاقة لله ولرسوله ﷺ ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، فالواجب على المسلمين نبذه ، وعدم الالتفات إليه .

١٠٢ ـ **أن النسبة** المئوية غير معتبرة ، في كل ما ذكر ، بل فيه تفصيل ، فمنها ما هو مقدر استحقاقه شرعاً ، ومنها ما هو مقدر فيه النسبة المئوية ، وهي الجناية إذا كانت بالحواس ، أو المنافع إذا لم تذهب كلها ، بل ذهب جزء معلوم المقدار ، ومنها ما فيه حكومة ، وقد سبق بيانها .

١٠٣ ـ **إن** الذي يحتاج إلى لجنة ، هو الذي يكون فيه حكومة ، لأجل التقدير السابق بيانه ، لكن لا يشترط في أعضاء اللجنة ما ذكر في هذه المادة ، بل تبعثهم المحكمة الشرعية للتأكد من معرفتهم بالشيء المطلوب ، ثم المحكمة بدورها تحكم بذلك ، وتلزم به ، وليس لأحد حق الاعتراض ، إذا توفرت شروط الحكم ، وانتفت موانعه ، وكان جارياً على الأصول الفقهية ، المستمدة من الشريعة الإسلامية .

١٠٤ ـ **جاء** في ملحق نظام العمل والعمال ، ما نصه : صدر الأمر السامي الكريم ، رقم ٧٢١٨ وتأريخ ١/ ١١/ ٦٧هـ باعتماد قرار مجلس الشورى الآتي ، رقم ٢١٢ وتأريخ ٢٩/ ٨/ ٦٧هـ كتشريع قانوني ، يلحق بنظام العمل والعمال .

وقد جاء فيه : أن يقصد بجملة « أثناء العمل » الواردة في نظام العمل والعمال ، من الناحية القضائية ، استحقاق الموظف العامل لعمل من الأعمال المنوطة به ، لكافة الحقوق الممنوحة بموجب نظام العمل والعمال ، مقابل الواجبات المطلوب منه أداؤها ، سواء كان ذلك في مقر عمله الرسمي ، أو في طريقه إلى عمله الرسمي .

وكل إصابة يتعرض لها موظف خلال ذلك ، وضمن نطاق الأراضي والتشكيلات ، التي تتمتع الشركة بامتيازها ، يعوض عنه بمقتضى نظام التعويض . . . إلخ ؛ ويلاحظ على هذا الملحق ملاحظات :

١٠٥ ـ منها : أن هذا النظام لما كان غير متمشياً فيه مع الشرع ، بل هو ضد للشريعة ، كان مفتقراً في كل حين وآخر إلى زيادة ، وتصحيح ، وملاحظات ، وتصويب أخطاء ، وإيضاح مجهول ، وتعديل متناقض ، وإكمال ناقص ، فهذا مما يبين ضعفه وفساده ، وأنه دائماً ناقص متناقض ، مما يؤدي إلى اشمئزاز نفس كل من رآه أو سمعه .

١٠٦ ـ أن ما ذكر في هذا الملحق مخالف للشريعة ، وتلك الإلتزامات المذكورة غير لازمة للمؤجر ، لأنها مبنية على الجهالة والغرر ، وعلى الظلم والجور ، مع أنه لم يحصل عليها الاتفاق من جانب المؤجر ، والمستأجر ، فصار فيها جملة محاذير ؛ مخالفتها للشريعة ، والجهل ، والغرر ،

وعدم الاتفاق عليها وقت العقد ، وقد سبق الكلام على مثل ذلك .

١٠٧ ـ **أنه** صدر الأمر باعتماد هذا الملحق ، كتشريع قانوني ، سبحان الله ، ياللأسف يا للمصيبة ، هل هناك مشرع غير الله ؟! أيجترئ مجترئ فيحاد الله في أمره وشرعه ، ويقر على هذا الفعل ؟! أنحن في حاجة إلى تشريع أحد ؟ والله تعالى يقول : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك) الآية . [الشورى : ١٣] .

أنحن في حاجة إلى تشريع أحد ، وكتاب الله بين أيدينا وسنة رسوله ﷺ بين أظهرنا ؟! هل الشريعة قاصرة على حل مشاكلنا ؟! كلا والله ثم كلا ، إنها والله الكاملة الوافية ، التي لم تدع شيئاً مما يحتاج إليه البشر في ماضي الزمان وحاضره ومستقبله ، إلا أتت به على الوجه الأكمل وأوضحه وأعدله ؛ أليس قد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا نعمه ، ورضي لنا الإسلام دينا ؟ كما قال عز وجل : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة : ٣] .

أيكفي أن نتسمى بالإسلام بدون أن نطبق أحكامه علينا ؟! ، لا والله لا يكفي حتى نتمسك به عقيدة وعملاً واتباعاً لأحكامه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) ، [النساء : ٦٥] .

هل هناك مشكلة من مشاكل الحياة ، لم تحلها الشريعة

وتوضحها غاية الإيضاح ؟ ، ألم نصدق بقوله تعالى : (ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل : ٨٩] ، ألم يؤكد لنا ﷺ هذا بقوله : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » .

ويا عجبا : أترمى شريعتنا بالتقصير في حل مشاكلنا ، ونمد يد الفقر والحاجة إلى أعدائنا ، ليعلمونا حل مشاكلنا ؟! ، أيشهد أعداؤنا بكمال الشريعة ونضوجها ، وصلاحها لكل زمان ومكان ، ونكذبهم بأفعالنا ؟! .

أليس من الواجب علينا أن ننشر محاسنها لمن لا يعلمها ، ونبلغها إليهم بكل ممكن ؟ ما بالنا عكسنا هذه القضية ، وأصبحنا نبث مساوياً لها لا تعرفها الشريعة ؟ التي هي في غاية البعد عنها ، ونقف دون تعلم الناس لها ، بتقليدنا لهم ، واتباعنا سواها ؟! .

أيعدل عن الشريعة الكاملة العدل ، إلى نظم في غاية من التناقض والظلم والجور ؟ يشهد بعضها على بعض ، بعدم ملاءمتها ، ووضوح تناقضها ؟! ولس بأدل على ذلك من كونها في كل زمن يطرأ عليها التعديل والتبديل ، والملحقات ، كما في هذا الملحق .

وكل حاكم يتجدد يجدد نظماً وقوانين لم تكن لمن قبله ؛ صدق الله العظيم (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [النساء : ٨٢] .

لو سبرت أحوال العالم لوجدت أقرّ الناس عيشاً ، وأنعمهم بالاً ، وأوفرهم طمأنينة ، وأعظمهم استقراراً ، وأكملهم راحة ، من تمسك بها ؛ وبحسب تمسك هذه الدولة بالدين يحصل لها ولشعبها الأمن والطمأنينة والاستقرار ، والراحة .

ولذا : نرى سائر البلاد ، تكثر فيها السرقة ، والقتل ، وهتك الأعراض ، وضيق العيش على الأكثر منهم ، ونرى - ولله الحمد - في هذه البلاد السعودية ، لم يحصل فيها ما حصل في غيرها ، وما ذاك إلا بسبب ما تمسكوا به ، من هذه الشريعة ، وإنا نخشى أن يتسرب إليها ما تسرب إلى غيرها ، من هذه النظم المخالفة لما شرعه الله في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ .

وإنا نبتهل إلى الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا : أن يوفق حكومتنا الرشيدة إلى ما فيه صلاحها ، وصلاح دينها ، وأمرها ، ومجتمعها ، وشعبها عموماً ، وأن يجعلنا وإياهم من المتمسكين بدينه ، عند فساد الزمان ، وتغير الأحوال ، لتنال بذلك الأجر الوافر ، وتتصف بوصف عباده الذين وصفهم الله بقوله : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) [الحج : ٤١] .

وأن يهدنا الصراط المستقيم ، صراط (الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ، [النساء : ٦٩] .

إلى آخر ما دعا به وأمّل من الحكومة الرشيدة ، بأن تكون حصناً منيعاً لحفظ هذه الشريعة الحكيمة ، وأن تذود عنها بالسيف والسنان ، وكل ما أوتيته من حول وقوة ، وغير ذلك مما سأل ربه أن يحققه ، وأثنى به عليه ، وصلّى على خاتم النبيين ، كعادته رحمه الله في ختام رسائله ، مع ذكر اسمه وتأريخ التحرير .

فجزاه اللّه أحسن الجزاء ، ونفع بعلمه النافع ، وعمله الصالح ؛ فالقضية إذا وقعت وبيّنت بياناً شافياً ، تنفع في نظائرها وأشباهها ، ولعل هذا من أهم أسباب وضعها هنا ، لمسيس الحاجة إليها ، وكشف حقائق أشباهها ، وما تبقى منها، مما هو قائم وموجود الآن .

ولكي يعرف موقف العلماء والمسؤولين إزاءها وقت وقوعها ، وكيف يعالجونها ، ولما يحصل من براءة ودفاع عنهم وعن غيرهم ، وغير ذلك مما يتعطش إليه المسترشد ، ويطمئن به البصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

آخر القسم الثاني من البيان الواضح وأنبل النصائح ؛ ويليه : تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة

ترجمة إمام الدعوة قدس الله روحه

هو الإمام العالم العامل ، الحبر العلم ، إمام الأئمة ، مفتي الأمة ، محي السنة ، قامع البدعة ، المجتهد الحافظ ؛ الثقة النبيل ؛ الأصولي المحدث الجليل ، مجدد الدعوة الإسلامية ، والملة الحنيفية ، العالم الرباني والصديق الثاني ؛ بدر العلوم ، وحيد الزمان ، شرف الإسلام وفريده ، علماً وعملاً ، ومعرفة وشجاعة ، وذكاء ، وتنويراً إلهياً ، وكرماً ونصحاً للأمة .

أشرقت شمس فضائله في الأقطار ، وعلت مكارمه على كل منار ، أجمع أئمة الدين في زمانه ، وبعد زمانه ، على تقدمه في شأنه ؛ ونبله وعلو مقامه ، ومكانه ؛ خاتمة المجتهدين ، وبقية أكابر السلف الماضين .

أصدق الناس وأصحهم علماً وعزماً ، وأنفذهم وأعلاهم ، في الانتصار للحق والقيام به ؛ وأكملهم اتباعاً لسنة النبي ﷺ ، سيف الله على المبتدعين والمرتدين ، وكاشف عورات المشبهين المضلين ، مشيد أعلام الملة والدين .

أبو علي ، شيخ الإسلام ، قدوة الأنام الشيخ : محمد بن عبد الوهاب بن الشيخ العالم مفتي نجد سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

ولد رحمه الله تعالى ، سنة ١١١٥ من الهجرة ، في بلد العيينة من أرض نجد ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن بها قبل بلوغه العشر ؛ وكان حاد الفهم ، سريع الإدراك ، يتعجب أهله من فطنته وذكائه ؛ ثم اشتغل بالعلم وجد في الطلب ، وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في المجلس .

وبعد بلوغه سن الاحتلام ، قدمه والده إماماً في الصلاة ؛ ثم حج فقضى فريضة الإسلام ؛ ثم قصد المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وأقام بها شهرين ؛ ثم رجع إلى وطنه واشتغل بالقراءة على مذهب الإمام أحمد رحمه الله .

ثم رحل لطلب العلم ، وزاحم العلماء الكبار ؛ ورحل إلى البصرة والحجاز مراراً ، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشائخ الأحبار ؛ وأتى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة

بالمشائخ والعلماء ، فسمع وناظر ، وبحث واستفاد ، وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والإمداد .

أخذ العلم عن عدة مشائخ أجلاء ، وعلماء فضلاء ؛ ففي نجد عن أبيه وغيره ، وفي المدينة : عن الشيخ العالم محمد حياة السندي المدني ، وعن الشيخ إسماعيل العجلوني ، وغيرهما ؛ وأخذ عن الشيخ علي أفندي الداغستاني وغيره ، وأجازه محدثوا العصر بكتب الحديث وغيرها .

وأخذ أيضاً العلم ، وروى عن جماعة ، منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ثم المدني ، وأجازه من طريقين ، وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالأولية ، كتب السماع بالسند المتصل ، إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »

وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده إلى أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله » قالوا كيف يستعمله ، قال : « يوفقه لعمل صالح قبل موته » وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله تعالى[1] .

---

(١) وقد شرحها السفاريني وهي مطبوعة.

وقد سمع رحمه الله تعالى : الحديث والفقه ، من جماعة بالبصرة كثيرين ، وطالت إقامته بها ؛ وقرأ بها كثيراً من كتب الحديث والفقه والعربية ، وكتب من الحديث والفقه واللغة ، ما شاء الله في تلك الأوقات .

بلغ في العلوم العقلية والنقلية مبلغاً صار بذلك أعجوبة العالم ، وكان يدعو إلى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ، ويستدل عليه بالكتاب والسنة ؛ ويقول : الدعوة كلها لله ، لا يجوز صرف شيء منها لسواه .

وربما ذكروا بمجلسه إشارات الطواغيت ، أو شيئاً من كرامات الصالحين ، الذين كانوا يدعونهم ، ويستغيثون بهم ، ويلجؤون إليهم في الملمات ؛ فينهى عن ذلك ويزجر ، ويورد الأدلة ويحذر ، ويخبر أن محبة الأولياء والصالحين ، إنما هي متابعتهم فيما كانوا عليه ، من الهدى والدين القويم .

ثم خرج منها إلى نجد قاصداً الحج ، فحج ، وقد تبين له بما فتح الله عليه ، ضلال من ضل في كل قطر وناحية ، فلما قضى الحج وقف بالملتزم ، وسأل الله عز وجل أن يظهر هذا الدين بدعوته ، وأن يرزقه القبول من الناس .

فخرج قاصداً المدينة ، وحضر عند العلماء إذ ذاك ، منهم حياة السندي وغيره ، وكتب الهدي والبخاري ، وحضر

في فنون العلم ؛ ثم ارتحل يريد الشام ، فحصل له عائق لما اقتضته الحكمة الربانية ، من ظهور هذا الدين في البلاد النجدية .

فقصد نجداً ووجد والده قد ارتحل إلى بلدة حريملاء ، فاستقر معه فيها ، يدعو إلى السنة المحمدية ، حتى رفع الله شأنه ، ورفع ذكره ، ووضع له القبول ، وشهد له بالفضل ذووه ، من أهل المعقول والمنقول .

ثم ارتحل منها إلى بلد العيينة ، وساعده أميرها عثمان بن معمر ؛ وأمر الشيخ بهدم القباب والمساجد ، المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة ، رضي الله عنهم ، وقطع الأشجار التي تنتابها الخلق في كل ساعة .

فبادر عثمان وخرج الشيخ معه وجماعتهم ، فهدموا تلك المساجد المبنية عليها ، وأزالوا تلك المشاهد المصروفة العبادة إليها ؛ ومحق ما في العارض من المعبودات ، الأشجار وغيرها ، فلم يبق وثن في تلك البلدان ، فشاع ذلك واستبان .

فاستنكرته قلوب أهل الطغيان ، وعجّوا مطبقين بأنه ساحر كذاب ، وحكموا بكفره ومن معه من الأصحاب ، وجدوا في التحريش عليه ، وأرسلوا بذلك إلى الحرمين الشريفين ، والبصرة وغيرها .

ولم يزل رحمه الله مقيماً في بلد العيينة ، يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس دينهم ، ويقيم الحدود ، حتى أمر برجم زانية فرجمت ، فكثر القيل والقال من أهل البدع والضلال .

فشكوا إلى شيخهم رئيس بني خالد ، فكتب إلى عثمان يأمره بقتله أو إجلائه ، فأمر بإجلائه ولم يكن له إلى قتله من سبيل ، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية ، والعناية الصمدانية ، من إحياء دارس السنة المحمدية ، والآثار السلفية .

فخرج الشيخ وهاجر إلى بلد الدرعية ؛ فنزل إلى عبد الله بن سويلم ، ثم انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم ؛ فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود ، أسكنه الله دار الخلود ، قام مسرعاً إليه ، فأتاه فسلم عليه ، وبادره بالقبول والتقبيل ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل .

وأخبره أنه يمنعه مما يمنع منه أولاده ، من جميع من عاداه وكاده ، إلا أنه طلب من الشيخ العهد والميثاق ، أن لا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق ، وهذا من عناية الله بهذا الرجل وتوفيقه ، و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [الجمعة : ٤] .

فأعطاه الشيخ عقد المرام ، وأقام عنده في تلك البلاد ، يدعو الناس إلى ما خلقوا له ، في وقت طرق الإسلام قد عفت آثارها ، وخبت أنوارها ، ووهت أركانها ،

وجهل مكانها ، فشيد من معالمها ما عفا من كلمة التوحيد ، وأوضح سبيل الهداية لمن أراد أن يسلكها ، وأظهر كنوز السعادة لمن قصد أن يملكها .

وقام معه على ذلك إخوانه ، ووزراؤه ، وأعوانه ، وأنصاره ، من أهل الدرعية ، فجردوا للدعوة أمضى سنان ، وأرخوا في ذلك العنان ، فصار الشيخ يدعو إلى التوحيد ، ويقمع كل شيطان مريد ، ويناظر أهل الشرك والعناد ، وينكر على أهل البغي والفساد ، نصره الله بالحجة واللسان ، والسيف والسنان .

أمر بالجهاد هو والإمام محمد بن سعود ، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد ، وعدوا للجهاد ما استطاعوا من الاعتاد .

وكان الشيخ هو الذي يجهز الجيوش ، ويبعث السرايا على يد الإمام ، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه ، والوفود إليهما ، والضيوف عنده ، وصدور الأوامر من عنده ؛ حتى أذعن أهل نجد ، وتتابعوا على العمل بالحق ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فعمرت نجد بعد خرابها ، وصلحت بعد فسادها ، واجتمعت بعد افتراقها ، وحقنت الدماء ، ونال الفضل والفخر والملك من نصره وآواه ، وملك الحرمين الشريفين واليمن وعمان ، وما دونه وما وراءه .

وفيه مشابهة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤساء والأحبار ، في ابتداء دعوته ، فإنه رحمه الله لما أظهر الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، استصرخوا بأهل الحرمين ، والنجرانيين ، وبني خالد وغيرهم عليه ، وألبت تلك الطوائف .

فثبته الله ومن آواه ونصره ، على قلة منهم وضعف ، وصبروا على مخالفة الناس ، وتحملوا عداوة كل من عادى هذا الدين .

بل أشبه أمر الشيخ ما جرى لخاتم النبيين ، حتى في مهاجره وأنصاره ، وكثرة من عاداه وناوأه في حال الابتداء ، كما هو حال الحق في المبادئ ، يرده الكثيرون وينكرونه ، ويقبله القليل وينصرونه ، ثم تكون الغلبة له .

فرحمه الله من إمام همام ، وحبر شهم ضرغام ، عمم الله ببركة علمه الأنام ؛ قام بهذا الدين الحنيف ، ولم يكن في البلاد إلا اسمه ، وانتشر في الآفاق ، وكل امرئ نال منه حظه وقسمه ، وانتفع بعلمه .

حتى أهل الآفاق يرسل إليهم ويدعوهم ، ويسألون عما يأمر به وينهى عنه ، فيقال لهم يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك ، فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق ، وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد ، التي بنيت على القبور وغيرها ، في أقاصي الجزيرة ، من الحرمين ، واليمن وتهامة ، وعمان وغير ذلك .

وبالجملة : فمحاسنه وفضائله أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ومن طالع مصنفاته ، واستقرأ سيرته ومؤلفاته ، عرف أنه من أغزر الناس علماً ، وأجدهم فهماً ، وأنفذهم عزماً وأشجعهم ، بل هو من أكابر السلف .

وهذه كتبه وفتاواه ورسائل دعوته تشهد بذلك ، وهو المرجع في وقته في سائر العلوم والفتاوى ، وما كان يخطر بالبال ، ولا يدور في الخيال ، أن رجلاً فذاً يدرك هذا المركز بعينه ، حتى صار هو بين العالم فذا ، فحق له أن يتمثل :

أيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

فلقد كان رحمه الله من الفضل آية وحده ، وفردا حتى نزل لحده ، بل أمة قدوة ، أخمل من القرناء كل عظيم ، وأخمد من البدع كل حديث وقديم ، هو البحر من أي النواحي جئته ، والبدر من أي الضواحي رأيته .

ولعمري هو شيخ الإسلام ، قدوة الأنام ، حسنة الأيام ، افتخرت به نجد على سائر الأمصار ، بل زها به عصره على سائر متقدمي الأزمان والأعصار ، لما جمع الله له من المناقب والفضائل ، التي أوجبت للأواخر ، الافتخار على الأوائل .

قام مقام نبي ، ودعا وملأ اسمه الدنيا شرقاً وغرباً

شمالاً وجنوباً ، وجمع بين خلتي العلم والحسب والنسب ، والعقل والفضل ، والخلق والخلق ، مع سلامة الصدر واللطف والرفق ، وحسن النية وطيب الطوية ، لم ير في عصره من يستجلى النبوة المحمدية ؛ وسننها وأقوالها وأفعالها إلا هو .

اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه ، والقلوب على محبته والميل إليه ، شهرته تغني عن الإطناب في ذكره ، شمس فضائله شارقة في الأقطار ، ومحاسنه علت على كل علم ومنار .

أمده الله بكثرة الكتب ، وسرعة الحفظ ، وقوة الإدراك ، وعدم النسيان ؛ سمع الحديث وأكثر في طلبه ، وكتب ، ونظر في الرجال والطبقات ، وحصّل ما لم يحصِّل غيره .

برع في تفسير القرآن ، وغاص في دقائق معانيه واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها ، وبرع في الحديث وحفظه ، فقل من يحفظ مثله ، مع سرعة استحضاره له ، وقت إقامة الدليل .

وفاق الناس في معرفة الفقه ، واختلاف المذاهب ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب ، بل بما يقوم دليله عنده ؛ تمسك بأصول الكتاب ، والسنة ، وتأيد بإجماع سلف الأمة ، وكان من بيت علم في

آبائه وأجداده ، واتصل في بنيه وبنيهم ، ولا يزال إلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى .

نصر السنة المحضة ، والطريقة السلفية بأوضح حجج وأبين براهين ، احتج بمقدمات وأمور وبراهين لم يسبق إليها ، فظهرت السنة بعد أن سفت عليها السوافي ؛ أعلى الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه .

هدى به أمما من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له ، فظهرت هذه الدعوة ؛ وبلغت مشارق الأرض ومغاربها ، وانتشرت فلم يبق أهل وبر ومدر إلا عرفوها وأقروا بها .

ودخل أكثرهم فيها ، وعرفوا صحتها ، وأنها ما كان عليه سيد المرسلين ﷺ ، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فقد انتشرت فضائله واشتهرت ، وشاعت دعوته لله وظهرت .

وذكر الشيخ : حسين بن غنام وغيره ، عن أكابر أهل عصرهم : أنهم شهدوا له بالعلم والدين ؛ وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين ، وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين ، والهند وغيرهم ، تواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه والثناء عليه ، والشهادة له أنه جدد هذا الدين ، كما قال محمد بن علي الشوكاني قاضي صنعاء .

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل
فما هو إلا قائم في زمانه ... مقام نبي في إماتة باطل

وأثنى عليه في مرثية له ، وتأتي :

وقال الأمير الشهير محمد بن إسماعيل الصنعاني :

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح أن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدا وأهله ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

* * *

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدرا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

إلى أن قال :

لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

ثم قال :

وليس لـه ذنـب سـوى أنـه غـدا　　يتابع قول الله في الحل والعقد
ويـتـبـع أقـوال الـنـبـي محـمـد　　وهل غيره بالله في الشرعي من يهدي

وقال العالم الرباني ، الشيخ محمد بن سرور الهمداني ، بعد ثنائه ، على الصنعاني في معارضته البولاقي .

وما قال إلا الصدق والحق ناطق　　بمدح إمام قام بالخير والرشد
وأحيا من التوحيد ما كان دارسا　　بسمر العوالي والقواضب والجرد
جزاه إلٰه العرش خير جزائه　　وبوأه الرضوان في جنة الخلد
لـه نسب زاك إلى خير أسرة　　ذوائب عدنان ذوي العقل والمجد
سلالة إسماعيل ذاك الذبيح يا　　خبيث السجايا واحد البكم والبلد

وقال الشيخ العالم الجليل : عبد القادر بن أحمد بن مصطفى ، المعروف بابن بدران ، الدمشقي .

هو العالم الأثري ، والإمام الكبير ، محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، يتصل نسبه بزيد مناة بن تميم ، رحل إلى البصرة والحجاز لطلب العلم ، وأخذ عن الشيخ على أفندي الداغستاني ، وعن المحدث الشيخ إسماعيل العجلوني ، وغيرهما من العلماء . وأجازه محدثوا العصر بكتب الحديث وغيرها .

ولما أمتلأ وطابه من الآثار ، وعلم السنة ، وبرع في مذهب أحمد ، أخذ ينصر الحق ، ويحارب البدع ، ويقاوم

ما أدخل الجاهلون في هذا الدين الحنيفي ، والشريعة السمحاء ، ولم يزل مثابراً على الدعوة حتى توفاه الله تعالى سنة ١٢٠٦هـ .

وقال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي في سنة ١٢١٧ : ترادفت الأخبار بأمر ابن عبد الوهاب « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ، ودخل في عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعاته في أقاليم الأرض ، ويزعم أنه يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ويأمر بترك البدع التي ارتكبها الناس ، ومشوا عليها إلى غير ذلك .

قال : وأرسل إلى شيخ الركب المغربي كتاباً ، ومعه أوراق تتضمن دعوته ، وعقيدته ؛ وصورتها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله . . . إلخ[١] ثم قال : إن كان كذلك ، فهذا ما ندين الله به نحن أيضاً ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين والمتعصبين .

فانظر ما اعترف به هذا المؤرخ المشهور .

وقال صاحب : الفكر السامي ، في تاريخ الفقه الإسلامي ، في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى :

---

(١) تقدمت في كتاب العقائد.

ربي بحجر والده ، ثم انتقل للبصرة لإتمام دروسه فبرع في علوم الدّين واللسان ، وفاق الأقران ، واشتهر هناك بالتقوى ، وصدق التدين ، عقيدته السنة الخالصة ، على مذهب السلف المتمسكين بمحض القرآن والسنة ، لا يخوض التأويل والفلسفة ، ولا يدخلها في عقيدته .

وفي الفروع مذهبه حنبلي ، غير جامد على تقليد الإمام أحمد ولا من دونه ، بل إذا وجد دليلاً أخذ به ، وترك أقوال المذهب ، فهو مستقل الفكر في العقيدة والفروع معاً ، وكان قوي الحال ، ذا نفوذ شخصي ، وتأثير نفسي ، إلى أن قال :

فأصبح ابن عبد الوهاب ذا شهرة ، طبقت العالم الإسلامي وغيره ، معدوداً من الزعماء المؤسسين للمذاهب الكبرى .

وقال في : « حاضر العالم الإسلام » طلب العلم ، وتشرب مبادئ الإمام الحافظ ، حجة الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وابن عروة وغيرهم ، من فحول أئمة الحنابلة ، وهناك أيضاً ازداد ريا من مواد المذهب الحنبلي ، وأخذ يفكر في إعادة الإسلام إلى نقاوته الأولى : عقيدة الصحابة والتابعين .

فلذلك الوهابية ، يسمون مذهبهم : عقيدة السلف ، ومن هناك أنكر الاعتقاد بالأولياء ، وزيارة القبور ،

والاستغاثة بغير الله ، وغير ذلك مما جعله من باب الشرك ، واستشهد على صحة آرائه ، بالآيات القرآنية ؛ والأحاديث المصطفوية .

وكذلك اعترف أعداؤه من معاصريه ، والحق ما شهدت به الأعداء ؛ ولو وجدوا سبيلاً إلى الطعن لم يبقوا ممكننا ؛ بل شهد له سائر الكل بأنه المصلح الأكبر .

وقال الشيخ : ملا عمران بن علي ، نزيل لنجة ، في أثناء رد له ، نصراً ، للحق ، وللشيخ محمد ، رحمه الله تعالى :

فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنـ   صح المبين وبالكلام الجيد

يدعو همو لله أن لا يعبدوا   إلا المهيمن ذا الجلال السرمدي

لا يشركوا ملكاً ولا من مرسل   كلا ولا من صالح أوسيد

إلى أن قال :

فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من   أهل الزمان اشتد غير مقلد

بادا همو يا قوم كيف جعلتمو   لله أنداداً بغير تعدد

إلى أن قال :

لو أنصفوا لرأوا له فضلاً على   إظهار ما قد ضيعوه من اليد

ودعوا له بالخير بعد مماته   ليكافئوه على وفاق المرشد

إلى أن قال :

عجباً لهم لو كان فيهم منصف   لرأي المحب محمد المحمد

من حيث إن الاتباع مقارن ... للحب في نص الكتاب الأمجد
قالوا صبأتم نحوه قلنا لهم ... الحق شمس للبصير المهتدي
ما بيننا نسب نميل إليه أو ... حسب يقربنا له بتودد
أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي ... نمتار نعمته ولم نسترفدي
لكنها شمس الظهيرة قد بدت ... لذوي البصيرة فاهتدى من يهتدي

* * *

فالعالمون العاملون المنصفو ... ن له أقروا بالفضائل واليد
لكن قليل منهمو في عصرنا ... كالشعرة البيضا بجلد أسود
والله قد ذم الكثير وقال في ... حق القليل مقالة لم تجحد
فإن اعتراكم في الذي قد قاله ... شك وريب واختلاف يبتدي
فزنوا بميزان الشريعة قوله ... تجدوها حقاً ظاهراً للمقتدى

وقال الشيخ العلامة : أحمد بن محمد الحفظي في أرجوزة له :

حركني لنظمها الخبر الذي ... قد جاءنا في آخر العصر القذي
لما دعى الداعي من المشارق ... بأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجدداً ... من أرض نجد عالماً مجتهدا
شيخ الهدى محمد المحمدي ... الحنبلي الأثري الأحمد
فقام والشرك الصريح قد سرى ... بين الورى وقد طغى واعتكرا
دعا إلى الله وبالتهليلة ... يصرخ بين أظهر القبيلة
ولم يزل يدعو إلى دين النبي ... ليس إلى نفس دعا أو مذهب

يعلم الناس معاني اشهدوا أن لا إله غير فرد يعبد
محمد نبيه وعبده رسوله إليكم وقصده
أن تعبدوه وحده ولا تشركوا شيئاً به والابتداع فاتركوا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى ، داعيا ملوك اليمن وعلماءهم ، أن يدخلوا في دعوة الشيخ :

واستشهد الأيام وانظر شأنها وارمق عواقب حالها المتحول
والحق أولى أن يجاب وإنما لم أدر ما حيلولة المتحيل
إن كان ظنا أن ذاك مخالف فهو البرئ من الخلاف المبطل
بل قام يدعو الناس للتوحيد والتـ جريد والتفريد للرب العلي
ويذب عن شرع النبي محمد ويذم من يدعو النبي أو الولي
ولقد أضاء فكم أزال شنائعا وبدائعا وصنائعا لم تقبل
أو كان ظنا أن فيه غلاظة وفظاظة وشكاية لم تجمل
فأقول حاشا إن فيه ليونة وهيونة للمقبل المستقبل
لا يطلب الأموال من خزانها أو يقتل الأبطال إن لم تبطل
أو ينزع الملك المولى أوله غرض بمذهب آخر عن أول
بل قصده التوحيد في أفعالنا ثم اتباعاً للنبي المرسل
هذان ليس سواهما قصده فعلام ينفر كل ندب أفضل
والواجب الشرعي إجابة من دعا لهما ولوا عبدا فكيف بمن ولي

وقال :

شهدت عدول شواهد الأفضال ومقدمات نتائج الأشكال

أن المعـالي والـعـوالي والـعـلا　　في العلم بالله العلي المتعالي

ثم ذكر ما الناس فيه من الشرك ، وقال :

حتى أتانا من مشارق أرضنا　　نبأ عظيم أمره متوالي

داع بأعلى الصوت يدعو النـ　　ـاس بالتوحيد والإفراد بالأعمال

ويحث في صرف العبادة كلها　　لله ليس الشرك في مثقال

أعني بذاك إمامنا شيخ الهدى　　ومجدد العصر الأخير التالي

بحر العلوم أبا حسين محمدا　　كافاه ربي بالجزاء العالي

وقال :

وبرهن بالوحيين حتى تلألأت　　مناهج دعواه وصحت لداعيها

إمام الهدى أعني محمدا الفتى　　وعبد العزيز القائم العدل محييها

فحياهما من جهبذين تناصرا　　بأقلام حق والسيوف تحاذيها

وقال عالم الأحساء ، حسان وقته ، الشيخ : أحمد بن علي بن مشرف ، بعد ثنائه على أنصار السنة العلماء :

منهم بنجد عالم ومجدد　　للدين ذو علم وذو إقدام

نصر الهدى ونفى الردى ، ورمى العدا　　بثواقب من علمه وسهام

وحمى حمى التوحيد من شبه العدى　　وضلالهم أكرم به من حام

وأدلة التوحيد ألف شملها　　فأزاح ليل الشرك والأوهام

ومشاهد الإشراك هد بناءها　　بدليل وحي قاطع وحسام

فأتاهم بالنور من صبح الهدى　　فجلا به قطعا من الاظلام

فجزاه رب العرش خير جزائه　　وحباه بالإحسان والانعام

وقال :

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين أزاحها ... بكل دليل كاشف للتردد

وقال **الشيخ** حسين بن غنام الأحسائي ، رحمه الله :

لقد غاص بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلو الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة ... أزيل بها عنه حجاب وبرقع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه ... وأهوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها ... ومصباحه عال ورياه ضيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميذع
وشمر في منهاج سنة أحمد ... يشيد ويحمي ما تعفى ويرقع
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه ... ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
وناظر بالآيات والسنة التي ... أمرنا إليها في التنازع نرجع

وقال **عبد الجليل** البصري :

جزى الله رب العرش بالصفح والرضا ... وبالخير من قد كان أصدق قائم
بنصرة دين المصطفى وظهيره ... هو الحبر ذو الأفضال حاوي المكارم
هو الورع الأواه شيخي محمد ... هو القانت السجاد في جنح فاحم

لقد قام يدعو للمهيمن وحده ... فريد طريد ماله من مسالم
وجاهد للرحمن حق جهاده ... وفي الله لم تأخذه لومة لائم
همام بدا والناس إلا أقلهم ... على محض شرك في العبادة لاجم

إلى أن قال :

ولم تلق عن بادى المناكر ناهيا ... ولا آمرا بالعرف بين العوالم
فجرد عضب العزم إذ وضح الهدى ... بآيات حق للضلال صوارم
وقدّ بها هام الغواية فانمحت ... قواعد زيغ محلكات الدعائم

وقال الشيخ سليمان بن سحمان ، رحمه الله تعالى :

وقد قام يدعو الناس في جاهلية ... إلى السيد المعبود بالجد والجهد
وقد كان أهل الأرض إلا أقلهم ... على الكفر بالمعبود والجعل للند
ينادون أرباب القبور سفاهة ... ويدعون من لا يملك النفع للعبد
فجاهد في ذات الإله ولم يخف ... عداوة من قد خالفوه على عمد
ولم يثنه عن نصرة الحق والهدى ... جناية ذي بغي ولا زيغ ذي صد
وتأليب أعداء الشريعة جندهم ... عليه لكي يطفوا من النور ما يبد

* * *

وأعلن بالتوحيد لله فاعتلت ... به الملة السمحا على كل ذي جحد
فأضحى بنجد مهيع الحق ناصعا ... وقد ضاء نور الحق من طالع السعد
وأقلع ديجور الضلالة والهوى ... وقد طبق الآفاق من سائر البلد
وجادله الأحبار فيما أتى به ... فألزم كلاً عجزه من ذوي الطرد
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنا ... وقد جهدوا إلى كيده غاية الجهد

فاظهره المولى على من بغى　　عليه وأولاه من العز والحمد
بما كلت الأقلام عن حصر بعضه　　وأكمد أكباداً بها الحسد المرد

* * *

فلله من حبر تسامى إلى العلا　　فحل على هام المجرة والسعد
فكم سنن أحيا وكم بدع نفى　　وكم مشهد قد شيد أوهاه بالهد
وكم شبهة جلت فجلا ظلامها　　بنور الهدى حتى استبانت لذي الرشد
وحسبك ما قال الأمير محمد　　من العلماء المنصفين ذوي النقد
فقد قال في الشيخ الإمام محمد　　وأرسل نظماً ثابتاً عنه في الوفد
فمن قوله في معرض الشكر والثنا　　عليه بما أبدى من الحق في نجد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه　　يعيد لنا الشرع الشريف بما يبد

ثم قال :

فدونك ما قد قاله في نظامه　　وما لم يقل في فضله فبلا حد
وكم من أخي علم أقر بفضله　　كهذا التقي الفاضل العلم الفرد
فليس بمحص فضله كل ناظم　　ولا كل منشور بحمد لذي عد
لقد أوضح الإسلام بعد اندراسه　　وضعضع من ركن العدا كل مسند

وقال أيضاً : بعد أن ذكر ما كان بنجد ، من الشرك والبدع .

فأظهر مولانا بفضل ورحمة　　وجود وإحسان إماماً مفهما
تقيا نقيا المعيا مهذبا　　نبيلاً جليلاً بالهدى قد ترسما
تبحر في كل الفنون فلم يكن　　يشق له فيها غبار ولن وما

وسباق غايات وطلاع أنجد ... وبحر خضم أن تلاطم أو طما
فأطد للتوحيد ركنا مشيدا ... وأرشد حيرانا لذاك وعلما
وحذر عن نهج الردى كل مسلم ... وهدمن الإشراك ماكان قدسما
فاتوى وأوهى كل كفر ومعبد ... بنجد وأعلى ذروة الحق فاستما

* * *

وجادله الأحبار فيما أتى به ... وكل امرئ منهم لدى الحق أحجما
وألزم كلا عجزه فتألبوا ... عليه وعادوه عنادا ومأثما
فلم يخش في الرحمن لومة لائم ... ولا صده كيد من القوم قد طما
وكل امرئ أبدى العداوة جاهداً ... وبالكفر والتجهيل والبهت قدرما
فأظهره المولى على كل من بغى ... عليه وعاداه فما نالا مغنما
وكيف وقد أبدى نوابغ جهلهم ... فكم مقول منهم تحدى فأبكما
وألقمه بالحق والصدق صخرة ... وكان إذا لاقى العداة عثمثما
وقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به الكفر أدلهم وأجهما
فزالت مباني الشرك بالدين وانمحت ... وفل حسام كان بالكفر لهذما
وحالت معاني الغي واللهو والهوى ... بإشراق نور الحق لما تبسما

ومن عرف الرجال بالعلم ، عرف حال الشيخ رحمه الله ، ورسوخه ومتانة علمه ودينه ، وأنه يلحق بأكابر السلف وعلمائهم ، وإن تأخر عصره ؛ وقد تتبع العلماء مصنفاته وفتاواه من أهل زمانه ، ومن بعدهم ، فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب .

وقد كانت أقواله في أصول الدين ، مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ؛ وفي الفروع حنبلي المذهب ، متوخياً الدليل ، لا يوجد له قول مخالف لما ذهب إليه الأئمة الأربعة .

وكان رحمه الله ، مع قيامه بأعباء الدعوة ، ومجاهدة المشبهين والمبطلين ، متبتلا في العبادة ، كثير الإفادة ، غزير الاستفادة ، رحل إليه في طلب العلم من جميع النواحي ، وضربت إليه آباط الإبل .

له مجالس عديدة مشهورة في التدريس ، كل يوم وكل وقت ، معمورة بالفقهاء في جميع فنون العلم ، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها ، وانتفع الناس بعلمه ، وصنف مصنفات كثيرة ، وألف مؤلفات نافعة شهيرة ، سارت في الآفاق سيرورة ذكاء في الإشراق ؛ منها :

١ ـ كتاب التوحيد ، فيما يجب من حق الله على العبيد ، لم يعلم له نظير في الوجود .

٢ ـ كتاب كشف الشبهات .

٣ ـ كتاب أصول الإيمان .

٤ ـ كتاب فضائل الإسلام .

٥ ـ كتاب فضائل القرآن .

٦ ـ كتاب السيرة المختصرة .

٧ ـ كتاب السيرة المطولة .

٨ ـ كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

٩ ـ كتاب مختصر الإنصاف والشرح الكبير .
١٠ ـ كتاب مختصر الصواعق .
١١ ـ كتاب مختصر فتح الباري .
١٢ ـ كتاب مختصر الهدي .
١٣ ـ كتاب مختصر العقل والنقل .
١٤ ـ كتاب مختصر المنهاج .
١٥ ـ كتاب مختصر الإيمان .
١٦ ـ كتاب آداب المشي إلى الصلاة .

وله رسائل وأجوبة في التوحيد والنصائح ، وأجوبة في الفقه كثيرة مفيدة ، تقدمت في هذا الكتاب على حسب الترتيب ؛ وله من المسائل المستنبطات من كتاب الله ، ما يقصر عنه فهم الفحول الأفاضل ، ولا يقدر على إبرازه ذوو التدقيق من الأماثل ، تكلم على غالب السور ، واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق إليه .

أخذ عنه العلم عدة من العلماء الأجلاء من بنيه وبنيهم ، وغيرهم من علماء الدرعية ، وأهل النواحي ممن تأهل ؛ فمنهم أبناؤه الجهابذة الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله ، والشيخ علي ، والشيخ عبد العزيز ، وأخذ عنه ابن ابنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

وأخذ عنه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ؛ والشيخ عبد العزيز الحصين الناصري ، والشيخ سعيد بن حجي ،

والشيخ محمد بن عبد الله بن سويلم ، والشيخ عبد الرحمن بن خميس ، والشيخ عبد الرحمن بن نامي .

والشيخ محمد بن سلطان العوسجي ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين ، والشيخ حسن بن عبد الله بن عيدان ، والشيخان عبد العزيز ومحمد آل سويلم ، والشيخ حمد بن راشد العريني .

وكل واحد من هؤلاء ولي القضاء في ناحية ؛ وأخذ أيضاً عنه ممن ولي القضاء وممن لم يله ، من الفقهاء والأعيان الخلق الكثير ، والجم الغفير ؛ وكان كثيراً ما ينشد هذه الأبيات :

بأي لسان أشكر الله إنه | لذو نعمة أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة | علي وبالقرآن نور البصائر
فبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل | عليها اعتقادي يوم كشف السرائر

وكانت حاله رحمه الله في العبادة ، والزهد والورع ، مشهورة بين الأنام ؛ سميره القرآن في دجى الظلام ، وإحياء كثير من الليل بالقيام ، مع اشتغاله في النهار بالتدريس ، والتصنيف ، وتنفيذ الأحكام ، فساعاته كلها مواسم ، وله من الرأي والفراسة والتدبير ما يعجز عنه الملوك .

وكان يتولى بيت المال ، من جميع بلدان المسلمين ، ويفرقه عليهم ، وكان عن كثرة الأكل منه متعففاً ، بل يعجله خروجاً ومصرفاً ، وكان سمحاً جواداً كريماً ، لا يلفى عنده المال مقيماً .

ومحافظاً على ماله من الأحزاب والأوراد ، مشمراً في تحصيل نافع الزاد ، متجرداً للاستعداد ليوم المعاد ، وكثيراً ما يلهج بقول : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) [الأحقاف : ١٥] .

فأجاب الله دعاءه ، وصار ذريته وذريتهم ، هم الباقين ، وعلماء عاملين ؛ توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى سنة ١٢٠٦هـ ، يوم الاثنين آخر شهر شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، تزاحم الناس على سريره ، وصلوا عليه في بلده الدرعية ، وخرج الناس مع جنازته الكبير والصغير ، وحصل بموته الخطب العظيم ، والفادح العميم .

فالله يعليه في الفردوس منزلة ... فضلاً وجوداً وتكريماً وإحسانا
والله يوليه ألطافاً ومغفرة ... ورحمة منه إحساناً ورضوانا

ورثاه طوائف من العلماء منهم العالم النبيل محمد بن علي الشوكاني ، رحمه الله ، فقال :

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي ... وأصمى بسهم الإفتجاع مقاتلي
وخطب به أعشار أحشائي صدعت ... فأمست بفرط الوجد أي ثواكلي
ورزء تقاضا صفاء معيشتي ... وأنهلني قسراً أمر المناهل
فغدوت به رهن ٱلتياع ولاعج ... حليف أسى للقلب غير مزائل

أسير جوى أفنى فؤادي رسيسه وقلب من الحزن البرح ذاهل
مصاب به قامت علي قيامتي ومن كرب لاقيت أعظم هائل
مصاب به ذابت حشاشة مهجتي وعن حمله قد كل متني وكاهلي

* * *

مصاب به قد أظلم الكون كله وكان على حال من الحزن هائل
مصاب به الدنيا قد أغبر وجهها وقد شمخت أعلام قوم أسافل
رميت به عن قوس أبرح لوعة بها نجم روحي كان أسرع آفل
به هد ركن الدين وانبتّ حبله وشد بناء الغي مع كل باطل
وقام على الإسلام جهراً وأهله نعيق غراب بالمذلة هائل
وسيم منار الاتباع لأحمد هوان انهدام جاء من كل باطل
وهبت لنار الابتداع سمائم بسم لنفس الدين مرد وقاتل

* * *

فيا مهجتي ذوبي أسى وتأسفاً ويا كبدي انقشي بحزن مواصل
ويا لوعتي دومي وزيدي ولازمي ويا فجعتي للقلب ما عشت نازلي
ويا مقلتي نحي الكرى عنك جانباً وجودي بدمع دائم السكب هاطل
ويا جزعي لا غبت كن متجدداً ويا سلوتي ولي وللقلب زائلي
فقدمات طود العلم قطب رحى العلا ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طراً بموته وغيب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا ومروي الصدى من فيض علم ونائل
جمال الورى رحب الذرى شامخ الذرا وجم القرى صدر الصدور الأوائل

عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا جالي الخفا عن مشكلات المسائل
بهي السنا عذب طيب الثناء منيل المنى من سيبه كل آمل

* * *

إمام الورى علامة العصر قدوتي وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذي عز دركه وجل مقاماً عن لحوق المطاول
إلى عابد الوهاب يعزى وإنه سلالة إنجاب زكي الخصائل
عليه من الرحمن أعظم رحمة تبل ثراه بالضحى والأصائل
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
إمام له شأن كبير ورتبة من الفضل تثني عزة المتطاول
فريد كمال في العلوم فهل ترى له في تقادير لها من مماثل
تأخر ميلاداً وفي حلبة العلا وميدان فخر سابق للأوائل
على خلق يحكي النسيم لطافة وكامل أوصاف وحسن شمائل
وقلب سليم للمهيمن خاشع منيب وعن مولاه ليس بغافل
وقلب تجافيه المضاجع في الدجى وجفن بهتان المدامع هامل
وعن ذكر رب العرش في السر دائماً وفي الجهر طول الدهر ليس بذاهل

* * *

عفو عن الجاني صفوح وحلمه إلى الشيم يعزى ليس يهفو لعاجل
يقابل من يلقى ببشرى ومبسم ضحوك ووجه للبشاشة باذل
ويأمر بالمعروف في كل حالة وعن منكر ينهى وليس بقابل
ولم يأل جهداً في نصيحة مسلم برأي وتدبير وحسن تعامل

يجازي بإحسان إساءة غيره وبالجاه عن مستوجه غير باخل
تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى ولم يمض منه العمر في غير طائل
ومن شأنه قمع الضلال ونصره لمن كان مظلوماً وليس بخاذل

* * *

وكم كان في الدين الحنيفي مجاهداً بماضي سنان دامغ للأباطل
وكم ذب عن سامي حماه وذاد من مضل وبدعي ومغوي وفائل
ففيم استباح أهل الضلال لعرضه وما نكست أعلامه بالأراذل
وليس له شيء عن الله شاغل ولا عن وصال الاعتبار بغافل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً ولا اشتد للإسلام ركن المعاقل
ولا كان للتوحيد واضح لاحب يقيم اعوجاج السير من كل عادل
فما هو إلا قائم في زمانه مقام نبي في إماتة باطل
ستبكيه أجفاني حياتي وإن أمت سيبكيه عني جفن طل ووابل
وتبكيه أقلامي أسى ومحابري ويبكيه طرسي دائماً وأناملي

* * *

عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن يميد ببحر فائض العلم سائل
ومن نعش كان حامل جسمه هنيئاً له إذ كان أشرف حامل
ولا غرو أن يبكي الزمان لفقده فقد كان غيث الجود كهف الأرامل
فآهاً على ذاك المحيا وحسنه وآهاً على تلك العلوم الجلائل
وآهاً على تحقيقه في دروسه وتوضيحه للمعضلات المشاكل
فمن للبخاري بعده ولمسلم يبين المخبا منهما للمحاول

ومن ذاالتفسير الكتاب ومن ترى ... لأحكام فقه الدين من للرسائل
ومن لمسانيد سمت ومعاجم ... وكشف لثام الحكم عند النوازل

* * *

ألم تر أن الدهر نصف كآبة ... عليه وذو جسم من الحسن ناحل
ومن للمعالي والبيان ومنطق ... وردع أخي الجهل الغوي المجادل
ومن لك بالأصلين واللغة التي ... بها أنزل القرآن أشرف نازل
ومن بعده للصدع بالحق قائم ... بجد ولا يخشى ملامة عاذل
أفق يا معيب الشيخ ما ذا تعيبه ... لقد عبت حقاً وارتجلت بباطل
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله ... وفل التعصب بالسيوف الصواقل
ولما دعا الله في الخلق صارخاً ... صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً ... إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي ... أتانا بها طه النبي خير قائل

* * *

فوا أسفي وآلهف قلبي وحسرتي ... عليه ويا حزني لأكرم راحل
ويا ندمي لو كان يجدي من القضا ... ولكن قضاء الله أغلب حائل
ولو كان من ريب المنية مخلص ... لكنت له بالجهد أي محاول
وما مات كلا بل إلى جنة العلا ... أتاه من الرحمن أكرم ناقل
ولما له الفردوس زاد اشتياقه ... وكان لها كفواً وأسرع واصل
وكان على حسن الأرائك في ذرى ... أظلتها أهني وأرفه قائل
شذت ورق أغصان الهنا ترجعا ... تقول له قد فزت يا خير عامل

وخاطبه التأريخ فألا بقوله [هنيئاً برغد في رفيع المنازل[1]]

* * *

فيا سائر الأولاد للشيخ إنني أعزيكمو مع ذي انتساب وائل
وأوصيكمو بالصبر طراً وبالرضا بجاري القضا في عاجل ثم آجل
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما لديه تعالى من أجور جزائل
فما جزع يوماً بنافع جازع وما الحزن برد للقضاء بفاعل
ومثلكمو لا يعتريه تزلزل ولا وهن في فادحات النوازل
فإن كان للجنان والدكم مضى فقد كان فينا معقباً كل كامل
وأنتم بحمد الله عنه خلائف بعلم وفضل شامخ القدر شامل

* * *

وإنا لنرجو أن تكونوا أئمة بكم يقتدي في دينه كل فاضل
وللخير والإحسان من كل وجهة تحث إليكم مضمرات الرواحل
ونسأل رب العرش يعظم أجوركم ويحميكمو من طارقات الغوائل
ويجبر صدع القلب والكسر منكمو ويعقبكم طرا جمال المحافل
ولا زلتمو غيظ القلوب لكل من يعاديكمو من كل حاف وناعل
ولا فجعت في الدهر ساحة سوحكم برزئ لموصول المسرة فاضل
عليكم سلام الله ما هب ناسم وجمل زاكي ذكركم كل عاطل

---

(١) كان موضع ما بين القوسين بياضاً في الأصل، فكمله شيخنا وفقه الله، أي: الشيخ محمد بن إبراهيم.

وأوفى الثنا مني عليكم مكرراً وأزكى تحيات سوام كوامل
وأضعافها للمقرنين كلهمو هداةالورى من محتدي فرع وائل

* * *

هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم جميع بني الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا في الله حق جهاده إلى أن أقاموا بالضبا كل مائل
فناديهمو في كل ناد مبجل فحقهم التبجيل بين القبائل
سعود مضى والسعد حالف نجله كما حالف الآبا ليس براحل
لقد نصروا دين الإله وحزبه كما دمغوا داعي الهوا بالقنابل
عليهم سلام الله ما ذر شارق وما اهتزت الأزهار في صبح هاطل
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى الهادي كريم الشمائل
محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل

ومـمـن رثـاه **الـشـيـخ** حسين بن غنام الأحسائي، رحمه الله تعالى:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى فسالت دماء في الخدود وأدمع
إمام أصيب الناس طراً بفقده وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلمت أرجاء البلاد لموته وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه نجم ثوى في التراب واده بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه وبدر له في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه فداجى الدياجي بعده متقشع

إلى آخر ما رثى به ، فرحمه الله وعفا عنه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين الفردوس الأعلى ، في جنات النعيم المقيم .

ومن أراد الاطلاع على حقيقة حاله ، وما منحه الله في مبدإ أمره ومآله ، من النور المبين ، وتجديد الملة والدين ، وما حباه الله من نيل مقصوده ، وبلوغه الأمل من توحيد معبوده ، وما من الله به عليه من الظفر والتمكين ، ولسان الصدق في العالمين .

فعليه بكتاب « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام ، الشيخ : محمد بن عبد الوهاب » وهو تأريخ الإمام الشيخ : حسين بن غنام الأحسائي الشافعي ، رحمه الله تعالى .

الإمام محمد بن سعود ، رحمه الله

هو الإمام الرئيس ، مجدد الجهاد بالعرمرم الخميس ، الثبت الشجاع الحازم الألمعي ، الهمام الصارم ، إمام المسلمين ، محيي العدل في العالمين ، جامع كلمة المؤمنين ، ناصر الموحدين ، قائد المجاهدين ، العادل المؤيد ، بدر الزهاد ، سلالة الأمجاد ، إمام الهدى ، مطفى الردى ، الأوحد بدر الزمان ، الأمجد .

محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن ربيعة بن مانع بن

المسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن حسان بن ربيعة بن مرة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ذو الرأي الباهر ، والعقل الوافر ، أجمع قومه على توليته ؛ فساسهم ، ودبر أمورهم ، بحسن السيرة والكرم ، وقوة الباس .

جددت الدعوة الإسلامية على يديه ، وأحييت السنة المحمدية بمواضيه ، لما نور الله قلب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وأظهر التوحيد ، ونهى عن الشرك والتنديد ، قبل منه الأقلون ، واشمأزت قلوب الذين لا يوقنون ، ونفرت الرؤساء والأحبار ، واستصرخت بأهل القرى والأمصار .

فقال للشيخ أبشر بالعز والمنعة ، فقال له الشيخ وأنا أبشرك بالعز والتمكين ، والنصر المبين .

وهذه كلمة التوحيد ، دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها ، وعمل بها ونصرها ، ملك العباد والبلاد ؛ وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها ، أطبقت على الشرك والجهل ، والفرقة والاختلاف ، والقتال لبعضهم بعضاً ؛ فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون ، وذريتك من بعدك أئمة متعاقبون ؛ فتلقاه الإمام بالقبول والتحية ، ونصره وأواه .

وما أحسن ما قيل :

آواه في الدرعية البطل الذي ... يلقاه بالإجلال وهو يرحب
محمد أصل المجد في آل مقرن ... به اشتد للشيخ المبجل منكب
وبايعه في نصرة الدين والهدي ... كما بايعت في وفدها قبل يثرب

فأجد وأمد ، وعن ساعده شمر واجتهد ، وأعد للجهاد ما استطاع من قوة الآلات ، ومن رباط الخيل في سبيل الله ، فأعز الله به الإسلام والمسلمين ، وألف به قلوب المؤمنين ، وظهر الحق وانتصر الدين ، وقمع الباطل وأولياءه من المشركين .

ولم يزل رحمه الله مساعداً للشيخ في دعوة الناس إلى التوحيد ، وجهاد من أبى عنه من كل شيطان مريد ، حتى ارتجع الله له الحق الذي كان نادا ، ورد على يديه الأمر الذي لم يكن له غير الله راداً ، وبلغ كل مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان ما كان له واداً .

وأيده الله وتولاه ، وهزم ضده وأعداءه ، وصار فيه شبه من الأنصار ، بل الأنصار من نصر الدين ، مع تطاول الأعصار ، فأعز الله بهما الدين ، وأذل بهما الشرك والمشركين ، وجعل ذريتهما الباقين ، وحقق رجاء إمام هذه الدعوة ، وجعله إماماً لخلقه ، ووارثاً لأرضه ، وداعياً إلى الله بإذنه .

فصار هو وذريته الذين حازوا فضائل المفاخر ، وأذل لهيبتهم كل عنيد من باد وحاضر ، وملؤوا هذه الجزيرة بادمان سيف قهرهم ، كما ملؤوها بسيف عدلهم وبرهم ، واستبشرت بهم الحرمان الشريفان ، لما أزالوا عنهما الجور والطغيان ، والبنايا على القبور ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ونادوا في فجاجها : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) [النحل : ٩٠] .

وكسوا الكعبة المشرفة بالحرير ، وسارت الظعينة إليها من العراق والشام واليمن والبحرين ، والبصرة وما حولها وما دونها ، لا تخشى أحداً إلا الله الواحد المنان ، وبطلت في زمانهم جوائز الأعراب على الدروب ، وسكنت تلك الفتن والحروب ، يجلس الرجل ويأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان .

وزالت سنن الجاهلية ، وسارت عمالهم إلى جميع الأعراب في الشام والعراق ، واليمن وأقصى الحجاز ، وما وراء الينبع إلى دون مصر ، وإلى عدن وما دون البصرة .

وهدموا المواضع الشركية ، في تلك الأقطار ، وعمروا المساجد للصلاة ، والتدريس والأذكار ؛ والأمر ـ والحمد لله وحده ـ مستمر إلى هذا الحين ، أدام الباري لهم العز والتمكين ، والقيام بشريعة سيد المرسلين .

فإن الناس قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ،

وقيام أمورهم وحصول مصالحهم ، واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم ، بحسب ظهورها بينهم ، وقيامها ؛ وهلاكهم ، وعنتهم وحلول البلاء والشر بهم ، عند تعطلها والإعراض عنها .

ومن تأمل تسليط الله من سلط ، على البلاد والعباد من الأعداء ، علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيهم ، وسنته وشرائعه ، حتى إن البلاد التي لآثار النبي ﷺ ، وسننه وشرائعه فيها ظهور ، دفع عنهم بسبب ظهور ذلك بينهم .

ويشهد أن هذا الإمام وخلفاءه ، على ما كان عليه النبي ﷺ ، وأنهم على الحق ، وعدوهم على الباطل ، ما جرى عليهم ممن عاداهم ؛ وأيدهم الله ، ونصرهم على قلة منهم وضعف ، وقوة من عدوهم وكثرة .

وصارت الغلبة والظهور لهم ، وكثير ممن ناوأهم لم تقم لهم قائمة ، وصار كل من في نجد وما حولها ، سامعاً مطيعاً لإمام المسلمين ، القائم بهذا الدين بأمن وأمان ، وأثنى عليه علماء الأمصار والبلدان ، القاصي منهم والدان .

قال الشيخ : أحمد بن محمد الحفظي اليمني ، في أرجوزة له بعد ثنائه على مجدد هذه الدعوة :

والسابقون الأولون السادة ... آل سعود الكبراء القادة
هم الغيوث والليوث والشنف ... ونصرة الإسلام والشم الأنف
فأقبلوا والناس عنه أدبروا ... وعرفوا من حقه ما أنكروا

حفوا به كأسد العرائن ... وكم وكم لله من ضنائن
وابن سعود كأبي أيوب ... محمد الرئبيل والعيسوب
قال اذهبوا فأنتم سيوم ... وجند ربي قبله حيزوم

وقال الشيخ : أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي :

ومهما ذكرت الحي من آل مقرن ... تهلل وجه الفخر وابتسم المجد
همو نصروا الإسلام بالبيض والقنا ... فهم للعدا حتف وهم للهدى جند
غطارفة ما أن ينال فخارهم ... ومعشر صدق فيهم الجد والحد
وهم أبحر في الجود إن ذكر الندى ... وإن أشعلت نار الوغى فهم الأسد
فكم مسجد قد أسسوه على التقى ... وكم مشهد للشرك بنيانه هدوا
بهم أمن الله البلاد وأهلها ... فهم دون ما يخشونه الردم والسد

وقال الشيخ : سليمان بن سحمان ، بعد ثنائه على الشيخ محمد ، رحمهما الله تعالى :

وساعده في نصرة الدين والهدى ... أئمة عدل مهتدون ذووا رشد
وقد نال مجداً أهل نجد ورفعة ... بآل سعود واستطالوا على الضد
بإظهار دين الله قسراً ودعوة ... إلى الله بالتقوى وبالصارم الهند
وقام بهذا الأمر من بعد من مضى ... بنوهم وقد ساروا على منهج الرشد
وقد جاهدوا أعداء دين محمد ... وقد جرهم قوم طغاة إلى نجد

إلى أن قال :

فما نال من عاداهمو من ذوي الردا ... مناهم فباؤوا بالخسارة والطرد
ونال ذو والإسلام عزاً ورفعة ... ومجداً بنصر الدين والكسر للضد

فلا زال تأييد الإله يمدهم بنصر وإسعاف على كل ذي حقد

ولو ذهبنا نتتبع ما أثنى به عليه ، لذهب بنا عن المقصود ، وأصح الثناء ، ما اعترف به الأعداء ، وقد قال دحلان في رده على أهل هذه الدعوة ، مما اعترف به ، بأن من خصالهم أمرهم البوادي بإقامة الصلاة ، والمحافظة على الجمع والجماعات ؛ ومنعهم من الفواحش الظاهرة ، كالزنا ، واللواط ، وقطع الطريق ، فأمنوا الطرقات ، وصاروا يدعون الناس إلى التوحيد .

ولو وجد مجالاً لأنكر تلك الأعمال الفاضلة ، ولكنه اضطر إلى الاعتراف بها ، لأنها أشهر من الشمس في رابعة النهار ، وقبله من معاصري الشيخ ممن اشتهر عناده ، عثمان بن سند البصري ، الفيلكاوي ، قال في تاريخه :

ومن محاسن الوهابية : أنهم أماتوا البدع ومحوها ؛ ومن محاسنهم : أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها ، وصار كل ما كان تحت حكمهم ، من هذه البراري والقفار ، يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر ، خصوصاً بين الحرمين الشريفين ، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض .

وصار العرب على اختلاف قبائلهم ، من حضرموت إلى الشام ، كأنهم إخوان أولاد رجل واحد ، وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل ، والناهب والسارق ، إلى أن عُدِم

هذا الشر ، في زمان ابن سعود ، وانتقلت أخلاق الأعراب ، من التوحش إلى الإنسانية .

وكفى برهاناً على شجاعته ، وثبات جأشه ، وشهامته وإرادته الحديدة ، وعزمه البات ، وقوة إيمانه ، وسائر خصاله الحميدة : إيواؤه للشيخ ، وقيامه بنصرته ، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار ؛ وتألب الملوك والأمراء ، وعامة الناس عليه .

ولولا أنه هو الأوحد ، فرد زمانه ، لما نجح في توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان ، وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوب سود ، ونظراء أقوياء ، وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب ، فلهو القائد الباسل ، والأوحد الحلاحل ، فما قام بنصرة هذا الشيخ ، ولا أخذ بساعده ، إلا عن اعتقاد راسخ ، وإيمان قوي .

ولقد كانوا على حالة ، تشبه حال مسلمي الصدر الأول ، في مقاومة المشركين ، الذين جاهدهم النبي ﷺ ، وفي مقاومة تاركي الصلاة ، ومانعي الزكاة ، كالذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه ، وفي مجاهدة البغاة ، كالذين قاتلهم علي رضي الله عنه ، وفي مجادلة المبتدعين كالذين ناضلهم الإمام أحمد رحمه الله .

فأعادوا نشأة الإسلام في الصدر الأول ، من ولاية وبراءة ، وهجرة وجهاد بالسيف والسنان ، وبالحجة

والبرهان ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين ، أفضل ما جزى به من سلكوا سبيلهم ، وأخذوا بهديهم ، إنه سميع قريب .

صار هو : الخليفة في نجد ، من سنة ١١٥٨ إلى ١١٧٩ ، وتتابعت الخلافة في ذريته إلى الآن ، جاهدوا في الله حق جهاده ، حتى أنجح الله لهم المآرب ، وحقق لهم ما راموا من المطالب ، وأشرقت جزيرة العرب بالتوحيد ، وطهرت من الشرك ، والبدع والتنديد .

وكانت أعلامهم في غالب البلدان خافقة ، وشموس سعدهم في الآفاق شارقة ، وألسنتهم بين التوحيد والشرك فارقة ، وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة ، حتى محقوا جميع البدع والأهواء ، إزالة وتغييراً .

وسطروا آيات الرشد تسطيراً ، وحازوا من الفخر أعلى مقام ، حيث قاموا من الدين بذروة السنام ، وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصوراً ، وأضحى التوحيد مشرقاً مستنيراً ؛ طهر الله بهم جزيرة العرب من الإشراك تطهيراً .

وقد ملكوا نجداً وغوراً واتهموا ... وشاماً إلى البصرى بل الغرب والشرقا
حنيفية في دينها سلفية ... وكانوا أولي بأس فسل كل من تلقى

وهو أشهر من أن ينبه على سيرته ، قد انصبغت في القلوب مودته ، وظهر حسن خليقته ، ونطقت الألسن بحسن

طريقته ، وسارت الركبان بنشر فضيلته ، كان في العبادة والزهادة فرداً ، محافظاً على أوراده متأهباً لمعاده .

قاضيه في الدرعية شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، وهو المدرس والمفتي ؛ وأميره على عرقة إبراهيم الهلالي ، وعلى منفوحة إبراهيم بن سعيد ، والوشم عبد الله بن حمد بن غيهب ، وفي الخرج إبراهيم بن عفيصان ؛ وفي ضرمى علي بن سلطان ، وفي المحمل ساري بن يحيى .

توفي رحمه الله ، وأسكنه النعيم ، سنة ١١٧٩هـ ، في بلد الدرعية ، وضج الناس لفقده ، وشيعوه إلى لحده ، وعجوا بالدعاء له وحمده .

الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، رحمه الله

هو الخليفة الراشد ، والملك الهمام القائد ، سلالة الأماجد ، الألمعي المهذب ، الصارم المجرب ، أسد الأسود ؛ مورد الجود ، مؤيد السنة ، نجل الأكابر ، بحر الندى ، إمام الهدى : عبد العزيز بن الإمام محمد بن سعود .

ولد سنة ١١٣٣هـ ، في بلد الدرعية ، وأخذ العلم عن الشيخ محمد وغيره ، وشب شجاعاً شهماً ، فاتكاً ماجداً ، سائقاً للجنود وقائداً ، اجتمعت له المكارم والفضائل ، وزانت به المجالس والمحافل ، طلعت بشائر سعوده مشهودة ، وفاق عشائره وجدوده .

ولي الملك بعد أبيه فبايعه الناس ، ورئيسهم في تلك البيعة شيخ الإسلام ؛ وفتح الله على يديه البلدان والأقطار ، وأرعب به ملوك الأمصار ، وظهر صيته وشاع ، وأثنى عليه القريب والبعيد ، والتابع والمطاع .

قال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي اليمني :

سلام على من حل نجداً موحداً — مجدد دين الله بالمرهف الحد
ويدعو إلى التوحيد ذلك قصده — فياحبذاالتشميرفي ذلك القصد
له همة في نصرة الدين والهدى — بتلك ارتقى أعلى المراتب والمجد
وجاهد في ذات الإله بنفسه — وأمواله قطعاً يصدق بالوعد
إمام الهدى عبد العزيز الذي حما — صفوة التوحيد من كدر الضد
وأوضح منهاج الهدى وأبانه — ونزهه عن قول طاغ ومرتد

وقال أيضاً في أرجوزة له :

وقام فاروق الزمان المؤتمن — عبد العزيز من ومن ومن
فسار في الناس كسيرة الأشج — ودوخ البر وخاض للثبج
يسوس بالآثار والقرآن — على طريق العدل والإحسان
يدعو إلى الله بحزب غالب — مجاهد بالأربع المراتب
ونفسه لله والنفيس — والصدق للقلوب مغناطيس

وقال الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي ، بعد ثنائه على الشيخ :

فقام وقاموا واستقاموا بحجة — بحجة قرآن وضرب المواضيا

ولا سيما عبد العزيز فإنه هو القائم الفاروق بالعدل قاضيا
حما بيضة الإسلام بالبيض والقنا وأجرى إلى بركـ الغماد العواديا
ومازال في بعث الجيوش مجاهداً وفي شن غارات وتجهيز غازيا
بنفس وأولاد وأهل وإخوة وكل نفيس والأسود الضواريا
وأنفق في ذات الإله شبابه وشيبته داع وراع وساعيا
وبدد جيش الشرك في كل بلدة وجدد توحيداً وقد كان باليا
ودوخ بالتهليل شرقاً ومغرباً ورد إلى الدين الحنيفي غاويا

وقال الشيخ حسن بن محمد بن حسن الحفظي :

هو غرة الزمان ، وبهجة المكان والأوان ، وخدين المعالي والفضائل والإحسان ، الداعي إلى توحيد الله الملك الديان ، بالصوافن والهواجن ، والكتائب والهندوان ، وارث السطوات والعدوات ، خالفاً عن سالف بلا توان ، الباذل لله همته وماله ورجاله والفرسان ، أمير المؤمنين ، وحامي شريعة سيد المرسلين ، بالضرب والطعان ، حتى بحمد الله ابلولج ، وانهار غسق البهتان :

طلعت بدور النور بالأنوار وتظاهرت من فيض فتح الباري
وبشائر وافت فطاب سرورنا بسماع تلك لطائف الأخبار
فاحت نفائح مسكها بعواطر فتسابك المعطار بالعطار
نطقت بنصر إمامنا وتبادرت بشر الهواتف في قرى الأمصار
أعنيك يا عبد العزيز المنتدب لله في الإعلان والإسرار

الجهبذ النحرير والداعي إلى ... باب الإله بحكمة الغفار
هنيت بالظفر المبين على العدا ... فلقد هزمت عساكر الكفار
بصوارم الأسياف تلمع بينهم ... فتراهم صرعى بلا مقدار

* * *

فلقد نصرت الشرع بعد مماته ... وضياعه في سائر الأقطار
هنيت بالنصر المبين وبالعلى ... يا ابن الكرام وبضعة الأبرار
فلك الهنا يا سيدي ولك المنى ... في دار أخرانا وهذي الدار
أضحت بلاد المسلمين جميعهم ... في حوزة دعوتكم بلا إنكار
وبك الجهات استبشرت وتنورت ... واستأنست في السهل والأغوار
وتدوخت بالأمن والإيمان والتشـ ... ـريع والتدريس والتذكار
وتحولت وتغيرت وتبدلت ... بدع الجهالة بضيا الأنوار
واهتزت الغبراء من فرح بكم ... والوحش والأنعام والأطيار

وقال الشيخ حسين بن غنام الأحسائي ، رحمه الله :

كان الإمام عبد العزيز ، رحمه الله : كثير الخوف من الله والذكر له ؛ آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ؛ كثير الرأفة والرحمة بالرعية ، شديداً على من جنى جناية أو قطع سبيلاً ، أو سرق شيئاً ، ثم قال :

لقد رفعت أعلامهم بأميرهم ... وأبناء أسد بل بأسهم أسطى
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجنها ... وزال ظلام الشرك من بعد ما لطا
ذوو العزم والتسديد والعلم والنهى ... وأهل المعالي والفخار بهم ينطا

يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم ... ويسخون في نيل المزايا بها سفطا

وقال **الشيخ** أحمد بن مشرف الأحسائي ، رحمه الله بعد ثنائه على الشيخ :

فوازره عبد العزيز ورهطه ... على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم ... ولم يثنه صولات باغ ومعتد
وقفى سعود أثره طول عمره ... إلى حين ووري في الصفيح الملحد
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه ... فما وهنوا للحرب أو للتهدد
وكم غارة شعواء شنوا على العدا ... وكم طارف حووه ومتلد
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا ... وكم هدموا بنيان شرك مشيد
وقائعهم لا يحصر النظم عدها ... وإن تسأل السمار عن ذاك ترشد
وكم لهم من وقعة شاع صيتها ... بها أيد الرحمن سنة أحمد

* * *

وكم فتحوا من قرية ومدينة ... ودانت لهم بدو ، وسكان أبلد
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا ... وما بين جعلان إلى جنب مزبد
ومن عدن حتى تنيخ بأيلة ... قلوصك من مبدي سهيل إلى الجد
وقد طهروا تلك الديار وطردوا ... ذوي الشرك والإفساد كل مطرد
بأمر بمعروف ونهي عن الردى ... وبالصلوات الخمس للمتعبد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية ... كما عمرت أيديهمو كل مسجد
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم ... وناد به في كل ناد ومشهد
تغمدهم رب العباد برحمة ... وأسكنهم روض النعيم المخلد

وقال عبد الجليل :

إمام كسا ظهر البسيطة عدله ... مطارف أمن شاملات المعالم
فلو ضاع حلس في الفلا من مسالم ... أتاه به من غاب ضاري الضراغم
فيرحل من أقصى تهامة راكب ... إلى الخط[1] لا يخشى مكائد غاشم
عزيز جوار لم ينل جاره الردى ... وفي العهد تلقى خير واف ملازم
حليف التقى والعلم والفضل والندى ... وباني المعالي بالقنا والصوارم
يغار على الإسلام عن أن يصيبه ... طوارق شر فهو أمنع عاصم
لياليه بالبر العميم بواسم ... وأيامه بالخير خير المواسم
ويحب أخا التقى ويرفع قدره ... ويبغض ذا الفحشاء رب الجرائم

* * *

لقد عمر الدنيا وآثر غيرها ... ففاز بكلتا الضرتين البواسم
حريص على إعلا أمر إلهنا ... بإظهار دين الأبطحي ابن هاشم
ورب جيوش كالسيول يقودها ... لها لجب كالرعد إثر الغمائم
فألبس أهل الشرك أثواب ذلة ... بأسر وقتل واكتساب الغنائم
إلى أن أباد الله كل معاند ... ومزق شمل الباطل المتراكم
ورد جموع المشركين بغيظهم ... وما قد نالوا غير شر الهزائم
فآبوا لدين الله من بعدما أبوا ... ودانوا به من بعد كفر مفاقم
وأعلن بالتوحيد كل موحد ... وطأطأ له رأس الكفور المراغم

---

(١) اسم لأرض القطيف ونواحيه، انظر: صفحة ٤٠٥ من عنوان المجد في تأريخ نجد.

وشجاعته ، وكرمه ، وفتوحاته ، وسائر محاسنه ، أشهر من أن تذكر ؛ وكان كثير الخوف من الله والذكر له ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته ، لا يتعاظم عظيماً إذا ظلم ، فيقمعه عن الظلم ، وينفذ الحق فيه ، ولا يتصاغر حقيراً ظلم ، فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن .

وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس ، ويصلي فيه صلاة الضحى ؛ كثير الرأفة والرحمة بالرعية ، خصوصاً أهل البلدان بإعطائهم الأموال من الفيء والزكاة ، وبثها في فقرائهم ، والدعاء لهم ، والفحص عن أحوالهم ، ويكثر لهم الدعاء في ورده ، ويقول اللهم أبق فيهم كلمة الإخلاص « لا إله إلا الله » حتى يستقيموا عليها ، ولا يحيدوا عنها ؛ فاستقاموا عليها ولله الحمد والمنة .

وكانت الأقطار ، والرعية في زمنه آمنة مطمئنة ، فكان الشخص يسافر بالأموال العظيمة أي وقت ، يمناً وشاماً ، شرقاً وغرباً ، في نجد والحجاز ، واليمن ، وتهامة ، وعمان ، وغير ذلك ، لا يخشى أحداً إلا الله ، لا سارقاً ولا مكابراً .

وكان رحمه الله : مع رأفته بالرعية ، شديداً على من جنى جناية ، من الأعراب وغيرهم ، أو قطع سبلاً ، أو

سرق شيئاً من مسافر أو غيره ، أخذ ماله نكالاً أو بعضه ، أو شيئاً وعزره على حسب جنايته ، وأدبه أدباً بليغاً ؛ وكانت الحواج والقوافل ، وجميع أهل الأسفار ، يأتون من البصرة وعمان ، وبلاد العجم ، وغير ذلك ، إلى الدرعية ، ويرجعون إلى أوطانهم ، لا يخشون إلا الله .

وكان أكثر أهل الأقطار ، يمرون ببلد الدرعية ، في مسيرهم إلى الحج ، وكانت ضوال الإبل ، من وجد منها شيئاً أتى بها إلى بلد الدرعية ، وجعل الإمام عليها رجلاً يحفظها ، ومن له شيء أتى وأخذه .

وهذا الأمن في هذه المملكة ، شيء وضعه الله في قلوب العباد ، من البادي والحاضر ، مع الرعب العظيم في قلوب من عادى أهلها ، ولم يكن يوجد هذا إلا في زمن عمر رضي الله عنه .

وكان ما يحمل في زمنه وزمن ابنه سعود ، بل وفي زمن فيصل ، وإمامنا عبد العزيز ، من الفيء ، والأخماس ، والزكوات ، وغير ذلك ، من السلاح ، والخيل العتاق ، والإبل ، غير ما يفرق على أهل النواحي والبلدان ، وضعفائهم ، وضعفاء البوادي ، ما يخرج عن الحد ، ولا يحصيه العد .

وكانوا يوصون عمالهم بتقوى الله ، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع ، وإعطاء الضعفاء والمساكين ، ويزجرونهم

عن الظلم ، وأخذ كرائم الأموال ، وكانوا مع ذلك كثيري العطاء ، والصدقات للرعية ، والوفود والأمراء ، والقضاة وأهل العلم والطلبة ، ومعلمي القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد .

وكان إذا مات الرجل من جميع نواحي نجد ، يأتي أولاده إليهم ، فيستخلفونه ، فيعطيهم عطاء جزيلاً ؛ وربما كتبوا لهم راتباً في الديوان .

وكانوا كثيراً ما يفرقون على أهل النواحي والبلدان ، كثيراً من الصدقات في كل وقت ، كل سنة يعطى أهل كل بلد ، وأهل كل ناحية الوفا ؛ ويسألون عن الضعفاء والأيتام ، في الدرعية والرياض ، وغيرها ، ويأمرون بإعطائهم .

وكثيراً ما يكتبون لأهل النواحي ، لتعلم القرآن وتعليمه ، والعلم وتعليمه ، ويجعلون لهم راتباً في الديوان ، ومن كان منهم ضعيفاً ، يأمرونهم بالرحلة إلى الدرعية والرياض ، ويقومون بجميع ما ينوبه ، وهكذا كان يفعل أبوه الإمام محمد .

وبالجملة : فمحاسنهم ، وفضائلهم ، أشهر من أن تذكر ؛ وأكثر من أن تحصر ؛ ولو بسطت القول في وقائعهم ، وغزواتهم ، وسعوداتهم ، وما مدحوا به من الأشعار ، ومن قصد أبوابهم ، من الرؤساء والعظماء ، من

أقصى الأقطار ، وما حمل إليهم من الأموال ، والسلاح ، والخيل الجياد ، لبلغ أسفاراً .

وكان قضاته في الدرعية بعد الشيخ ، رحمه الله ، بنيه : الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله ، والشيخ علي ؛ والشيخ ابن غريب ؛ وعلى ناحية الوشم : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ؛ وعلى ناحية سدير الشيخ : حمد بن راشد العريني .

وعلى منيخ وما يليه الشيخ : محمد بن عثمان بن شبانة ؛ وعلى ناحية القصيم الشيخ : عبد العزيز بن سويلم من أهل الدرعية ؛ وعلى ناحية الخرج الشيخ : محمد بن سويلم ؛ وعلى ناحية الجنوب الشيخ : سعيد بن حجي في الحوطة ، وغيرهم .

وكان أميره على المحمل ساري بن يحيى بن سويلم ؛ وعلى ناحية الوشم : عبد الله بن حمد بن غيهب ، في شقراء ؛ وعلى ناحية سدير : عبد الله بن جلاجل ؛ وعلى ناحية القصيم : حجيلان بن حمد في بريدة .

وعلى جبل شمر : محمد بن فائز ، في بلد حائل ؛ وعلى ناحية الخرج : إبراهيم بن عفيصان ؛ وعلى وادي الدواسر : ربيع بن زيد ؛ وعلى الحجاز وما يليه من النواحي : عثمان المضايفي .

وعلى تهامة وما يليها من اليمن : عبد الوهاب أبو

نقطة ؛ وعلى الأحساء ونواحيه : سليمان بن محمد بن ماجد ؛ وعلى القطيف ونواحيه : أحمد بن غانم ؛ وعلى الزبارة والبحرين : سليمان بن خليفة ؛ وعلى عمان صقر بن راشد ؛ وتحت كل أمير عدة أمراء .

توفي رحمه الله وأسكنه رفيع الدرجات سنة ١٢١٨هـ ، في العشر الأخير من رجب ، طعنه رافضي في أثناء صلاة العصر ، من أهل مشهد الحسين ، فاضطرب أهل المسجد ؛ ثم حمل رحمه الله ، إلى قصره وقد غاب ذهنه فلم يلبث أن توفي ، وقتل الرافضي ، واشتد الأمر بالمسلمين وبهتوا .

وكان ابنه سعود في نخله ، فلما بلغه الخبر أقبل واجتمع الناس عنده ، ووعظهم وعزاهم وبايعوه ، وبعث إليه بالمراثي والتعزيات .

الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد ، رحمهم الله

هو الملك الشجاع ، الهمام الباسل العادل ، المؤيد الموفق المسدد ؛ فخر الشجرة الزكية ؛ فاتح الأقطار ، مرجف الجنود والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، مؤمن الحرمين الشريفين .

جامع كلمة المؤمنين ، ناشر لواء العدل والإحسان ؛ إمام الهدى بحر الندى ؛ نافي الردى أبو عبد الله ، إمام المسلمين سعود بن الإمام عبد العزيز بن الإمام محمد بن سعود ؛ شب سعيداً ، وعاش حميداً ، وولي الخلافة رشيداً .

كان في نخله ، فلما بلغه وفاة أبيه ، رحمه الله تعالى ، أقبل واجتمع الناس عنده ؛ وقام فيهم خطيباً ، فوعظهم موعظة بليغة ، وعزاهم ، فقام المسلمون فبايعوه ، خاصتهم ، وعامتهم ، وعزوه بأبيه ، وكتب إلى أهل النواحي ، يعظهم ويخبرهم ، ويعزيهم .

ويأمرهم يبايعون أمراءهم له فبايع جميع أهل النواحي والبلدان ، وجميع قبائل العربان ، ولم يختلف منهم اثنان ؛ وبعث إليه بالتهاني والثناء ، وشاع ذكره في الأقطار ، وأرعب منه أهل الأمصار ؛ وفتح على يديه الفتوحات ، وشهد له بالخلافة والفضل العلماء والرؤساء .

قال الشيخ : أحمد بن عبد القادر الحفظي :

وإن سعوداً من مساعيه دام في ... سعود وفي لطف جلي وخافيا
خليفة صدق ناصح الله جهرة ... فناصحه والصدق أمضى المواضيا
على محكم التنزيل يهدي ويهتدي ... وينصر مظلوماً ويقمع عاصيا
وينهى عن الشرك الذي طم بحره ... ويأمر بالتوحيد قاص ودانيا
تحقق بالأصلين قولاً ونية ... وفعلاً فطابت للرعايا المراعيا
أحاديثه في الهجرتين صحيحة ... أسانيدها في الخافقين عواليا
فحدث عن البحر المحيط وقل لمن ... تخلف عنه لاكعاً والمعاديا
سياسته شرعية واتباعه ... لأمر رسول الله في المدح كافيا

* * *

ومن حكم المختار في نفسه وفي سواه فقد حاز العلا والمعاليا
ويا سعد من أضحى سعود إمامه فذلك ظل الله في الأرض ساريا
وأصبح في أكناف طيبة نازلاً وللحرم المكي إماماً وحاميا
وقام بإحياء المناسك وانتهت إليه أمور الحج بالقسط وافيا
وجيران بيت الله مد عليهم عطاء حلالاً ، لا مكوس المجابيا
وطهر بيت الله من كل مشرك وللكعبة البيت المحرم كاسيا
وصلى الصلاة الخمس جمعاً بواحد وأصبح شيطان التفرق خاسيا

وقال **الشيخ** محمد بن أحمد الحفظي :

وهذا سعود ، ذو السعادة ساعيا يجاهد لم يردعه باد وحاضر
ولم يلهه نوم الملوك استراحة ويقظتهم هم والندامى السوامر
يبيت يجافي جنبه عن فراشه على صهوات الصافنات يسامر
ويعدو على الكمت العناجيج ضامر وإن الجياد المشبعات ضوامر
يجدد ديناً قد بدا في غرابة وعاد غريباً والغريب يسافر
فألفه حتى استقر به النوى وألقى العصا والعسر منه مياسر

* * *

ودانت له الأعراب بعد جفائها ودالت على الأمصار منه عساكر
وأقرى وفاداً وأقرأ طالباً وقرر توحيداً وقرت نواظر
وطهر ساحات المحجة بعدما عراها الأذى وهي الطهور الطواهر
فجددها حسناً ونوراً ومنهجاً فجوزي بالحسنى فنعم التجائر
له ظفر بالحرب قد شهدت به عدول رماح أو سيوف شواهر

فسل عنه أهل الشط والشام سلهم　　تجبك البوادي عنهمو والبنادر
تحاكي سجاياه الكرام وجنداً　　سجايا كرام في الندى لا تناظر

وقال :

سلامي على الندب الكبير ومن غدا　　مقدم جيش الحق وارية الزند
سعود كمي للسراة أميرهم　　ويعسوبهم في كل معترك يعدي
وذلك في التوحيد ليس كغيره　　فحاز فنون الفضل بالجد والحد
هو الشمس لكن لا أفول لمجده　　هو البحر في الإحسان والجود والمد
هو المورد العذب الذي طاب ورده　　يطوف به العطشان في كل ذي ورد
هو الحق والسيف الصقيل مهند　　على كل ذي جبار وذي عمل مرد

وقال : لما طلب منه إمام صنعاء المتوكل ، ليخبره عنه :

ذاك الإمام الفارس المفضال　　العالم العلامة العمال
وعنده من علماء السنة　　من يحمل الأسياف والأسنة
من خلق مستحسن كريم　　عندهم البعيد كالحميم
وقد أجابته الجموع الجمة　　والنصر معقود بتلك الهمة
معظماً شعائر الإسلام　　وهاد مشاعر الأصنام

وقال في أرجوزة له بعد ثنائه على والده :

وبعده قام الإمام البارع　　بأمر رب العالمين الوزاع
وهو الهزبر الضيغم العدل الولي　　سعود مخ الراس قلب الهيكل
كم زع بالقرآن والسلطان　　من فارس والروم والزنجان

وفـي الـعـراقـين لـه رعـود ... ومـصـر مـن صـولـتـه مـرعـود
واليمـن الميـمـون كـالحـجـاز ... دوخـهـا بـالـقـهـر والمغـازي
والحـرمـين وهـي المطـهـرة ... قد أصبحت بعدله مطهره
بالرفق يدعوهم وبالتعطف ... ومـن أبـى يـطـره بـالمشـرفـي

* * *

ولم يكن في نزعه من ضعف ... وشـاهـد الـواقـع فيـه يـكـفـي
فـلـم أر مـن عـبـقـري يـفـري ... فـريـه مـن أمـراء الـعـصـر
وهـكـذا مـن يـبـتـدي بـنـفـسـه ... مجـاهـداً فـي يـومـه وأمـسـه
فـإنـه يـطـاع لا محـالـه ... فـي خـارج بـيـعـا بـلا إقـالـة
ونـغـمـات أمـره مـتـرجمـة ... ليظـهـر الحق وتعـلـو الـكـلـمة
وهو الغيور الشهم ليس يرضى ... بـبـيـضـة الإسـلام أن تـرضـا
لا يطلب الدنيا ولا الفسادا ... في الأرض والعلو والعنادا
أو مـذهـبـاً أو ذهـبـاً يـريـد ... وإنـمـا مـطـلـوبـه الـتـوحـيـد

وقال عبد الجليل، بعد أن ذكر إعلانه التوحيد :

بعون إله العرش جل ثناؤه ... وتأييده تاج الملوك القماقم
سـعـود أدام الله أيـام سـعـده ... وكان له الإقبال خير ملازم
إمام الهدى بحر الندى من سقى العدا ... كؤوس الردى حتى اهتدى كل راغم
أخو همة يستصغر الخطب عندها ... وتعلو على هام السهى والنعائم
إذا نـزل الأمـر الـفـظـيـع رأيـتـه ... نـهـوضـاً بـأعـبـاه بهـمـة حـازم

* * *

له عزمات تتقى الأسد بأسها ... بها الله عنا زاح هول العظائم
إمام حوى مجداً وعز مناقب ... فليس له في فضله من مزاحم
إذا رمت علماً فهو في العلم لجة ... تدفق بالدر النفيس لناظم
وإن رمت جوداً فهو كالغيث للورى ... إذا أخلفت أيدي السحاب الرواكم
ورأي سديد يستضاء بنوره ... إذا عم أمر المعضلات الكوالم
وحلم رزين لا يجارى ببعضه ... أليس محاكي الراسيات بواهم
وطاع له عرب القبائل كلها ... وإنا لنرجو الله طوع الأعاجم

ولو ذهبنا نذكر فضائله ومحاسنه ، وفتوحاته ، وما أثني به عليه ، لخرج بنا عن المقصود .

وقد قال الشيخ : عثمان بن بشر ، في تأريخه : كان ذا رأي باهر وعقل وافر ، ثبتاً شجاعاً ، محبباً إليه الجهاد في صغره وكبره ؛ فأمنت به البلاد ، وطابت قلوب العباد ، وانتظمت مصالح المسلمين بحسن مساعيه ، وانضبطت الحوادث بين مراعيه .

فبلغ من الشرف منتهاه ، ومن سنام المعالي أعلاه ، وكان متيقظاً ، بعيد الهمة ؛ وذكر شيئاً من محاسنه ومآثره ، **ثم قال** :

ولو تتبعت فضائله ، ونائله ، وغزواته وفتوحاته ، وما مدح به من الأشعار ، من أقاصي الأقطار في حياته ، وما رثي به من الشعر بعد وفاته ، لم يسعه كتاب كبير .

وقد كان ، رحمه الله ، شجاعاً في الحروب ، محبباً إليه الجهاد في صغره وكبره ، بحيث إنه لم يتخلف في جميع المغازي ، والحج ، ويغزو معه بجملة من العلماء من أهل الدرعية ، وأهل النواحي ، ويستخلف في الدرعية أحد بنيه .

وكثيراً ما يستخلف ابنه عبد الله ، ويغزو معه بنوه ، وإخوته وبنو عمه عبد الله ، وكل واحد من هؤلاء ، معه دولة عظيمة من الخيل والركاب ، والخيام والرجال ، في الجهاد وبذل الاجتهاد .

وفتح أكثر البلاد في أيام أبيه وبعد موته ، وأعطى السعادة في مغازيه ، ولا يعلم أنه هزم له راية ، بل نصر بالرعب الذي ليس له نهاية ، وكل أيامه مواسم ، ومغازيه مغانم ، وقد قذف الله الرعب في قلوب أعدائه ، فإذا سمعوا بمغزاه ومعداه ، هرب كل منهم ، وترك أباه وأخاه ، وما حواه .

رفع رايات التوحيد ، فيما وراء الحرة وعمان ، وشيد قصراً على حدود مسقط ، ألف قدم فوق البحر ، واجتاز إلى حوران والكرك ، فوصل إلى أبواب الشام وفلسطين ، وأرسل إلى الولاة هناك يدعوهم إلى توحيد الله .

ويأمر جنوده بالصبر في مواطن اللقاء ، ويزجرهم عن العجب بالكثرة ، والزيادة في النفوس ، الذي هو سبب الفشل والهزيمة ، ويزجرهم عن الغلول .

وإذا صلى الصبح ركب بالمسلمين ، وضجوا بالتكبير ، وأغاروا ، فتظلم الأرض والسماء من إثارة النقع ، فيغيب الذهن في تلك الساعة ، ويوقن المسلمون بالنصر ، فيوقع الله بأسه فيمن قصدته تلك الجنود ، فلا يرفع السيف إلا عمن لم يبلغه الحلم ، أو امرأة أو شيخ كبير ، وتؤخذ جميع الأموال .

ثم يرحل عن مغارة القوم ، بجميع تلك الغنائم ، مع البادي والحاضر ، وينزل قريباً منها على بعض الموارد ، فتعزل الأخماس ، وتباع الغنائم بدراهم ، وتقسم على جميع الغزو ، للراجل سهم ، وللفارس ثلاثة أسهم ، سهم له ، وسهمان لفرسه .

وأما جنوده ، ومماليكه ، وخيله ومدافعه ، فلا يحصيها العد ، ولا يبلغها الحصر والحد ، وكان يرسل لقبض زكاة السائمة من بوادي جزيرة العرب ، مما وراء الحرمين ، وعمان واليمن ، والعراق والشام ، وما بين ذلك من بوادي نجد ، بضعاً وسبعين عاملاً ، مع كل عامل طائفة .

فما تجبيه تلك العوامل ، ويجبى إلى الدرعية من أموال البحرين والقطيف ، وعمان واليمن ، والحجاز وتهامة ، وغير ذلك ، وزكاة ثمار نجد وعروضها ، لا يستطيع أحد عده ؛ وما ينقل من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك ، وما يدفع للوفود وفقراء البلدان من الصدقات ، ألوف مؤلفة .

وكان رحمه الله : آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، كثير الحض على ذلك ، في مجالسه ومراسلاته ، ناصراً لأهله ، محبباً إليه أهل العلم ، ويعظهم ويكرمهم ، ويجزل عطاياهم ، ويلزم أهل البلدان بإكرامهم ، وتعظيمهم وتوقيرهم .

وإذا أراد إنفاذ أمر ، أرسل إلى خواصه ، من رؤساء البوادي ، واستشارهم ، ثم يرسل ، إلى خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية ، ثم يرسل إلى أبناء الشيخ ، وأهل العلم من أهل الدرعية ، ومال إلى رأيهم وأظهر لهم رأيه .

وفضائله ومحاسنه ؛ ونائله ، وغزواته ، وفتوحاته ، وما مدح به من الأشعار ، من أهل نجد والأمصار : أشهر من أن تذكر .

وبالجملة : فمحاسن هؤلاء الأمجاد ، وفضائلهم ، ومحامدهم ، ومآثرهم ، طبق الأرض أزال الله بهم عن الناس الجهل ، والمحن والظلم والجور والبغي والفتن .

كان قضاته على الدرعية ، بني الشيخ : حسين ، وعبد الله ، وعلي ؛ وابني ابنيه : عبد الرحمن بن حسن ، وعلي بن حسين ابني الشيخ ؛ والشيخ حمد بن ناصر بن معمر ؛ وقاضيه على الرياض ، الشيخ : عبد الوهاب بن صالح ، ثم ابنه محمد .

وقاضيه على الأحساء ، الشيخ : محمد بن سلطان

العوسجي ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن نامي ؛ وعلى القطيف ، الشيخ : محمود الفارسي ؛ وعلى جبل شمر ، وما يليه ، الشيخ : عبد الله بن سليمان بن عبيد ؛ وعلى ناحية القصيم ، الشيخ : غنيم بن سيف ؛ وعلى ناحية الوشم ، الشيخ : عبد العزيز الحصين ؛ وعلى ناحية سدير ، الشيخ : علي بن يحيى بن ساعد .

وعلى ناحية منيخ ، الشيخ : عثمان بن عبد الجبار ؛ وعلى حريملاء ، والمحمل ، الشيخ : عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين ؛ وعلى ناحية الخرج ، الشيخ : حمد بن راشد العريني ؛ وعلى اليمن ، الشيخ : حسين بن خالد الشريف ؛ وعلى الطائف ، وناحية الحجاز ، الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ؛ وعلى تهامة ، الشيخ : أحمد الحفظي .

وأما مكة فأقر فيها قضاتها ، ثم أرسل إليها ، الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، وفي جدة ، الشيخ : سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ ؛ وعلى المدينة ، الشيخ : حمد الياس الحنفي ؛ والشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ؛ وأما غير ذلك من النواحي ، فكان يبعث إليها القاضي نحو سنة ، ثم يرجع ، ويبعث غيره .

وأميره على الرياض : عبد الله بن حسن الفضلي ، وأميره على الأحساء إبراهيم بن عفيصان ، وعلى القطيف

أحمد بن غانم ؛ وعلى البحرين سليمان بن خليفة ؛ وعلى عمان سلطان بن صقر بن راشد ؛ وعلى الجيوش في عمان : مطلق المطيري .

وعلى جبل شمر ، والجوف : محمد بن عبد المحسن بن فائز بن علي ؛ وعلى ناحية القصيم : حجيلان بن حمد ؛ وعلى ناحية سدير حمد بن سالم ، ثم عبد الكريم بن معيقل ؛ وعلى ناحية الوشم : محمد بن غيهب ، وعلى المحمل ساري بن يحيى ؛ وعلى ناحية الخرج : عبد الله بن عفيصان .

وعلى وادي الدواسر : ربيع بن زيد ، وعلى بيشة ونواحيها : مسلط بن قطنان ؛ وعلى الطور وتهامة عبد الوهاب أبو نقطة ، ثم طامي بن شعيب ؛ وعلى الطائف والحجاز عثمان المضائفي ، وعلى مكة غالب بن مساعد الشريف ، وعلى المدينة حسن قلعي ، وعلى ينبع جابر بن جبارة الشريف .

توفي رحمه الله وأسكنه جنات النعيم ، سنة ١٢٢٩هـ ، في بلد الدرعية ، ورثاه جم غفير من جهابذة العلماء .

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ، رحمهما الله تعالى

هو الإمام الحبر الهمام ، بدر الأعلام مفتي الأنام ، حجة الإسلام قمر الدجى ، شمس الضحى ، الثقة الثبت ، العلم البارع ، التقي النقي ، الورع الفارس في العلوم ، والسيف الصارم المسلول على المبتدعين ، والحبر القائم بأمور الدين .

ذو الهمة والشجاعة والإقدام ، فائق علماء زمانه ، مجتهد زمانه فلك هو قطبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، إذا ذكر المسألة بهت الناس من كثرة محفوظه ، وجودة إيراده ، وإعطائه كل قول ما يستحقه ، يقول الحق الذي أدى إليه اجتهاده .

مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكر ، وسرعة الإدراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرماته ، لم ير تحت أديم السماء بعد والده مثله علماً وعملاً ، وحالاً ومقالاً ، وحلماً وخلقاً ، واتباعاً وكرماً ، وقياماً في حق الله .

هو عالم نجد ومفتيها بعد والده ، ولد في بلد الدرعية ، وأخذ العلم عن أبيه وخلق ، وتفقه في المذاهب ، وأدرك في الأصول والفنون أعلاها ، وتفنن في علوم الإسلام ، حتى بلغ علاها ، كان عارفاً بالتفسير لا يجارى ، وبأصول الدين ، وإليه فيها المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعربية .

وبالجملة له اليد الطولى في كل فن من فنون العلم ؛ له المصنفات المشهورة المقبولة ، والفتاوى القاطعة غير المعلومة ، والرسائل والنصائح السامقة المبرورة ؛ منها :

١ ـ الرد على الزيدية أسماه « جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية » مجلد .

٢ ـ مختصر السيرة « مجلدان » وله مشاركة في كتاب التوضيح .

٣ ـ الفصول النافعة في المكفرات الواقعة .

٤ ـ منسك في الحج .

٥ ـ رسائل وفتاوى تبلغ مجلداً ، فرقناها في مواضعها على حسب الترتيب ، وله مجالس في التدريس مشهورة ، بإحياء علوم أصول الدين معمورة ، يأتي إليه العلماء من الأمصار ، والسؤالات من جميع النواحي ، والأقطار ، فيفهم أحسن إفهام ، ويجيب أصوب إيقاع ، بإيجاز ، وانتظام ، أثنت عليه أهل نجد بأسرها ، وأهل الخبرة في برها وبحرها .

قال الشيخ : حسين بن غنام يثني عليه ، وعلى إخوانه علماء الدرعية :

مدارسهم معمورة بعلومهم	وماثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا
فلست ترى إلا مفيداً وهادياً	وعلماً وتحديثاً بذا تسمع اللغطا
وأمراً بمعروف وتنكير منكر	وتنكيل من قارف الذنب والسخطا
وحثا على فعل الصلاة جماعة	وتوبيخ من عنها تخلف أو ابطا

وقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف ، بعد ثنائه على الشيخ :

وأبناؤه الغر الكرام قد اقتفوا	محجته المثلى وفي نصرها جدوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم	فكم قد أفادوا من يروح ومن يغد
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا	وكم شبهة جلوا وأبوابها سدوا

وقال الشيخ : أحمد بن عبد القادر الحفظي :

وحف بآل الشيخ أعلام مكة ... على حلقات الذكر حق الهيا
مدارس في التوحيد تصنيف والد ... لهم طالما عفت عليها العوافيا
فأصبح توحيد العبادات ظاهراً ... على الأرض والشرك المحرم خازيا
أئمة حق والنصوص طريقهم ... وأحمد خريت الطريق وهاديا
على مذهب الحبر الإمام ابن حنبل ... عليهم من المولى السلام يوافيا
عقائدهم سنية أجمع الملا ... عليها خصوصاً تابعاً وصحابيا

أخذ عنه العلم الخلق الكثير ، والجم الغفير ، الجهابذة النبلاء ، منهم بنوه الشيخ سليمان ، وعلي وعبد الرحمن ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ حسن بن حسين ، والشيخ عبد الرحمن بن حسين وحمد وعلي ابنا الشيخ حسين بن الشيخ ، والشيخ محمد بن سلطان ، والشيخ محمد بن عبد العزيز .

والشيخ أحمد الوهيبي ، وعبد الله الوهيبي ، والشيخ عبد العزيز بن معمر ، والشيخ سعيد بن حجي ، والشيخ جمعان ، ومسفر بن عبد الرحمن ، والشيخ أبا بطين ، والشيخ محمد بن مقرن ، والشيخ عثمان بن عبد الجبار ، والشيخ إبراهيم بن سيف ، وغيرهم .

كان رحمه الله : ذا عبادة وتهجد ، وطول قيام ، ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والإنابة ، والافتقار إلى الله ،

والانكسار ، والانطراح بين يديه ، على عتبة عبوديته ، لم ير في معناه مثله .

نقل إلى مصر سنة ١٢٣٣هـ ، وتوفي فيها سنة ١٢٤٢هـ ، رحمه الله وعفا عنه ، وأسكنه الفردوس الأعلى .

الشيخ حسين بن الشيخ محمد رحمهما الله

هو العالم الفاضل ، مفيد الطالبين ، قامع المشبهين ، الشيخ القدوة : حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

كانت له المعرفة في الأصول والفروع ، والتفسير وغيره ؛ انتفع الناس بعلمه ، وله همة وشجاعة ، وشهامة مشهورة ، وسعة دائرة في السنن والأقوال ، وكمال فكر وتصور من ربه ، وزهد وعبادة ، وتعظيم لحرمات الله .

أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد وغيره ، وكان متواضعاً عند الخاصة والعامة ، ذا أناة وحلم ووقار ، مجالسه عامرة بالفقهاء والمحدثين ، وأهل الخير ، كثير الإفادة ، فضائله مشهورة ، وأوقاته ، بالخير والنفع معمورة .

قال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي يذكر فضله وإخوته :

سلام على الأحباب من كل جهبذ	أئمة دين الحق موضحة الرشد
حسين وإبراهيم نجلي محمد	كذاك عبد الله واسطة العقد
وقد وضحوا في ديننا كل مشكل	فبان لنا وجه الصواب بلا رد
وقد هدموا في الدين كل ضلالة	وكل غلو أو فساد لذي حقد

وهم في ظلام الجهل أشرف أنجم بهم يهتدي من حار في الغور أو نجد

وهو أشهر من أن يذكر ، له فتاوي ، وكان هو القاضي في بلد الدرعية بعد والده ، والإمام في الجمعة في مسجد الجامع ، مسجد الطريف الكبير في الدرعية ، الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية ، وإماماً في مسجد البجيري .

وله مجالس في التدريس ، أخذ عنه العلم جماعة من العلماء ، من القضاة وغيرهم ؛ منهم : أبناؤه الشيخ علي ، والشيخ حسين وابنه عبد الرحمن ، والشيخ سليمان بن عبد الله ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه ، وعلي بن عبد الله ، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر .

والشيخ : أحمد الوهيبي ، والشيخ سعيد بن حجي ، وخلق ممن تأهل وغيرهم ؛ توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى سنة ١٢٢٤هـ ، في ربيع الآخر ، في بلد الدرعية ، وبكته تلك المجالس وسائر الرعية ، ورثاه بعض معاصريه ، فرحمه الله وعفا عنه .

الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد ، رحمهما الله تعالى

هو الثقة العابد الورع ، حسنة الأيام ، فخر الأنام ، لم يرَ أزهد ولا أورع ، ولا أعبد منه ، متواضعاً ليناً كيساً ، حسن الأخلاق ، كأن النور يخرج من وجهه ، كثير العبادة ، كثير الزهادة ، أخذ العلم عن أبيه وغيره .

أدرك حظاً من العلوم وأفاد ، وانتفع به فئام من العباد ، له مشاركة كثيرة في رسائل وأجوبة ، ولم أقف له على وفاة ولكنه موجود سنة ١٢٥١هـ ، في مصر ، وتوفي فيها رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الشيخ علي بن الشيخ محمد رحمهما الله تعالى

هو الإمام العالم العلامة ، الثقة الثبت الزاهد الورع ، كان شهماً هماماً ، فقيهاً صدوقاً ، حسن الطريقة ، كيساً متواضعاً ، مع غزارة العلم ، عذب العبارة ، مكرماً للطلبة .

أخذ العلم عن أبيه وغيره ، ورزق علماً وفهماً ، حتى صار يتكلم في المسائل مع الفقهاء ، وله مجالس مشهورة ، وأياد مذكورة ، وأخلاق حسنة مشكورة ، وأجوبة ونصائح ، قال محمد الحفظي بعد ثنائه على الشيخ محمد :

أولاده مشائخ التحقيق　　وسدرة في منتهى الطريق

توفي رحمه الله وعفا عنه بمصر .

الشيخ حمد بن معمر ، رحمه الله تعالى

هو الإمام العالم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، المحقق المجتهد ، الحافظ المتقن الورع ، الفارس في العلوم ، والسيف الصارم المسلول ، قامع المشبهين ، بقية السلف ، قدوة الخلف .

الشيخ الجليل : حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ؛ كان فقيهاً محدثاً ، زاهداً عابداً كثير الخير ، له قدم راسخ في الفتوى ، ذا جلالة ومهابة ، وذكاء وكيس ، ومروءة ، نبيهاً شهماً حسن السمت ، حسن الخلق .

أخذ العلم عن الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، وأخذ العربية عن الشيخ حسين بن غنام وغيرهم .

بلغ في العلوم العقلية والنقلية مبلغاً ، له اليد الطولى في الأصول ، والفروع ، والحديث واللغة العربية وغيرها ، قليل المثل في الديانة والعبادة ، جمع أنواع المحاسن والمعالي ، قرن بين خلتي العلم والحلم ، والحسب والنسب ، والعقل والفضل ، والتدريس والتصنيف ، والفتاوي والنصائح .

أوحد العصر في أنواع الفضائل ، مجالسه بالعلم معمورة ، وبالفقهاء مشحونة ، وأوقاته بالخير مقرونة ، وأخلاقه بالزكاء مشهورة ؛ أخذ عنه العلم ابنه الشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ عبد الله أبا بطين ، والشيخ سليمان بن عبد الله ، والشيخ علي بن الحسن اليماني ، وخلق .

وله رسائل وأجوبة تبلغ مجلداً ، فرقناها في مواضعها على حسب الترتيب ؛ وكان قاضياً في الدرعية وغيرها ؛

وأرسله الإمام سعود : قاضياً ومعلماً في مكة المكرمة ، وأقام فيها مدة ؛ وتوفي فيها رحمه الله تعالى ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، سنة ١٢٢٥هـ ، في العشر الأخير من ذي الحجة .

وصلى عليه المسلمون تحت الكعبة المشرفة ، ثم خرجوا به إلى البياضية ، وخرج الإمام سعود ، وصلى عليه عدد كثير من المسلمين ، ودفن بمكة ، فرحمه الله وعفا عنه .

الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، رحمه الله

هو : الحافظ المحدث الفقيه المجتهد ، الثقة أوحد الحفاظ ، تاج عصره جمال الزمان ، الشيخ : سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٠٠هـ .

كان آية في العلم والحلم ، والحفظ والذكاء ، له المعرفة التامة في الحديث ورجاله ، وصحيحه وحسنه وضعيفه ، والفقه والتفسير والنحو ، وكان في معرفة رجال الحديث يسامي أكابر الحفاظ ، وضرب به المثل في زمنه بالذكاء ، وكان حسن الخط ، ليس في زمنه من يكتب بالقلم مثله .

أخذ العلم عن أبيه ، والشيخ حمد بن معمر ، وعن عميه الشيخ حسين ، والشيخ علي ؛ والشيخ حسين بن

غنام ، والشيخ عبد الله بن فاضل ، والشيخ عبد الرحمن بن خميس ، والشيخ عبد الله الغريب ؛ وأجازه الشيخ : محمد بن علي الشوكاني .

برع في الفنون ، كانت له اليد الطولى في الحديث ورجاله ، يروى عنه أنه كان يقول : أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية ، لم ير شخص حصل له من الكمال ، والعلوم والصفات الحميدة ، التي لم يحصل بها الكمال لسواه ، على صغر سنه .

صنف شرح كتاب التوحيد لجده ، فمن بعده عيال عليه ، ولكنه لم يكمله ، وله حاشية على شرحه ، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ، كان طلبة العلم يحفظونها عن ظهر قلب .

ورسالة في عدد الجمعة لم ينسج على منوالها ، وأجوبة فرقناها على حسب الترتيب ، ومن وقف على كلامه ، شهد له بالشهامة والجودة ، والذكاء والحفظ ، وحسن الفهم .

أخذ عنه العلم عدد كثير من أهل الدرعية وغيرهم ، منهم الشيخ محمد بن سلطان وغيره ؛ وكان رحمه الله آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فلا يتعاظم رئيساً في الأمر والنهي ، ولا يتصاغر ضعيفاً أتى إليه يطلب فائدة .

اخترمته المنية في عنفوان شبابه ، بكت عليه العيون بأسرها ، فيا له من خطب ما أعظمه ، وعاجل أجل ما أوجعه ، ومصاب ما أكبره وأهوله ، نمي به رحمه الله عند إبراهيم باشا فقتله ، أكرمه الله بالشهادة ، سنة ١٢٣٣هـ ، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى .

الإمام عبد الله بن سعود رحمهما الله

هو الإمام الهمام ، فرع شجرة الفخار ، سلالة الأطهار : عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، رحمهم الله تعالى .

كان ذا سيرة حسنة ، مقيماً للشرائع ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، كثير الصمت حسن السمت ، باذلاً العطاء ، صالح التدابير في مغازيه ، شجاعاً في مواطن اللقاء ، ثبتاً في مصابرة الأعداء ؛ وكانت سيرته في مغازيه ، وفي الدرعية ، وترتيب الدروس ، وقضاء حوائج المسلمين ، وغير ذلك على سيرة آبائه .

وكان قضاته ومدرسوه على الدرعية ، الشيخ : عبد الله بن الشيخ ، وابنه الشيخ سليمان ، والشيخ علي بن حسين ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ عبد الله الوهيبي ، وعلى الأحساء ونواحيه الشيخ : عبد الرحمن بن نامي ، وعلى عمان الشيخ : علي بن حمد العريني .

وعلى الحوطة والحريق : رشيد السردي ، وعلى ناحية سدير ، الشيخ إبراهيم بن سيف ، وعلى منيخ الشيخ

عثمان بن عبد الجبار ، وعلى الوشم عبد العزيز الحصين ، وعلى حريملاء والمحمل الشيخ محمد بن مقرن ، وعلى ناحية القصيم عبد العزيز بن سويلم ، وعلى جبل شمر الشيخ عبد الله بن عبيد .

وكان أميره على ناحية الأحساء : فهد بن سليمان بن عفيصان ، وعلى القطيف إبراهيم بن غانم ، وعلى عمان حسن بن رحمة ، وأمير الجيش في عمان بتال المطيري ، وعلى وادي الدواسر قاعد بن ربيع ، وعلى الوشم حمد بن يحيى بن غيهب ، وعلى الخرج عبد الله بن سليمان بن عفيصان .

وعلى بلدان المحمل ساري بن يحيى ، وعلى سدير ومنيخ عبد الله بن معيقل ، ثم إبراهيم أبا الغنيم ، وعلى ناحية القصيم حجيلان بن حمد ، وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن علي ، وباقي النواحي عليها قضاة أبيه وأمراؤه الذين تقدم ذكرهم .

نقل سنة ١٢٣٣هـ ، إلى مصر ، ثم إلى قسطنطينية ، وقتل هناك ، رحمه الله وعفا عنه .

الشيخ عبد العزيز الحصين ، رحمه الله تعالى

هو الإمام العلامة ، الفقيه الزاهد الورع ، الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين الناصري الحنبلي ، رحمه الله تعالى ؛ كان عالماً عاملاً زاهداً ورعاً ، حليماً

فاضلاً ، مهيباً فقيهاً ؛ وجعل الله في علمه البركة للناس ، وانتفع به أناس كثير من أهل النواحي .

أخذ الفقه في صغره عن الشيخ : إبراهيم بن محمد بن إسماعيل ؛ ثم أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابنه الشيخ عبد الله ، والشيخ حسين ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، وخلق غيرهم .

له مجالس في التدريس مشهورة ، وأوقاته بالعبادة معمورة ، وله رسالة في معنى التوحيد ، وفتاوي ؛ ولي القضاء في الوشم ، في ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد ، وأول ولاية الإمام سعود ؛ وأخذ عنه عدة من العلماء ، منهم الشيخ : عبد الله أبا بطين .

والشيخ إبراهيم بن سيف ، والشيخ غنيم بن مسفر ، والشيخ عبد الله بن سيف ، والشيخ محمد بن عبد الله الحصين ، والشيخ علي بن يحيى بن مساعد ، والشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد .

والشيخ محمد بن سيف ، والشيخ إبراهيم بن حجي ، والشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين ، والشيخ محمد بن نشوان ، والشيخ عبد الله القضيبي ، والشيخ عبد الكريم بن معيقل ، وغيرهم ممن لم يل القضاء الجم الغفير .

توفي رحمه الله تعالى ، في ١٣ من رجب ، سنة ١٢٣٧هـ .

الشيخ عبد العزيز بن معمر ، رحمه الله تعالى

هو الإمام العالم ، العلامة الحبر الفهامة ، المجتهد المتقن ، بحر العلوم ، الشيخ : عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

ولد في بلد الدرعية ، وأخذ العلم عن أبيه ، والشيخ عبد الله ، والشيخ علي ابني الشيخ ؛ والشيخ حسين بن غنام ، والشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ، وغيرهم ؛ وبرع في جميع الفنون ، فكان أديباً محققاً مدققاً ، فائقاً في الأصول والفروع ، شهماً هماماً ، يتوقد ذكاءاً زاهداً ورعاً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر .

اختصر النظم المعروف لابن عبد القوي ، وله كتاب فتح القريب المجيب في الرد على عباد الصليب في مجلد وله أجوبة ورسائل ؛ توفي رحمه الله في البحرين سنة ١٢٤٤هـ ، ورثاه الشيخ أحمد بن علي بن مشرف فقال :

أشمس الهدى غابت أم البدر آفل	أم النجم أمسى لونه وهو حائل
أم الدين هدّ الخطب جانب طوده	أم العلم قد أوهت بناه الزلازل
نعم أفلت شمس العلوم وبدرها	لدن غيبت حبر الزمان الجنادل
إمام الهدى عبد العزيز بن ناصر	فكم نصر الإسلام منه رسائل
رثته علوم الدين أن غاب نجمه	فأنجمها تبكي عليه أوافل
وظلت ربوع العلم تهتف باسمه	وتندبه للمشكلات مسائل
فمن بعده للمعضلات وحلها	وكانت له فيها تشد الرواحل

ومن للعدا يرمي بشهب علومه ومن للهدى يحمي وعنه يناضل

* * *

لقد صار في الإسلام ثلم بموته وكلم فمن ذا بالعلاج يحاول
وقد كان للإسلام حصناً ومفزعاً إذا نزلت بالمسلمين النوازل
فأصبح مقصوداً لمن طلب الهدى وكل لنيل المعالي رسائل
هو البحر إن رمت العلوم وبحثها سوى أنه للبحر يوجد ساحل
إذا ما أتاه السائلون عنده جواب من التحقيق شاف ونائل
وقد جهل الأقوام مقدار فضله وعاش زماناً ذكره فيه خامل
فلا عجب فالكنز يجهل غالباً وهذا زمان تسمو منه الأسافل

* * *

لقد جد في علم الشريعة ناصباً إلا أنه بالجزم للحق نائل
وقد كان مخفوض الجناح تواضعاً بأحرف علم هن فيه عوامل
أضيف إليه العم النفيس فجره إلى كل خير فهو بالعلم عامل
وفعل المعالي أوجبت رفع قدره كما يستحق الرفع في النحو فاعل
ولكنه في الفضل ما عنه نائب وليس له في عقله من يعادل
فحسبك من حسن الثنا ما ذكرته وما طال من شيء فما فيه طائل

* * *

لقد فقد العلم العزيز ونشره لدن فقدت عبد العزيز المحافل
سقى روحه الرحمن هطال رحمة وعم الرضا من غيبته الجنادل
فأوصيك بالصبر الجميل وبالرضا فحكم المنايا للبرية عادل

فلو كان سهم الموت يخطي واحداً   لعاش الهداة الأكرمون الأفاضل
لكنه حكم من الله نافذ   وخطب عميم للبرية شامل

الإمام تركي بن عبد الله ، رحمهما الله تعالى

هو الإمام الشجاع ، الفارس المجيد ، ، والشهم اللوذعي الوحيد ، لا يماثل في الشجاعة والبراعة ، ولا نظير له في الحلم ، والعفو والأناة ، الخليفة حقاً ، الشجاع صدقاً ، بل أوحد الشجعان : تركي بن الأمير عبد الله بن الإمام محمد بن سعود .

افتتح قرى نجد ، واستولى عليها حرباً وصلحاً ، بعد أن كان بعضهم يضرب رقاب بعض ، ورفضوا أكثر شعائر الإسلام ، فجاهد حق الجهاد ، حتى دانت له البلاد والعباد ، وصاروا كلهم جماعة ، وبايعوه على السمع والطاعة .

كان ذا رأي وفطنة وبراعة ، وله من الشهامة والشجاعة ، ما ليس لغيره من الملوك ، بل له الحظ الأوفر ، خصوصاً الشجاعة والديانة ، حتى إنه لا يقاس به في زمانه قرين ، مع تواضع للأرامل واليتامى والمساكين ، في هيبة جعلها الله عليه ، ومحبة في القلوب معروفة إليه ، وأعاد الله به أبهة هذا الملك ، فعمر أبنية المجد والكرم ، ورفع شرف آبائه وأعمامه .

قال الشيخ عثمان بن بشر : هو الإمام الشهير الفارس ، المجيد الذي لا يماثله أحد في الشجاعة والبراعة ، ولا يعرف له نظير في العفو والحلم والأناة ، وقال : كان شجاعاً مقداماً ، مجاهداً في سبيل الله .

أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها ، وتعذرت بين البلدان الأسفار ، فحاصر البلدان وقاتل العربان ؛ ودعاهم إلى الجماعة ، والسمع والطاعة ، حتى ضرب الإسلام بجرانه ، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه .

قدمت الوفود إليه من البلدان والعربان ، وأكرمهم وأحسن جوائزهم ، وكان يخرج كل خميس واثنين لحضور الدرس ، واجتماع المسلمين ، وكان الجالس المعلم في ذلك الدرس ، الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، وكان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ويرسل النصائح إلى البلدان ، ويحضهم على القيام بشرائع الإسلام .

وبالجملة : فمناقبه ، ومكارمه مأثورة ، وفضائله ، ووقائعه مشهورة ؛ ولو تتبعنا ما مدح به ، من الشعر والنثر ، لطال غاية ، وفيما نبهنا عليه كفاية .

وكان قاضيه على الرياض ، الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ علي وحسن ابنا الشيخ حسين ، وعلى الحوطة الشيخ سعد العجيري ؛ ثم الشيخ علي بن حسين ، ثم الشيخ عبد الملك بن حسين ؛ وعلى ناحية الخرج

الشيخ : عبد الرحمن بن حسين ، وعلى وادي الدواسر ، الشيخ : جمعان بن ناصر .

وعلى المحمل ونواحيه ، الشيخ : محمد بن مقرن ؛ وعلى الأحساء ونواحيه ، الشيخ : عبد الله الوهيبي ؛ وعلى سدير ، الشيخ : عبد الله بن عبيد ، ثم الشيخ عبد الرحمن الثميري ؛ وعلى منيخ والغاط والزلفي ، الشيخ : عثمان بن عبد الجبار ، ثم ابنه الشيخ عبد العزيز ؛ وعلى ناحية الوشم ، عبد الله أبا بطين ؛ وعلى القطيف محمود الفارسي ؛ وعلى القصيم الشيخ : قرناس .

وكان يبعث إلى جبل شمر وعمان والقطيف وغيرها قضاة من عنده ثم يرجعون ويرسل غيرهم كل سنة .

وكان أميره على الأحساء ونواحيه : عمر بن محمد بن عفيصان ؛ وعلى القطيف ونواحيه : عبد الله بن غانم ؛ وعلى وادي الدواسر : عبد الله بن إبراهيم الحصين ، ثم محمد بن عبد الله بن جلاجل ؛ وعلى ناحية سدير : محمد بن الأمير ثم محمد بن عبدان ؛ وعلى ناحية الخرج وما يليه : علي بن محمد بن عفيصان ؛ وعلى المحمل وبلدانه : يحيى بن ساري ؛ وعلى الوشم حمد بن يحيى بن غيهب ، ثم محمد بن عبد الكريم البواردي ؛ وعلى بلد بريدة : عبد العزيز بن محمد بن حسن ؛ وعلى بلد عنيزة يحيى بن سليمان بن زامل ، ثم محمد بن ناهض ؛ وعلى

جبل شمر صالح بن عبد المحسن بن علي .

قتل رحمه الله وعفا عنه ، سنة ١٢٤٩هـ ، يوم الجمعة آخر ذي الحجة ، بعد صلاة العصر ؛ وذلك : أن مشاري بن عبد الرحمن ، قدم عليه فأكرمه ، وزاد في إكرامه ، واستعمله أميراً على منفوحة ، ثم وشي به عند خاله تركي ، فعزله عن الإمارة ، فعزم على إثارة الفتنة ، بمساعدة أسافل ، من الخدام والأراذل .

فاعترض الإمام تركي رحمه الله ، خادم لهم ، فقتله ، فإذا مشاري قد خرج من المسجد ، فشهر سيفه وتهدد الناس وتوعدهم ، وشهر أناس ، سيوفهم معه ، فبهت الناس ؛ وعلموا : أن الأمر قد تشوور فيه ، وقضي بليل ؛ ثم جلس للمبايعة ، وأرسل إلى آل الشيخ فبايعوه ، وبايعه الناس ، ولكن البغي مصرعة الرجال : ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ [الإسراء : ٣٣] .

ثم بلغ الأمير فيصل الخبر ، وهو في القطيف ، فرحل قافلاً ، فلما قدم الأحساء فشا ذلك في الناس ، وكان مع الأمير فيصل رؤساء المسلمين ، من الأمراء والأعيان ، فأرسل إليهم وأخبرهم بالأمر ، وأبدى لهم أنه لا بد أن يأخذ بالثأر ، ويضرم عليهم نار الحرب ، لا يقر له عن ذلك قرار .

وذاكرهم وذكرهم ، فقاموا كلهم وبايعوه ، ثم رحل

وساعدته الأقدار ، حتى قتل مشاري وسط القصر ، والقصاص يكفر الله به عن الجاني ، فلم يلبث مشاري بعد قتل الإمام تركي إلا أربعين يوماً ، وقتل ليلة الخميس ١١ من صفر ، سنة ١٢٥٠هـ .

الإمام فيصل بن تركي رحمهما الله تعالى

هو الخليفة العادل ، الزاهد العابد ، فخر الإسلام والمسلمين ، ناصر شريعة سيد المرسلين ، محيي العدل في العالمين ، نصرة المظلومين ، قامع المعتدين والمسرفين ، منبع الكرم والإحسان ، مؤيد السنة والقرآن ، الذاب عن حوزة الدين ، القائم في مصالح المسلمين ، الملتجئ إلى الله ، المستضاء بداره ، المطروق مورد فنائه ، المصدوق في مورد ثنائه ، المحقوق من كل ولي بولائه ، نجل السادة الغر ، القادة الزهر .

أبو عبد الله الإمام فيصل بن الإمام تركي بن الأمير عبد الله بن الإمام محمد بن سعود ، ولد سنة ١٢١٣هـ ، وطلعت بشائر سعوده ، وهو ملتف في مهوده ، فحاز مفاخر الأوائل والأواخر ، وصلحت منه البواطن والظواهر ، واجتمعت فيه المكارم ، والفضائل ، وزانت به المجالس والمحافل ، واقتحم عظائم لم يقتحمها عشائره ، وجدوده .

وجيش الجيوش براً وبحراً ، وأخذ الممالك طوعاً وقهراً ، وتوفرت بحسن سيرته مصالح المسلمين ، وجمع في

سياسته بين الشدة واللين ، سياسة تعجز عنها الملوك وأعوانها ، وصلحت بها الممالك وسكانها ، لم يكن سفاكاً للدم الحرام ، ولا غاصباً للمال الحرام من أيدي الأنام ، معرضاً عن جميع الحطام ، مستغيثاً بربه في دياجي الظلام ، له من السيرة المحمودة وتقديم الشرع ، وترك الظلم والجور ، وإقامة العدل ، الحظ الأوفى .

عفيف ، شريف النفس ، للفضل عارف ، حليم كريم ، سالم القلب منصف ، استبشرت الأرض بطلعته ، وأمنت الطيور في حوزته ، وحفت الملائكة برياض جنته ؛ وسرت بولايته الأوطان والأوطار ، وأنفذ الله به أمره ونهيه في الأقطار .

ولي الخلافة بعد مقتل مشاري ، وقارنه العز والتمكين ، وجلس على سرير الملك والشرف ، وأعلن بالحمد والشكر واعترف ، وأطلع الله شمس سعادته مشرقة الأنوار ، ولبست الدنيا ملابس الافتخار ، أخذ الولاية لا عن كلالة ، وأتاه الملك مستبشراً يجر أذياله ، فلم يكن يصلح إلا له .

أتته الإمامة منقادة ... إليه تجر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها
ورث الإمامة كابراً عن كابر ... لا زال ظلًا دائماً ممدوداً

هزت بمظهره الولاية عطفها ... فرحاً به وتأودت تأويدا
ملك رقى المعالي وهو مرعرع ... فكأنهن جعلن له مهودا
ملك براحته الصوارم تشتكي ... تعب الجلاد وكم تشق جلودا
ملك له عند الكفاح علامة ... أعني بها التكبير والتحميدا

أثنت عليه الأقاليم والأمصار ، وفرح به الإسلام واستنار ، وشاع صيته وطار في الأقطار ، وأثنت عليه جهابذة العلماء ، في المحافل والأسطار ، وما أحسن ما قيل فيه :

إمام أتانا بالمسرة والهنا ... وبالعز والعدل العميم وبالرشد
به شد أزر الدين واستوثقت به ... عراه وقام الحق في شده العضد
وعادت قضايا الشرع مخضرة الربا ... معاهدها مأهولة في حمى صهدى
هو النور بين الرشد والغي فيصل ... بهدي ابن تركي ذا الأعاريب تشهدي
به الجار من كل الحوادث آمن ... قرير سرير القلب والعيش في رغد
بآرائه سود الفوادح تنجلي ... وبالرأي إدراك الفتى قبل ذي جد
أخو همة تدنى له كل شاسع ... ويرتاض من أعمالها كل مشتد
يهاب ويرجى حارباً ومسالماً ... ففي الحرب يسطو سطوة الأسد الوردي
وفي السلم برأي يحيى مهذب ... وأخلاقه الأزهار مطلولة البرد
له راحة في الجود تغني عن الحيا ... إذا بخلت أيدي الكرام عن الرفد

وقال **الشيخ** أحمد بن مشرف الأحسائي :

ليالي المنى جادت علينا بالسعد ... لدن جمعتنا بالإمام المسدد
حليف المعالي فيصل من سمت به ... مناقبه فوق الثريا وفرقد
تفرع عن روح المكارم وانتمى ... من الحسب السامي إلى خير محتدي
كريم السجايا ماجد من أماجد ... بنوا في المعالي كل فخر وسؤدد
ولكنه أضحى بأعلى أرومة ... يقصر عن إدراكها كل سيد
إمام الهدى جالي الصدى منهل الندى ... ومردي العدا بالمشرفي المهند
حما أرض نجد بالصوارم والقنا ... وأمنها من كل باغ ومعتد
هو البطل المقدام كالليث في الوغى ... وغيث اليتامى والفقير المضهد
رفيق شفيق بالورى متواضع ... ببذل العطايا هاطل كفه ندي
له نفس حر تشتري المجد والثنا ... بكل نفيس من لجين وعسجد

وقال :

لئن لبست نجد بملكك مفخراً ... فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر

وقال :

أخو همة في شامخ العز قد علت ... فمن مثله في الفضل والبأس والندى
أبو المجد وابن المجد والمجد أصله ... حليف العلا من كان في الفضل أوحدا
إمام همام باسل باذخ العلا ... له بسطتا فضل وفصل على العدا
فأكرم به فرعاً سلالة مقرن ... وآباؤه الغر الكرام أولو الهدى
لقد نصروا دين الإله وقوموا ... من السنة الغراء ما قد تأودى
هو الأسد الضرغام والضيغم الذي ... إذا ريم خسفاً وجهه يتربدا

لقد أمن الله البلاد وأهلها بوطئته الأعدا ومن كان ملحدا

وقال :

لاتحسب الملك القصور وماحوت من آلة للحرب أو متمول
بل مالك الملك الإله وإنه جعل الخلافة في الإمام الأعدل
جمع الإله له القلوب فأجمعت كل النفوس على إمامة فيصل

وقال :

إمام حوى كل المكارم والعلا وطاب له في العالمين أروم
له نسب في وائل بن ربيعة نماه إلى أعلى الفخار صميم
تفرع من صيد الملوك الذين هم لهم مكرمات جمة وحلوم
هم نصروا دين الهدى بعد أن عفت له بين سكان البلاد رسوم
وأحيوا بأطراف الأسنة سنة لخير الورى منها العظام رميم
وقد ورثوا المجد الأثيل لفيصل فعاد كريم الأصل وهو كريم
هو الضيغم الضرغام في كل معرك إذا شب من نار الحروب جحيم

وما أحسن ما قيل :

له في سرير الملك أصل مؤثل تلقاه عن أسلافه السادة الغر
هم العقد من أعلى اللآلئ منظماً وفيصل في ذا العقد واسطة الدر
غدت أرض نجد منه تزهو ملاحة وترفل في ثوب الجلالة والفخر

وهو أشهر من أن يذكر ، وكان له رحمه الله تعالى سر مع ربه ، يلتجئ به إليه في الشدائد ، وثقة به في كل نازلة يرجوه ويعول عليه ، وكان قد حفظ القرآن عن ظهر قلبه

صغيراً ، وحافظ على تلاوته والتهجد به شاباً وكبيراً .

وله الحظ الأوفى من الليل والقيام فيه ، وكثرة التضرع والابتهال بين يدي بارئه ؛ وكم حامت عليه الحوائم ، وجلت الخطوب ، فيعجل الله له بالفرج القريب ، ويجعل له المخرج العجيب .

كان قضاته على الرياض ومدرسوه : الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ علي بن حسين وابنه الشيخ حسين ، والشيخ إبراهيم بن سيف والشيخ عبد العزيز بن شلوان ، والشيخ عبد الرحمن بن عدوان ، والشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي ، وعبد الرحمن بن بشر .

وقاضيه على بلد عرقة الشيخ : محمد بن سلطان ، وعلى منفوحة الشيخ عبد الله بن جبر ، وعلى ضرمى الشيخ عبد الله بن نصير ثم الشيخ عبد الله بن مرخان ، وعلى المحمل الشيخ محمد بن مقرن ، ثم الشيخ عبد العزيز بن يحيى ، وعلى سدير الشيخ عبد العزيز بن عبد الجبار ، ثم عثمان بن منصور ؛ ثم الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي .

وعلى الوشم الشيخ : إبراهيم بن عيسى ، وعلى الحوطة الشيخ علي بن حسين ثم الشيخ عبد الملك بن حسين ، وعلى الحريق الشيخ حسين بن حمد ؛ وعلى نعام الشيخ محمد بن عجلان ؛ وعلى الحلوة الشيخ ناصر بن

عيد ، وعلى الخرج الشيخ عبد الرحمن بن حسين ، ثم الشيخ حمد بن عتيق ، ثم الشيخ محمد بن عجلان .

وعلى الافلاج الشيخ حسين بن فرج ، ثم رشيد بن عوين ، ثم الشيخ حمد بن عتيق ، وعلى وادي الدواسر جمعان بن ناصر ، ثم ناصر بن عيد ، ثم الشيخ حمد بن عبد العزيز ، ثم الشيخ محمد بن محمود ؛ وعلى القويعية علي بن فراج ، ثم الشيخ سعود بن محمد .

وعلى بريدة سليمان آل مقبل ، وعلى عنيزة الشيخ عبد الله أبا بطين ، ثم الشيخ علي بن محمد ؛ وعلى حائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف ، ثم الشيخ علي بن سليم ثم الشيخ الغنيمي ، وعلى الأحساء الشيخ محمد بن عبد القادر ، ثم الشيخ عبد الله الوهيبي ، ثم الشيخ عبد الرحمن الوهيبي ، ثم عبد اللطيف آل مبارك .

وكان يخلف في الرياض أميراً سعد بن خير الله ، وأميره على عرقة محمد الهلالي ثم ابنه عبد العزيز ، وعلى الدرعية إبراهيم بن رواف ثم إبراهيم الطويل ، وعلى ضرمى محمد بن عبد العزيز ، ثم علي بن عبد الله بن عبد العزيز ، وعلى الخرج سليمان بن منديل ، ثم ابنه الأمير سعود بن الإمام فيصل ، ثم محمد بن سنبل .

وعلى الحوطة محمد الجبر ثم أخوه عثمان ، وعلى آل حسين ناصر بن عبد الله ، ثم رشيد بن حمد ، وعلى

الحريق تركي الهزاني ثم ابنه سعد ، وعلى الحلوة إبراهيم بن خريف ، وعلى الافلاج ابن عبيد الله ، ثم عبد الرحمن بن إبراهيم ، وعلى وادي الدواسر ناصر بن عيد ، ثم عبد الرحمن بن إبراهيم .

وعلى القويعية ناصر بن سعود ثم حمد بن جبرين ، وعلى الشعيب والمحمل فيصل بن مبارك في حريملاء ، وسعد بن محمد في ثادق ، وعلى سدير إبراهيم العسكر ، وعلى الوشم محمد الجميح ، وعلى الشعراء سعد بن سعود ، وعلى بريدة عبد العزيز آل محمد ، ثم مهنا بن عرفج .

وعلى عنيزة جلوي بن تركي ثم يحيى بن زامل آل سليم ، وعلى حائل عبد الله الرشيد ، ثم طلال الرشيد ؛ وعلى الأحساء أحمد السديري ، ثم ابنه محمد ، وعلى عمان سعد المطيري ، ثم أحمد السديري ثم ابنه تركي ، وعلى القطيف عبد الله المداوي ، ثم محمد بن مرشد ، ثم محمد بن عبد العزيز صاحب ضرمى .

وكان رحمه الله : آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، محباً للعلماء ، ومجالستهم ؛ وكان على طريقة آبائه في تعاهد الرعية بالنصائح .

توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى ، في رجب سنة ١٢٨٢هـ ، في بلد الرياض ، ورثاه جمع منهم الشيخ ، أحمد بن مشرف :

على فيصل بحر الندى والمكارم ... بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
إمام نفى أهل الضلالة والخنا ... بسمر القنا والمرهفات الصوارم
فكم فل من جمع لهم جاء صائلاً ... وأفنى رؤوساً منهم في الملاحم
يجر عليهم جحفلاً بعد جحفل ... ويرميهم في حربه بالقواصم
فما زال هذا دأبه في جهادهم ... تغير بنجد خيله والتهائم
إلى أن أقيم الدين في كل قرية ... وأصبح عرش الملك عالي الدعائم
وأخلى القرى من كل شرك وبدعة ... ومازال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطي جزيل المال محتقراً له ... سماحاً ويعفو عن كثير الجرائم
مناقب جود قد حواها جبلة ... فحاز الثنا من عربها والأعاجم
تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس مع كل ناعم

الشيخ محمد بن مقرن رحمه الله تعالى

هو العلامة الشهم الفقيه النبيه ، ذو العقل الفائق ، والرأي الصائب الرائق ؛ الشيخ الفاضل : محمد بن مقرن بن سند بن علي بن عبد الله بن فطاي الودعاني ، الدوسري القحطاني .

نشأ في بلد القرينة ؛ وأخذ العلم عن الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد ، وغيره من علماء الدرعية وغيرهم وحَصَّلَ ؛ وكان فطناً مستيقظاً ، له عقل راجح ، ورأي وشهامة وسماحة ، وحسن خلق ، استعمله الإمام سعود قاضياً في بلدان المحمل .

وفي بعض الأوقات يرسله في نواحي مملكته ، فأرسله

مرة قاضياً في عمان ، فنفع الله به ، وأصلح الله عمان على يديه ، ثم أرسله قاضياً لجهة اليمن وغير ذلك ، ثم في ولاية الإمام تركي أرسل إليه وأقامه عنده ، ثم جعله قاضياً في ناحية المحمل ، ثم لما ولي عبد الله بن ثنيان إمارة نجد مضى عنده ، فلا يسلك جهة إلا وهو معه .

فلما قدم الإمام فيصل ، وذهب الشقاق عن المسلمين أكرمه ، وأرسله قاضياً في الأحساء في وقت الموسم فمرض بحمى ، ولم يزل محموماً سقيم البدن ، حتى توفي رحمه الله .

أخذ عنه العلم جماعة من أهل النواحي ، وأهل المحمل ، منهم الشيخ : عبد الرحمن بن عدوان ، والشيخ عبد الرحمن بن عزاز ، والشيخ عبد العزيز بن يحيى ، وغيرهم ، وله أجوبة ، توفي رحمه الله سنة ١٢٦٧هـ .

الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله

هو الإمام العالم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، مفيد الطالبين ، مرجع الفقهاء والمتكلمين ، المحفوف بعناية رب العالمين ، العالم الرباني والمجدد الثاني ، جامع أنواع العلوم الشرعية ، ومحقق العلوم الدينية ، والأحاديث النبوية ، والآثار السلفية ، وارث العلم كابراً عن كابر .

رجع العلم به غضاً بعد أن كان دابراً ، وظاهراً بعد أن كان غابراً ، مفتي فرق الأنام ، ناصر شريعة سيد الأنام ،

الموفق للصواب في الجواب ، شيخ الإسلام ، الشيخ : عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولد سنة ١١٩٦هـ ، في بلد الدرعية ، وشبّ بها ، وأخذ العلم عن جده الشيخ : محمد ، وعمومته ، الشيخ : عبد الله ، والشيخ علي ، والشيخ حسين ؛ وعن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، والشيخ عبد الله بن فاضل ؛ وقرأ على الشيخ : عبد الرحمن بن خميس ، في الفرائض ، وفي الجزرية على أحمد بن حسن الحنبلي ، وشرح الفاكهي على المتممة في النحو على الشيخ حسين بن غنام .

وأخذ العلم أيضاً عن علماء مصر ، إذ كان ثم مع أعمامه ، ومن فضلائهم الشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الله سويدان ، والشيخ عبد الرحمن الجبرتي ؛ وأخذ العلم عن مفتي الجزائر : محمد بن محمود الجزائري الحنفي ، وقرأ على الشيخ إبراهيم العبدي ، شيخ مصر في القراءات ، قرأ عليه أول القرآن .

وقرأ على الشيخ أحمد سلمونه كثيراً من الشاطبية وشرح الجزرية ، وقرأ على الشيخ يوسف الصاوي والشيخ إبراهيم البيجوري شرح الخلاصة ، وأجازه جماعة من المحدثين ، وأخذ العلم أيضاً عن جماعات سوى هؤلاء المذكورين .

وكان رحمه الله : له اليد الطولى في الأصول

والفروع ، حتى لم يكن في زمانه أفقه ، ولا أورع ولا أزهد ولا أتبع للسنة منه .

وكان من الجبال التي لا ترتقي ذروتها ، ولا ينال سنامها ، ومن أكابر السلف وأعلامها ، غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، حسن السمت ، إماماً في جميع الفنون الدينية ، معرضاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ليناً شجاعاً مهيباً ، متواضعاً محباً للطلبة والمساكين ، حسن الخلق والخلق ، جواداً سخياً كثير العبادة والتضرع ، والدعاء كأن النور يخرج من وجهه .

عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالسلف ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان ألحقه ؛ اختصه الله بنصر دينه ، والقيام بحفظ سنته ، ورضيه لإقامة حجته ، قام مقام نبوة ، واشتهر ذكره وانتشر ، وأجمع على إمامته في الدين أهل نجد والأمصار ، وشاع صيته في الأقطار وشمائله .

وما قاله الأئمة في مدحه كثير ، قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع رحمه الله :

فلا يبعدنك الله من شيخ طاعه ... بعيد عن الأدناس ناء عن الكبر
قوي بأمر الله شهم مهذب ... أشد لدى هتك الحدود من النمر
تجرد للتدريس والحفظ دائباً ... وأسقى غراس العلم في سائر العمر
ففي الفقه والتفسير بحر غطمطم ... وفي بحثه التوحيد نادرة العصر
وفي النحو والتأصيل قد صار آية ... وكل فنون العلم أربى على البحر

يجيب على الفتيا جواباً مسدداً يزيح به الاشكال عن مرتج الفكر
فيضحى عويص المشكلات موضحاً بتحقيق أبحاث أدق من الشعر

* * *

فسل عنه في التوحيد تهذيبه الذي غدا بين تلك الكتب كالكوكب الدر
وفي رده تشبيه كل مشبه من الملحدين المعتدين أولى الغدر
إذا مبطل يأتي بتزويق شبهة جلاها كما يجلى دجا الليل بالفجر
ففي كل إقليم له الرد فانتهت تصانيفه في كل مصر وفي كل قصر
ولما طغى علج العراق بجهله وغرره ما لفقوه من الهذر
رماه كما يرمى الرجيم بثاقب فراح ابن جرجيس على الذل والصغر
وباء ابن منصور بإرغام حجة ودحض فولى بالبوار وبالخسر
وفي كل معنى وفي الله قسمه وفضل إله العرش يسمو على الحصر
ولست بمحص بعض تعداد فضله ولكن ذا نزر يدل على الغمر

وقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بعد ثنائه على الشيخ محمد :

كذا عابد الرحمن أعني حفيده بنور الهدى يهدي فمن ذا يعادله
ينافح عن دين الهدى كل مبطل فيبطل تمويهاته ويناضله

وقال :

ونحا طريقة الإمام حفيده أكرم به من عالم وإمام
أعني بذلك شيخنا علم الهدى زين لأهل العلم والحكام
قد رد من كل العلوم شوارداً ندت وقاد صعابها بزمام

فلقد كفى وشفى بتصنيفاته وأذل من أضحى ألدّ خصام
فهم دعاة الدين بل أنصاره كم أيقظوا من معشر نوام

وقال :

إذا مبطل أجرى من الجهل جدولاً أتاه بتيار من العلم كالبحر
فجلى ظلام الجهل والشك والعمى بنور هدى يجلي الغياهب كالفجر
لئن كان أهل العلم كالشهب في السماء فعالمنا بين الكواكب كالبدر

وقال الشيخ عثمان بن بشر : هو العالم النحرير ، والبحر الزاخر الغزير ، مفيد الطالبين ، وافتخار العلماء الراسخين ، ومرجع الفقهاء والمتكلمين ، المحفوظ بعناية رب العالمين ، عمدة السلف وبقية الخلف ، جامع أنواع العلوم الشرعية ، ومحقق العلوم الدينية ، والأحاديث النبوية ، والآثار السلفية ، مفتي فرق الأنام ، ومؤيد شريعة سيد الأنام .

وقال الشيخ إبراهيم بن عيسى : هو الإمام العالم الفاضل القدوة ، رئيس الموحدين ، وقامع الملحدين ، كان إماماً بارعاً محدثاً فقيهاً ، ورعاً تقياً نقياً صالحاً ، له اليد الطولى في جميع العلوم الدينية ، وكان ملازماً للتدريس ، مرغباً في العلم ، معيناً عليه ، كثير الإحسان للطلبة ، لين الجانب ، كريماً سخياً ، ساكناً وقوراً ، كثير العبادة .

ولو تتبعنا محاسنه وفضائله : لطال المقام ، وله مصنفات شهيرة مقبولة ، منها :

١ ـ كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .

٢ ـ قرة عيون الموحدين حاشية على التوحيد .

٣ ـ كشف ما ألقاه إبليس ، على داود بن جرجيس[١] مجلد ؛ ورد عليه أيضاً غيره .

٤ ـ كتاب في الرد على عثمان بن منصور مجلد .

٥ ـ وله الرد والردع على داود أيضاً .

٦ ـ مشاركة مع عمه الشيخ عبد الله ، في رده على الزيدية .

٧ ـ اختصر قطعة من العقل والنقل .

٨ ـ تفسير الفاتحة .

٩ ـ مختصر تفسير قل هو الله أحد .

وله ردود مختصرات على ابن منصور وغيره ، وأجوبة مفيدة ، ورسائل ونصائح عديدة ، أكثر من مجلد ، فرقناها في مواضعها على حسب الترتيب .

وبالجملة : فهو رئيس قضاة المسلمين ، وانتفع بعلمه الفئام ، فممن أخذ عنه : العلم ، من القضاة ، والعلماء ، من ذريته ، وذرية أعمامه : ابناه الشيخ عبد اللطيف ، وإسماعيل ، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ حسن بن حسين ابن الشيخ ، والشيخ عبد الرحمن بن حسين ، وابنه عبد العزيز ، والشيخ عبد الملك وابنه إبراهيم

---

(١) والمسمى بالقول الفصل النفيس.

والشيخ حسين بن حمد بن حسين ، والشيخ حسين وحسن ابنا علي بن حسين ، والشيخ عبد الله بن حسن بن حسين ، والشيخ عبد الله بن محمد بن علي ؛ وأبناء الشيخ علي ابن الشيخ ، وغيرهم ممن لم يل القضاء خلق .

وأخذ عنه من القضاة والفقهاء الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن بشر ، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ، والشيخ محمد بن عمر بن سليم ، والشيخ صالح بن محمد الشثري ، والشيخ زيد بن محمد آل سليمان ، والشيخ عبد العزيز بن شلوان ، والشيخ علي بن عبد العزيز بن سليم ؛ والشيخ إبراهيم بن عيسى وابنه أحمد .

والشيخ علي بن عبد الله بن عيسى ، والشيخ عمر بن محمد بن يوسف ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع ، والشيخ عبد الله الخرجي ، والشيخ عبد الله المخضوب ، والشيخ مرشد ، والشيخ محمد بن علي بن موسى ، والشيخ عبد العزيز بن فرحان ، والشيخ عيسى بن إبراهيم الشثري ، والشيخ عيسى الزير ، والشيخ الصيرامي .

والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ عثمان بن عبد الجبار ، والشيخ عبد الله بن نصير ، والشيخ ناصر بن عيد ، والشيخ محمد بن سلطان ، والشيخ عبد الرحمن بن حمد الثميري ، والشيخ حمد بن عتيق ، والشيخ عبد الله بن

جبر ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف ، والشيخ عبد العزيز بن حسن بن يحيى ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان ، والشيخ عبد الله بن علي بن مرخان ، والشيخ حمد بن عبد العزيز ، والشيخ عبد الرحمن بن عدوان ، وغيرهم ممن ولي القضاء .

وأما من أخذ عنه ممن تأهل ولم يل القضاء فخلق كثير لا يحصى ، نفع الله الطالب بحسن تعليمه ، بحيث لا يلبث إلا يسيراً حتى يكون فائقاً ، ضربت إليه آباط الإبل من جميع نواحي نجد والأمصار ، وظهرت آثار البركة من تعليمه ، وبذل نصحه للأئمة ، ولسائر الأمة ، وكان مشهوراً بالكرم ، وحسن الخلق ، وحسن الدعوة ، والغيرة لله ولدينه ، والقيام بذلك علماً ، وعملاً ، وكان يتفقد طلبة العلم والفقراء ، ويبذل لهم مما خوله الله مع تعفف مشهور .

وفضائله ومحاسنه ومناقبه : أشهر من نار على علم ؛ فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ؛ فلقد بذل نفسه لله ، وفي ذات الله ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ؛ وألقي عليه من المهابة والجلالة والبهاء ، ما لا يعرف لغيره .

توفي رحمه الله تعالى وقدس روحه ونور ضريحه ، في ٨ من ذي الحجة ، سنة ١٢٨٥هـ ، وصلى عليه بعد طلوع

الشمس في مسجد العيد ، وحضر جنازته خلائق لا يحصون ، وأصاب المسلمين بموته من الحزن والبكاء والتوجع ، حتى ربات الخدور ، حصل لهن من الفزع والحزن ما يعز وصفه ؛ ولم يصب المسلمون بمصيبة أعظم من مصيبته ، وجاءت التعازي من جميع النواحي .

قال الشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن مانع :

تردّ رداء الصبر في حادث الأمر	وفوض بتسليم مع الحمد والشكر
فنعم احتساب المرء في حال رزئه	ونعم الدرع الصبر في العسر واليسر
لقد ساءنا ما جاءنا من مبلغ	مشيع بما يهدي إلى المسمع الوقر
فصخت له سمعاً وألححت سائلاً	بماذا ينادي والفؤاد على جمر
فقيل ينادي أخطأ الله شره	بأن إمام الدين أوفى على العمر
فقلت نعي جاء من نحو داره	لفيه الحصا ماذا يقول من الشر
فقال سراج الدين أصبح ثاوياً	وهيل عليه الترب من جانب القبر
فأزعج من ألبابنا كل ساكن	وحرك أشواقاً بها عيل من صبري

* * *

وأيقنت أن الأرض مادت بأهلها	وأن الفضا مما بنا صار كالشبر
لقد ظل أهل الحق من بعد موته	حيارى كأيتام أصيبوا على صغر
فيا مهجتي حقاً عليه تفتتي	ويا عبرتي خلي غروب الأسى تجري
ويا أضلعي لا تسأمي إن تصدعت	سعير حريق القلب أو أنة الصدر
فلا يبعدنك الله من شيخ طاعة	بعيد عن الأدناس ناء عن الكبر

رفيق لدى الافتا لطيف لدى النجا رقيق لدى النجوى إلى عالم السر

وأطال في الثناء عليه ثم قال :

عسى يحيي ذكراه لنا بعد فقده ويثني به القاري ويدعو له المقري
فلو كان يبقى بالفضائل فاضل لخلد نحرير الهدى سائر الدهر
أو الأجل المحتوم يدفع برهة لزدناه من وقت به منتهى العمر
أو الحتف تدفعه جنود وجحفل لسمنا نفوساً تحت راياتها الخضر
ولكن أطواق المنايا قلائد بأعناقنا لا تفديها من الأسر
لقد بان فينا النقص من بعد موته وموت أهيل العلم قاصمة الظهر
فكان كسلك قد وهي من نظامه فلهفي على أهل النهي الجلة الطهر
فهذي علامات القيامة قد بدت ونقل خيار الناس من جملة النذر
فنرجو إلٰه العالمين يثيبنا ويجبر منا ما تصدع من كسر
ويسكنهم في جنة الخلد إنه رحيم ودود وقد تفرد بالأمر

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله

هو الإمام العالم العامل ، الحبر العلم الكامل ، سيد أهل الإسلام في زمانه ، وقطب فلك الأنام في أوانه ، أوحد البلغاء ، بدر الفصحاء ، خصه الله بالفضل والشهامة والشجاعة ، طنت بذكره الأعصار ، وضنت بمثله الأمصار ، أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية ، سيف السنة المسلول ، حاوي المعقول والمنقول ، البليغ المصقع ، واللوذعي البلتع ، الفاضل الفصيح ، المجاهد النصيح ، أبو

عبد الله الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولد في بلد الدرعية سنة ١٢٢٥، ونشأ بها وقرأ القرآن فيها إلى أن بلغ ثمان سنين ، ونقل مع والده وأعمامه وحمولته لمصر ، وأخذ العلم فيها عن والده وعميه ، الشيخ عبد الله والشيخ إبراهيم ، وهم إذ ذاك بمصر ، وأخذ عن عمه الشيخ علي بن الشيخ ، وخاله الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله ، والشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي .

وأخذ عن علماء مصر ، منهم الشيخ : مفتي الجزائر ، محمد بن محمود بن محمد الجزائري ؛ والشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الأزهر ، والشيخ مصطفى الأزهري ، والشيخ حمد الصعيدي وغيرهم من العلماء ، وأجازه جماعة ، وبرع حتى صار إماماً في جميع الفنون ، لم ير شخص له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي لم يحصل بها الكمال لسواه .

فإنه رحمه الله : كان كاملاً في صورته ومعناه ، من الحسن والإحسان ، والحكم والسؤدد ، والعلوم المتنوعة ، والأخلاق الجميلة ، والأمور المستحسنة ، التي لم تكمل من غيره ، وقد علم من كرم أخلاقه وحسن عشرته ، وهيبته وجلالته ، ووفور حلمه ، وكثرة علمه ، وغزير فطنته ، وكمال مروءته ودوام بشره ، وعزوف نفسه عن الدنيا

وأهلها ، والمناصب لأربابها ؛ ما قد عجز عنه كبار الأكياس ، ولا يظن أن يدركه أحد من الناس .

أدرك مقام الأئمة الكبار ، وناسب قيامه من بعض الأمور مقام الصديقين ؛ وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه الأكابر الأبطال ، فلقد أقامه الله في نصرة دينه ، والتقاء أعباء الأمر بنفسه ؛ وقام وقعد ، وعزل ونصب ، واجتمع بالملك وشجعه ، ومرة أخافه وأرعبه ، وله حدة قوية ، وإقدام وشهامة ، وقوة نفس ، يضرب بها المثل ، وفيه مروءة ، وقيام مع الناس ، وسعى في مصالحهم ، لم ير أزهد منه عن الدنيا ، والدرهم لا يذكره ، ولا أظنه يدور في ذهنه ، وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

يا من له الفضل محضاً في بريته ... وهو المؤمل في الضراء والباس
عودتني عادة أنت الكفيل بها ... فلا تكلني إلى خلق من الناس
ولا تذل لهم من بعد عزته ... وجهي المصون ولا تخضع لهم راسي
وابعث على يد من ترضاه من بشر ... رزقي وصني عمن قلبه قاسي
فإن حبل رجائي فيك متصل ... بحسن صنعك مقطوعاً عن الناس

قد شاعت مناقبه ومحاسنه في الورى ، وأثنى عليه علماء نجد والأمصار ، ودار في سائر الأقطار ، فقال ابنه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف : لما رأيت أهل الفهم

والذكاء ، لم يتعرضوا لرثي شيخ الإسلام ، وقدوة العلماء الأعلام ، علاّمة دهره ووحيد عصره ، الوالد الشيخ عبد اللطيف ، ثبت الله حجته ، أحببت أن أبذل وسعي في ذلك ، وإن كنت لست من رجال ذلك الميدان ، ولكن يستأنس بالمثل : كم ترك الأول للآخر وكم زل من ذكي ماهر ، وقلت مستعيناً بالله شعراً :

لقد أظلمت من كل أرجائها نجد ... وقد كان لي في عهدها بالهدى عهد
وكنا وأهلوها على خير حالة ... وأنوار هذا الدين من أفقها تبدو
وقد ساعدت ليلى وطاب وصالها ... ولاح لنا من وجهها القمر الفرد
بها قام سوق للشريعة عامر ... فكل مقال لا تقرره رد
وكل إمام لا ينفذ أمرها ... فإن كل ما يبني من الأمر منهد
فصحراؤها روض تفتق زهره ... وحصباؤها در وأمواهها شهد
فلله عصر قد مضى في حمائها ... به ارتفع الإسلام وانهزم الضد
صحبناهم والدهر مسترخ رواقه ... وقد مس أهل الزيغ في بأسهم حد

* * *

لقد حل بالسمحا من الخطب فاظع ... لدن غاب من آفاقها الطالع السعد
إمام التقى بحر الندى علم الهدى ... عبد اللطيف العالم الأوحد الفرد
فمذ غاب عن عيني تمثلت منشداً ... لما قاله في السالف العالم المجد
الليل غشي الدنيا أم الأفق مسود ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو
أم السرج النجدية الزهر أطفئت ... فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد

نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى وضعضع ركن للهدى فهو منهد
حليف المعالي قد رقى ذروة الهدى ومن دونها النسران والنجم والسعد
وعلامة ما الشافعي ومالك وأحمد والنعمان والليث في المجد
يرى في ثياب النسك حبراً كأنه مليك جليل القدر تعفو له الأسد
فسائل به آيات مجد شواهداً طوالعها لا يستطاع لها جحد
فكم من ضلال تصدى لرده وكم من هدى أبداه إذ أشكل الرد

* * *

فيا أيها الحبر الذي كان حجة عليك سلام الله ما سبح الرعد
بنيت بناء للشريعة قد سما به من قبلك الأب والجد
وأسست هذا الدين حتى سما به أناس رعاهم قبلك الذيب والفهد
وأنبأتهم كيف السياسة والعلى وكيف يقاد الجيش والجرد والجند
فأورثتهم مجداً وما كان مثله يرام له إرث وإن عظم الجد
حظوظ بميراث النبي أشادها إمام سما في العلم ليس له ند
أعاد لنا نهج الشريعة واضحاً وقد عز من دهر تقادم أن يبد
وجلى لنا أسرار شرعة أحمد وأن إله الحق في حكمه فرد
فجرّت به نجد ذيول افتخارها وكادت إلى فوق السماكين تعتد
حديث رسول الله إن جاء درسه يفوح به من طيبه المسك والورد
محاسن من دنيا ودين سما بها إلى شرف العليا فحق له المجد

وقال **الشيخ** عبد القادر البغدادي الحنفي :

عبد اللطيف جزاه الله خالقنا يوم الجزاء بأجر غير ممنون

هو الهمام الذي شاعت فضائله في الشرق والغرب من نجد إلى الصين

بحر من العلم يبدي من معارفه بديع در عزيز القدر مكنون

حما طريق رسول الله عن شبه . . . إلخ . .

وقال **الفاضل** علي أفندي المدرس بمدينة البصرة :

لاح نور الهدى وزال الضلال ودها الشرك والعناد زوال

وتجلت شمس الكمال عياناً بعد ما كان دونها ظلال

ورياض التوحيد جاد رباها من سما الحق عارض هطال

وبدا الجهبذ المحقق للحق الإمام المهذب المفضال

والهزبر الهمام والعالم النحرير من عنده تنتهي الآمال

ذاك عبد اللطيف كنز المعالي هو بحر للعلم بحر زلال

وقال **الشيخ** أحمد بن مشرف الأحسائي :

وعبد اللطيف الحبر لا تنس فضله إمام هدى بالعلم تزهو محافله

وقال **الشيخ** عبد الرحمن بن محمد بن مانع :

سما رتبة في العلم لم يتصل بها سواه ولم يبلغ سناها ذوو الصدر

فأنعش بعد الدرس بالدرس ميتها فأضحت بعيد الطي توصف بالنشر

فكان أحق الناس في قول من مضى إذا ما انتدى للقوم في محفل الذكر

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر

وأقلامه تجري على متن طرسه فتشفى أوام الصدر عن مغلق الحصر

وإن طالب يأتيه يبغي إفادة أزاح له الاشكال بالسبر والخبر
وأنهله من بحره الجم نهلة فراح بها يدري وقد كان لا يدري
فلا زال يولي الطالبين من الهدى ويمنح أهل العلم من سيبه الغمر
يجدد منهاج الأئمة جددوا لدين الهدى فانضاح في البر والبحر

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن طوق :

هزبر إذا ما قام لله داعياً قوى جليد لم يروعه غاشمه
فكم ليل اشكال بتلبيس مبطل جلت ليله أقلامه وعزائمه
له فتكات بالحديث على العدا يقصر عنها تبع وصوارمه
وتروى به جرد الشريعة منتضى حسام الهدى ممن يعاديه قاصمه
فلا تنطق العوراء يوماً بناده ومن ذا هزبر هيبة فيكالمه
له حدس من دونه حدس أكتم يكاد جهول قال للغيب عالمه
فما الجود إلا صورة في أكفه ولا كرم إلا حوته مكارمه
ولا فتكة أو عزمة لابن حرة من الناس إلا فوق تلك عزائمه

وقال الشيخ سليمان بن سحمان :

فعبد اللطيف الحبر أوحد عصره إمام هدى قد كان لله داعيا
لقد كان فخراً للأنام وحجة وثقلًا على الأعداء عضباً يمانيا
إماماً سما مجداً إلى المجد وارتقى وحل رواق المجد إذ كان عاليا
تصدى لرد المنكرات وهدّ ما بنته عداة الدين من كان طاغيا
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ويحمي حماها من شرور الأعاديا
حباه إله العرش في العلم والنهى بما فاق أبناء الزمان تساميا

وقد جد في ذات الإلٰه بجهده ولم يأل في رأب اللثا والمناهيا

وقال :

لقدجدفي نصرالشريعةوالهدى وسد ينابيع الغوات الأخاسر
وإعلاء دين الله جل ثناؤه وتأسيس أصل الدين سامي الشعائر
وإحيائه بعد الدروس ونشره وقمع لمن ناواه من كل غادر
وإبعاد أعداء الهدى وجهادهم وتحذيره عنهم بكل الزواجر
وقد ردّ بل قد سدّ كل ذريعة تؤول إلى رفض الهدى من مقامر
قفا إثر آباء كرام أئمة أولي العلم والحلم الهداة الأكابر
ببذلهمو للجد والجهد في الدعا إلى الله من قد ند من كل نافر
فكم فتحوا بالعلم والدين والهدى قلوباً لعمري مقفلات البصائر

وقال في أثناء قصيدة له ذكر فيها وَثْبته على ابن جرجيس :

من ضيغم باسل حبراً أخي ثقة وجهبذ ألمعي فاضل فطن
عبداللطيف الذي شاعت مناقبه غرباً وشرقاً ومن بصرى إلى عدن
ما مصقع بلتع حاذاه أو علم في العلم فيما علمنا من بني الزمن
فانظر صواعق علم أحرقت شبهاً من العراق أتت عن خانع عشن
جواب حبر هزبر حازم يقظ وقّاد ذهن ذكي ليس باللكن
أوهى به ما بنى داود من شبه ملفقات لأهل الغي والدرن
فالله يعليه في الفردوس منزلة يسمو بها حيث يحمي حوزة السنن

ولو تتبعنا سيرته ومحاسنه ، وما أثني به عليه لبلغ مجلداً ؛ وله رحمه الله مصنفات عديدة منها :

١ ـ كتاب مصباح الظلام ، في الردّ على عثمان بن منصور ، مجلد .

٢ ـ كتاب منهاج التأسيس ، في كشف شبهات داود بن جرجيس ، مجلد .

٣ ـ كتاب البراهين الإسلامية في الرد على شبهات الفارسية .

٤ ـ كتاب تحفة الطالب والجليس في الرد على داود بن جرجيس .

٥ ـ رسائل عديدة وأجوبة مفيدة تبلغ مجلداً ، جمع أكثرها الشيخ سليمان بن سحمان .

وقال : لقد اشتملت على أصول أصيلة ومباحث جليلة ، لا تكاد تجدها في كثير من الكتب المصنفة ، والدواوين المشهورة المؤلفة ، إذا سرّح العالم نظره فيها علم أن هذا الإمام قد حاز قصب السبق في الفروع والأصول ، واحتوى منهٰ على ما سمق وسبق به الأئمة الفحول .

وشرع في شرح كتاب الكبائر ، وشرح النونية ، فاخترمته المنية .

فرحمه الله من إمام بلتع ، وفاضل فصيح مصقع ، فلقد تبحر في جميع فنون العلم ، وهذه رسائله تطلعك على ما هنالك ، وثواقب علومه ، يهتدي بها السائر عن سلوك معاطب المهالك :

فقد قام في نصر الشريعة جاهداً ... ولم يأل جهداً في ارتفاع ذراها
ورد على من ندّ من كل ملحد ... عن السنة الغرا ورام خفاها
وقد شيدت أركان سنة أحمد ... رسائله اللاتي أضاء ضياها
فأشرق منها الحق للخلق ناصعاً ... وأعشى عيون الملحدين سناها
وأجوبة تسمو وتسمق بالهدى ... لأسئلة قد أشكلت فجلاها
يضوع لأهل الحق منها نواشر ... نبوق عبير المسلك طيب شذاها
إذا أرسل النحرير ثاقب فكره ... بفيح[1] معانيها وشاو ذراها
أقر له بالفضل والعلم والحجى ... وإن قد تسامى للعلا فعلاها

وجميع رسائله وأجوبته ، ومختصرات ردوده ، فرقناها في مواضعها ، على حسب الترتيب .

أخذ عنه العلم خلائق لا يحصون ، منهم أبناؤه : الشيخ عبد الله ، والشيخ إبراهيم ، والشيخ محمد وعبد العزيز ، وأخوه إسحاق ، والشيخ حسن بن حسين بن علي ، والشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي ، والشيخ حسن بن علي ، والشيخ إبراهيم بن عبد الملك ، والشيخ عبد الله بن حسن بن حسين بن علي ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين ، والشيخ ناصر بن حسين ، والشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن ، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حسين .

والشيخ حمد بن عتيق ، والشيخ سليمان بن سحمان ،

---

(١) كذا بالأصل.

والشيخ علي بن عيسى ، والشيخ أحمد بن عيسى ، والشيخ إبراهيم بن عيسى ، والشيخ عثمان بن عيسى ، والشيخ عبد العزيز بن حسن ، والشيخ حمد بن عبد العزيز ؛ والشيخ محمد بن محمود ، وحمد بن فارس ، والشيخ عبد الرحمن بن عدوان ، والشيخ عبد الرحمن بن مانع ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ، والشيخ محمد بن عمر بن سليم ، والشيخ علي بن سليم ، والشيخ عبد الله بن محمد بن مفدى ، والشيخ صالح الشثري ، والشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي .

والشيخ صالح بن قرناس ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف ، والشيخ عمر بن يوسف ، والشيخ عبد العزيز الصيرامي ، والشيخ عبد الله بن حسين المخضوب ، والشيخ محمد بن خميس ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الجبار ، والشيخ عبد الله بن جريس ، والشيخ عبد العزيز بن شلوان ، والشيخ عبد الرحمن الوهيبي ، والشيخ عبد الله بن محمد الخرجي ، والشيخ حسين بن تميم ، والشيخ أحمد الرجباني ، والشيخ أحمد بن عبيد ، والشيخ محمد بن حسن بن جريبه ؛ والشيخ عبد الرحمن بن بشر ، والشيخ علي بن نفيسه ، والشيخ عبد الرزاق ، وخلائق من أهل نجد ومصر والأحساء وغيرها .

توفي رحمه الله وأسكنه النعيم المقيم ، في ٤ من ذي

الحجة سنة ١٢٩٢ وأصيب المسلمون بفقده ، ولم تسد ثلمته من بعده ؛ وبكته المجالس والقبائل ، وفقدته الرؤساء والمحافل ، وقد رثي بقصائد منها ما رثاه به الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن طوق ، مطلعها :

أبا خلق الأيام حياً تسالمه ... وإن عظمت هماته وعزائمه
فماأوحش الدنياوياحزن نجدها ... وايتمه للعلم إذ مات عالمه
فما مر يوم مر يوم أتى به ... بأوحش أنباء بريد يكاتمه
وجدناكأن الأرض حتماًتزلزلت ... فأظلم كل الكون وارتج عالمه
وهاجت رياح من زفير تنفس ... وجاد بماء الجفن سحا غمائمه
فيا لك من رزء فظيع على الورى ... وهد بسور العلم أوهاه ثالمه
فقد كان للدنيا وللدين عدة ... وكنزاً أبى مضروبها أن يقاومه
بقية أهل العلم والعلم الذي ... تلقاه فرع أصلته أكارمه
فإن لم يكن دمعي جرى فيه عن دم ... فإني وأيم الله للفضل ظالمه
فإن تبكه فالعلم نبكهما معاً ... فما هو إلا دارسات معالمه

إلى أن قال :

فلي بعده من رزئه قلب ثاكل ... من الدهر قد دبت إليه أراقمه
وعين لها حرم الكرى صح ملة ... يشرعه جفن لها وسواجمه
وما زال هذا العصر مراً وعلقماً ... فزاد برزء منك مراً علاقمه

ثم قال :

وعاش سعيداً ثم مات موحداً ... على المبلغ المنجي طريق ملازمه
فلا حي إلا الحي والكل هالك ... سواه ولا بد المنون تزاحمه

وماذا وإن أعطيت عمراً كآدم | وللدهر يوماً سوف يدركك صارمه
فطوبى لعبد أيقظته عناية | وجافته عن دار الغرور عزائمه
وما زال هذا النور فيكم شامخاً | إذا ما خلا حبر به قام قائمه

ومنها مرثية الشيخ سليمان بن سحمان :

تذكرت والذكرى تهيج البواكيا | وتظهر مكنوناً من الحزن ثاويا
معاهد كانت بالهدى مستنيرة | وبالعلم يزهو ربع تلك الروابيا
وأراضها بالعلم والدين قد زهت | وأطواد شرع الله فيها رواسيا
وقد أينعت منها الثمار فمن يرد | جناها ينلها والقطوف دوانيا
وأنهارها للواردين شريعة | مناهلها كالشهد فعم صوافيا
وقد غردت أطيارها برياضها | يرجعن ألحان الغواني تهانيا
وكنا على هذا زماناً بغبطة | وأنوار هذا الدين تعلو سواميا
فما كان إلا برهة ثم أطبقت | علينا بأنواع الهموم الروازيا
فكنا أحاديث كأخبار من مضى | وننبأو عنها في القرون الخواليا
لعمري لئن كانت أصيبت قلوبنا | وأوجعها فقدان تلك المعاليا
لقد زادت البلوى اضطراماً وحرقة | فحق لنا إهراق دمع المآقيا
فقد أظلمت أرجاء نجد وأطفئت | مصابيح داجيها لخطب وداهيا
لموت إمام الدين والعلم والتقى | مذيق العدا كاسات سم الأفاعيا

إلى أن قال :

ولما نمى الركبان إخبار موته | وأصبح ناعي الدين فينا مناديا
رثيناه جبراً للقلوب لما بها | وحل بها من موجعات التآسيا

لشمس الهدى بدر الدجى علم الهدى ... وغيظ العدا فليبك من كان باكيا
لئن ظهرت منا عليه كآبة ... وحل بنا خطب من الرزء شاجيا
فقد كسفت للدين شمس منيرة ... يضيء سناها للورى متساميا
سقى الله رمساً حله وابل الرضا ... وهطال سحب العفو من كل غاديا
ولا زال إحسان الإلٰه وبره ... على قبره ذا ديمة ثم هاميا
وأسكنه الفردوس فضلاً ورحمة ... وألحقه بالصالحين المهاديا
عليه تحيات السلام وإن نأى ... وأضحى دفيناً في المقابر ثاويا
يفوق عبير المسك عرف عبيرها ... ويبهر ضوء الشمس أزكى سلاميا

* * *

فيا معشر الإخوان صبراً فإنما ... مضى لسبيل كلنا فيه ماضيا
فإن أفل البدر الفريد وأصبحت ... ربوع ذوي الإسلام منه خواليا
فقد شاد أعلام الشريعة واقتفى ... بآثار آباء كرام المساعيا
همو جددوا الإسلام بعد اندراسه ... وأحيوا من الأعلام ما كان عافيا
وكم لهمو من منحة وفضيلة ... يقصر عن تعدادهن نظاميا
مناقبهم لا يحصيها النظم عدة ... وليس يواريها غطاء المعاديا
فيا رب جد بالفضل منك تكرماً ... وبالعفو عنهم يا مجيب المناديا
وأبق بنيهم سادة يقتدى بهم ... إلى الخير يا من ليس عنا بلاهيا

الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله

هو الإمام العالم العلامة ، الفقيه البحر الفهّامة ، المدقق النبيه ، المحقق الموفق ، مفيد الطالبين وقامع المشبهين ، شيخ الإسلام عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس أبا بطين العائذي ، ولد في بلد الروضة سنة ١١٩٤ من الهجرة ، ونشأ بها نشأة حسنة ، في الديانة والصيانة ، والعفاف ، وطلب العلم .

أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ، والشيخ محمد بن عبد الله بن طراد الدوسري الحنبلي ، فمهر في الفقه ، وفاق أهل عصره في إبان نشأته ، ثم ارتحل إلى شقراء ، وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الحصين ، في التفسير والحديث والفقه ، وأصوله ، وأصول الدين ، حتى برع ، وأخذ عن الشيخ أحمد بن حمزة بن رشيد العفالقي الأحسائي ثم المدني ، وعن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، واجتهد حتى صار مناراً يهتدى به ، وإماماً يقتدى به .

ولي القضاء زمن الإمام سعود في بلد الطائف ، ودرّس فيه ، وأخذ عنه جماعة في الحديث والتفسير ، وعقائد السلف ، ثم رجع إلى بلده قاضياً عليها وبلدان الوشم .

قال الشيخ إبراهيم بن عيسى : هو الإمام ، والحبر الهمام ، العالم العلامة ، القدوة الفهّامة ، حسن السيرة والورع ، والديانة ، والصيانة ، والعفاف ، جلداً على التدريس ، لا يمل ولا يضجر ، ولا يرد طالباً ، كريماً سخياً ، وقوراً دائم الصمت قليل الكلام ، كثير التهجد والعبادة ، حسن الصوت بالقراءة ، قراءته مرتلة مجودة ، معرضاً عن القال والقيل ، ماشياً على أهدى سبيل ، وأثنى عليه هو وغيره ، وهو أشهر من أن يذكر .

وله :

١ ـ حاشية على شرح المنتهى مجلد .

٢ ـ حواش وتعليقات على شرح الزاد وغيره .

٣ ـ رسالة في تجويد القرآن .

٤ ـ كتاب كشف تلبيس داود بن جرجيس .

٥ ـ الانتصار ، ردّ عليه أيضاً .

٦ ـ فتاوى تبلغ مجلداً ، فرقناها في مواضعها .

وكتب كثيراً من الكتب الجليلة بخطه الحسن المتقن ، ونقل على كثير منها كثيراً من الفوائد ، وصار قاضياً أيام الإمام تركي ، في عنيزة وبلدان القصيم .

أخذ عنه العلم جماعة منهم : ابنه عبد الرحمن ، والشيخ محمد بن عبد الله بن مانع ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ، والشيخ محمد بن عمر بن سليم ،

والشيخ علي بن محمد بن راشد ، والشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى ، وابنه الشيخ أحمد ، والشيخ علي بن عبد الله بن عيسى ، والشيخ حسن بن علي ، والشيخ عبد العزيز بن محمد ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف ، والشيخ محمد بن عبد الله بن حميد ، والشيخ علي بن محمد ، والشيخ علي البناني ، والشيخ علي بن محمد آل مقبل ، والشيخ إبراهيم بن عجلان ، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن ، والشيخ عبد الله بن عبد الكريم ، والشيخ صالح بن حمد بن نصر الله ، وغيرهم جم غفير .

توفي رحمه الله تعالى في شقراء ، سنة ١٢٨٢هـ .

الشيخ عبد العزيز بن حسن ، رحمه الله تعالى

هو العالم العلّامة ، الأريب الأديب ، ذو العنصر الزكي ، والبيت التقي ، الشيخ الفاضل : عبد العزيز بن حسن بن عبد الله بن محمد بن يحيى ، من : جرثومة بني لام ، الذين لهم سابقة مشهورة قديمة في الإسلام ، ولأهل الإسلام ، ولد في بلدة ملهم وشب بين أبويه وعمومته ، وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن مقرن ، ثم رحل إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، فأخذ عنه الفقه والتفسير ، والتجويد والعربية وغيرها ، وعن ابنه الشيخ عبد اللطيف وغيرهم .

وكان رحمه الله شهماً ، هماماً تقياً ، آمراً بالمعروف

ناهياً عن المنكر ، مفيداً للطالبين واعظاً للراغبين ، قامعاً للمفسدين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، سخياً حسن الخلق ، ذا عفاف وسمت ، وفصاحة وكرم وسماحة ، وكان يلقب بـ « حصام » ولي القضاء في ولاية الإمام فيصل ، وله فتاوي .

أخذ عنه العلم ابنه الشيخ ناصر ، وعبد الرحمن وسعد ، وقرأ عليه ابنه عبد الله ، وأخذ عنه الشيخ حمد بن عبد العزيز ، والشيخ عبد الله بن حمد الحجازي ، والشيخ محمد القصير وعلي القصير ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، وعبد المحسن ومحمد آل يحيى ، وعبد الله بن مفدى ، وناصر بن ناصر وغيرهم .

توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٨هـ .

الشيخ حمد بن عتيق ، رحمه الله تعالى

هو الإمام العلامة ، الورع الفهّامة ، الثقة الفارس في العلوم ، ذو الهمة والشجاعة ، الشيخ : حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة ، ولد في الافلاج[(١)] وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ

---

(١) وذكر الشيخ إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن عتيق أنه ولد في الزلفى ولم يظهر له أيضاً أنه أخذ العلم عن الشيخ عبد اللطيف فالله أعلم.

عبد اللطيف ، والشيخ علي بن حسين وغيرهم ، وبرع في العلوم وكان له حظ من العلوم ، وإقدام وشهامة ، وعبادة وتهجد ؛ وطول صلاة ولهج بالذكر ، شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته ، وتصنيفه والحث عليه .

قال الشيخ سليمان بن سحمان ، رحمه الله :

يعز علينا أن نرى اليوم مثله ... لحل عويص المشكلات البوادر
وللشبهات المعضلات وردها ... إذا ما تبدت من كفور مقامر
فلله من حبر تصعد للعلا ... فحل على هام النجوم الزواهر
ولله من حبر إمام وبلتع ... يعوم بتيار من العلم زاخر
ويقفو لآثار النبي وصحبه ... يجدد من منهاجهم كل داثر
ويحيي علامات من العلم قد عفت ... ويعمر من بنيانه كل دامر
إمام تزيا بالعبادة فاستمى ... بها وارتقى مجداً سمي المظاهر
لقد كان إماماً في السماحة والندى ... فليس له في عصره من مناظر
وفي الحلم قد أضحى لعمرك آية ... وفي العلم ذو حظ أطيد ووافر
تقي نقي ألمعي مهذب ... أريب رسيب الجأش ليس بطائر
وبدر منير يستضاء بضوئه ... إذا ما أجنت حالكات الفواقر

إلى أن قال :

فما حمد بالعلم إلا متوج ... حميد المساعي مشمعل المآثر
عليم بفقه الأقدمين محقق ... وقد كان ذا علم بفقه الأواخر
وقد حاز في علم الحديث محلة ... تسامى بها فوق النجوم الزواهر

وبالسلف الماضين كان اقتفاؤه　　من القول بالفتوى وقطع التشاجر

وفي كل فن فهو للسبق حائز　　فضائله أعيت على كل حاصر

وحسبك أن قد صار مشهوراً أفضله　　سمياً شهيراً بين باد وحاضر

له عشرة من الولد أخذ عنه العلم منه ابنه الشيخ سعد ، والشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد اللطيف ، وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ؛ والشيخ سليمان بن سحمان ؛ والشيخ عمر بن يوسف ، والشيخ حسن بن عبد الله بن حسن ، والشيخ حسن بن حسين ، والشيخ عبد العزيز الصيرامي .

والشيخ محمد بن علي آل موسى ، والشيخ سعود بن مفلح ، والشيخ ناصر بن حسين ، والشيخ عبد المحسن بن باز ، وخلق ؛ وله حاشية على التوحيد ، وردود ، ونصائح ، ورسائل ، وفتاوي ، فرقناها على حسب الترتيب .

توفي رحمه الله سنة ١٣٠١هـ ، وبكت عليه الخلق ، واشتد الحزن ؛ قال الشيخ سليمان بن سحمان يرثيه :

على الحبر بحر العلم بدر المنابر　　وشمس الهدى فليبك أهل البصائر

وأية عين لا تشح بمائها　　عليه كشج المعصرات المواطر

فلا نعمت يوماً ولا قلب قاليء　　خلي من الأشجان ليس بغائر

فوالهفا من فادح جل خطبه　　وثلم من الإسلام إحدى الفواقر

ورزئ فظيع بل مريع ولائع بشمس هدى أضحى نزيل المقابر

ثم قال :

لئن كان قد أضحى له القبر منزلاً وأقوت رباع من حماة أساور
لقد كسفت للدين شمس منيرة يغطي سناها كل باغ وكافر
لقد عاش في الدنيا على الأمر بالتقى ونهي الورى عن موبقات المناكر
يجاهد في ذات الإله ولم يكن لتأخذه في الله لومة ساخر

إلى أن قال :

فأضحى رهيناً في المقابر آوياً وصار إلى رب كريم وغافر
لقد صابنا صاب من الحزن مفجع لدن طرق الناعي بفخر المحاظر
وارق جفن العين خطب عصبصب يضعضع من ركن الهدى كل عامر
فجالت لنا الأشجان من كل جانب وأظلم من نجد سطيع الدساكر
تغمده المولى الكريم بفضله ورحمته والله أقدر قادر

الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن ، رحمهما الله تعالى

هو الإمام العلامة الحبر الفهّامة ، المحدث الفقيه ، الواعظ المحقق النبيه ، العامل الزاهد التقي ، الشيخ الفاضل . إسحاق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٧٦هـ ، في بلد الرياض ، ونشأ نشأة حسنة ، وأخذ العلم عن أخيه الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ حمد بن عتيق ، والشيخ محمد بن محمود ، والشيخ

عبد الله بن حسين المخضوب ، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد .

وارتحل إلى الهند سنة ١٣٠٩هـ ، وأخذ عن الشيخ نذير حسين ، وحصل له منه ومن غيره السماع والقراءة والإجازة ، وأخذ عنه الحديث المسلسل عن مشائخه ، وأخذه من طريق علماء الهند عن المولوي ، وقرأ عليه ثم ارتحل إلى بهوبال ، فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري ، والشيخ سلامة الله وأجازاه .

وأخذ عن الشيخ محمد بشير وغيرهم ، وأخذ عن علماء مصر وغيرهم ، وحصل له منهم أيضاً السماع والقراءة والإجازة ، ونبغ في عصره وبرع في فنون العلم : الأصول والفروع ، والنحو وغيرها ، حتى صار إماماً يقتدى به ، فاضلاً ورعاً يهتدى به ، حسن السمت دائم البشر ، مشتغلاً بإلقاء الدروس ، غزير الفوائد ، كثير التحري فيما يورده ، كثير التواضع ، شهد له بالفضل والنبل ، أهل التحقيق والإنصاف .

قال الشيخ سليمان بن سحمان :

فتى ألمعي لوذعي مهذب　　　سلالة أنجاب كرام ذوي مجد

وقال فوزان بن عبد الله السابق ، رحمه الله بعد ثنائه عليه :

وأعني به بحر العلوم ومن سما　　　وحاز لما يسمو به في المجالس

وأردى لأعداء الشريعة والهدى وهد بناء الناكبين الأبالس
وفرق جمعاً منهم قد تألبوا وجاءوا بهمط من تشيع البسابس
وجلا بنص الوحي كل ضلالة بها صار أهل الزيغ من كل حادس
فأعلى لركن الحق بعد وهائه وجدد من أعلامه كل طامس
وذاك الذي يدعى بإسحاق من غدا لعلم نصوص الوحي خير ممارس
وقدوة خير للثقاة أولي التقى ذوي الجرح والتعديل من كل فارس
فيا من له حلم وعقل وفطنة وعلم بما قد حاز أهل التنافس
أجل منك فكراً في مطاوي دفاتر لها الخط في بحث من العلم دارس
ترك بديعاً من عويص غويصه لآلىء در نضدت في الملابس

وفضله ومناقبه مشهورة ، ومجالسه بالعلم معمورة .

أخذ عنه العلم الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن فيصل ، والشيخ فالح ، والشيخ سالم الحناكي ، والشيخ عبد الله السياري ، وعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد العزيز بن عتيق ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود ، وغيرهم ، وله رد على ابن حنش ، ورسائل ونصائح وفتاوى فرقناها على حسب الترتيب .

توفي رحمه الله وعفا عنه ، في بلد الرياض ، سنة ١٣١٩هـ ، وبكته تلك المجالس المعمورة بتعليمه وتفهيمه ، وأصيب المسلمون به ، ورثاه بعض الأدباء ، ومنها ما قاله

فوزان بن عبد الله السابق ، مطلعها :

على الحبر بحر العلم بدر المدارس / وشمس الهدى فليبك أهل التدارس
فلا نعمت عين تشح بمائها / وقلب من الأشجان ليس ببائس
ولا وجه ذي لب تلكي وقد غدا / على فقده في الناس ليس بعابس
فوا حزناً من فقده بعد مالنا / بدا سعده خلف النجوم الطوامس
يعز علينا أن نرى اليوم مثله / إذا ما دجت مغسوسقات الحنادس
وعز الذي بالنص يتقن قوله / ويحمي حمى التحقيق عن لبس لابس
فيا لك من ثلم به الدين قد وهى / وخطب فظيع بل مريع وواكس
فصبراً ذوي الإسلام صبراً فإنما / جزاء الفتى بالصبر نيل النفائس
وابدوا الدعاء في كل وقت إجابة / لحبر تقي فاضل غير ناحس
سلالة أحبار هداة أئمة / بهم صين ركن الحق من كل خالس
فيا حي يا قيوم يا خير سامع / لعبد منيب سائل غير آيس
تغمده بالغفران منك وبالرضا / وألبسه في الفردوس خير الملابس
وآباءه بالجود منك فعمهم / وأنصارهم من كل هاد وسائل

الشيخ حمد بن عبد العزيز ، رحمه الله

هو العالم العلامة ، الفقيه الزاهد ، المذكر العابد ، الشهم النبيه ، الشيخ حمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن حمد بن علي بن سلامة بن عمران العوسجي البدراني الدوسري ، ولد سنة ١٢٤٥هـ ، في بلدة ثادق .

وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ محمد بن مقرن ، والشيخ عبد

العزيز بن حسن ، والشيخ عبد الرحمن بن عدوان ، والفرائض عن الشيخ عبد العزيز بن شلوان وغيرهم .

برع في جميع الفنون ، وكان يقظاً فطناً ، قليل المثل في الشهامة والذكاء ، والديانة والعبادة ، كثير الخير ، له قدم راسخ في الفتوى ، ووقع في النفوس ، دمث الأخلاق ، قويّ الجأش في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولي قضاء ناحية سدير ، في ولاية الإمام فيصل وابنه بعده ، ثم في الوشم ، ثم في بلدان المحمل بعد الشيخ عبد العزيز بن حسن ، وله أجوبة سديدة ، ونصائح مفيدة ، ومجالس في التدريس ، أخذ عنه العلم ابنه محمد ، وغيره من سائر بلدان المحمل ، توفي رحمه الله تعالى ، في شعبان سنة ١٣٣٠هـ .

الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، رحمه الله

هو الإمام العالم العلامة الفقيه ، الحبر الثقة اليقظ النبيه ، الشهم الملهم المتقن ، الحافظ المجتهد ، الورع الزاهد العابد ، مفيد الطالبين ، ذو العقل الفائق ، والرأي الصائب الرائق ، والأخلاق السنية المرضية ، الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولد في بلد الرياض سنة ١٢٨٠هـ ، ونشأ بها نشأة حسنة ، وقرأ بعض القرآن على أبيه عن ظهر قلب ، وأخذ

العلم أيضاً عن أخيه الشيخ عبد الله ، والفقه والنحو عن الشيخ حمد بن فارس ، وغيرهم .

برع في العلوم النقلية والعقلية ، وكان آية في الفهم ، لم ير مثله في الذكاء ، والفطنة والحفظ ، برز في كل فن ، حتى كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، وفاق أهل عصره .

له المعرفة التامة في الحديث ، والتفسير ، والفقه ، مع ما جمعه الله له من الزهد والعبادة ، والورع والديانة ، ونصرة الحق ، والقيام به ، أخذ من ذلك بالمأخذ الأولى ، غريب المثل في زمانه ، شارف مقام الأئمة الكرام ، أجمع أهل وقته على فضله ، وشهد ذووه بنبله ؛ يضرب به المثل في الذكاء والشهامة والحفظ ، أثنى عليه أهل المعرفة .

قال الشيخ سليمان بن سحمان :

يروم المعالي باهتمام ورغبة	فأم إلى هاماتهن الشواهق
بهمته العليا لنيل مرامها	ونهمة مشتاق إليها وشائق
وقلب عقول مطمئن مفهم	يرى إنما تحصيلها في التسابق
فعام بتيار المعارف قاصداً	إلى ثبج هاتيك العلوم الشوارق
علوم أصول الدين والفقه فارتوى	فنال المنى منها بأسنى الطرائق
بهنّ ينال المرء كل فضيلة	وليس بغير العلم ترجى لوامق
فلله من حبر هزبر محقق	أبيّ وفيّ عالم بالحقائق
تقيّ نقيّ ألمعي مهذب	كريم سليم القلب دمث الخلائق
لبيب أريب أحوذي موفق	نقيبة التقوى وبغض المماذق

وقـاد ذهـن حـازم مـتـيـقـظ وذي حذر عن معضلات العوائق

* * *

وقد كان ذا عقل رزين مؤيد وليس بطياش ولا المتحامق
له في فنون العلم باع ومسرح وميل إلى القول الصواب الموافق
يغوص بفهم ثاقب متوقد لحل عويص المشكلات الدقائق
وإدراك ذي علم وحسن روية يفوق بها الأقران من كل حاذق
وحفظ واتقان وحسن تصور لما كان معنياً يراد السائق
يؤم إلى كل العلوم بخبرة وعلم وتحقيق وحلم مطابق
قريب إلى أهل التقى وذوي النهى وليس لأعداء الهدى بالمرافق
بعيد عن الأشرار من كل فاسق وذي دغل جاف جهول منافق
حباه إله العرش منه تفضلاً على رغم أنف الكاشح المتحاذق

* * *

وقد كان للطلاب كهفاً وموئلا إذا ما دهمتهم معضلات الوثائق
فيصدر كل من أولئك راجعاً بكل الذي يهوى بمحض الحقائق
فيفتيهمو بالنص إن كان وارداً وأقوال أهل العلم من كل سابق
فإن لم يجد أقوالهم قال بالذي يقول به الأصحاب من كل لاحق
وقد كان لي بالحق خير مساعد على قمع صنديد كفور مشاقق
ومبتدع في الدين أو متهوك بأهل الهدى أو مستريب منافق
فسيرته محمودة مستفيضة لدى الناس لا تخفى على كل رامق
بكل جميل من محاسن من مضى تحلى فأضحى فائقاً كل فائق

وكان رحمه الله هيناً ليناً ، مهاباً سمحاً ، كريماً متحبباً ، ومفيداً للطالبين ، قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يهاب ولا يهاب ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، له قوة وإقدام ، وشهامة وهيبة منها العجب ، كريماً عن الدنيا لا يذكرها ، ولا تدور في ذهنه ، رؤى من كرم أخلاقه ، وحسن عشرته ، ووفور حلمه ، وغزير فطنته ما لا يدرك .

ولي القضاء في بلدة الرياض من سنة ١٣٢١هـ ، إلى أن توفي رحمه الله ، وله مجالس في التدريس كثيرة ، زاهرة بالعلم مستنيرة ، أخذ عنه بنوه الشيخ محمد ، وعبد الله ، والشيخ عبد اللطيف ، قرأ عليه القرآن .

وأخذ عنه العلم ممن تأهل ، وتولى القضاء ، الشيخ عبد الملك ابن الشيخ إبراهيم بن حسين ، والشيخ عبد الرحمن بن داود ، والشيخ عبد الله بن حمد الدوسري ، والشيخ مبارك بن باز ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم ، والشيخ فالح بن عثمان ، والشيخ إبراهيم بن حسين بن فرج ؛ والشيخ سالم الحناكي ، والشيخ سعد بن سعود ، وغيرهم ممن تأهل الجم الغفير ، فله رد على أمين بن حنش ، وفتاوي فرقناها في مواضعها .

توفي رحمه الله تعالى ، وأسكنه النعيم المقيم سنة ١٣٢٩هـ ، ورثاه جمع ، منهم الشيخ : سليمان بن سحمان ، قال :

على الحبر بحر العلم شمس الحقائق ... نريق كصوب المدجنات الدوافق
دماً بدموع وكفها متتابع ... وحق لذي لب محب ووامق
إراقة دمع العين سحاً ودائماً ... على الشيخ إبراهيم شمس الحقائق
على علم الأعلام نجل ذوي التقى ... من اشتهروا بالفضل بين الخلائق
هموا أظهروا الإسلام في كل وجهة ... من الأرض في غربها والمشارق
هموا جددوا الإسلام بعد اندراسه ... وهدوا رعان الكفر من كل شاهق
فلهفي على شمس تشعشع ضوءها ... وبدر سمت أنواره في الغواسق

* * *

فما طرقتنا ليلة بمصيبة ... ورزء دهى بالمعضلات الطوارق
لست مضت من شهر ذي الحجة انتهى ... لست من الساعات من جنح غاسق
لتسع سنين بعد عشرين قد تلت ... ثلاث مئين بعد ألف مطابق
بأعظم منها لوعة ومصيبة ... فاعول كل بالبكا والتشاهق
ولا كصباح مر يوماً بمره ... كصبح تولوا بالحبيب المفارق
فضجوا جميعاً بالبكاء وبالدعا ... وسالت جفون بالدموع الدوافق
لفقد محب كان مذ شب يافعاً ... وكهلاً إلى غير النهى غير تائق

إلى أن قال :

لئن كان في الدنيا على خير حالة ... يفوز بها أهل التقى والسوابق
لدى الملك العلام ذي العرش والعلا ... وخالقنا الرحمن رب المشارق
فنرجو من المولى له العفو والرضا ... ومحو الذنوب المثقلات العوائق
وإن كان قد أضحى رهيناً لرمسه ... لقد خلف الأحزان في كل وامق

وأضحت ربوع العلم قفراً دوارساً   من العلم للطلاب بين الخلائق
فيالهف نفسي قد أمضى بها الضنا   من الحزن لم يلمم بها حزن ماذق
فيامن على العرش استوى فوق خلقه   عليه علا من فوق سبع الطرائق
أنله الرضا والفوز بالقرب وأكفه   لهيب لظى عند احتضار المضائق

وبكاه ورثاه الخلق الكثير ، منهم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، فقال :

إلى الله نشكوا ما دهانا ونفزع   ونرخي أكفاً للدعاء ونرفع
عسى نفحة من جوده حين سؤلنا   تلم لنا شعثاً وللشمل تجمع
فما مر في أزماننا مر ساعة   أتانا بها أمر فظيع مروع
فما أوحش الدنيا علينا بما دها   وأيتمني والقلب مني مصدع
بموت إمام فاضل متفضل   ومن في فنون العلم بحر مترع
لقد سالت العينان مني بالبكا   وحق لها عند الزلازل تدمع
وهي شديد من خطوب جليلة   وقلبي لفقد الأكرمين مفجع

* * *

فيا لك من جرح ممض ولوعة   تكاد لها الأحشاء مني تقطع
ويالك من رزء فظيع على الورى   وهد بسور الدين من أين يرقع
لقد كان شمساً للورى مستنيرة   وبدراً على أهل البسيطة يسطع
شهاب على هام الشياطين مرصد   ونجم لطلاب الهداية يطلع
إذا ما دجا ليل الشكوك وأظلمت   غياهب سحب الغي عنا يقشع
فتضحى لنا السمحا يلوح طريقها   ويبدو لنا التوحيد يسمو ويلمع

عسى ربنا الباري يجود بمنه ويدخله الجنات يرقى فيرفع
إلى حضرة الفردوس من كل مخلص إلى صالح الأعمال بالسعي يسرع
ويبقي لنا ذرية الشيخ منهمو أمنّ علينا من الآباء وأنفع

الشيخ حسن بن حسين ، رحمه الله

هو الإمام العالم العلامة ، الفقيه الفهّامة ؛ الفاضل الزاهد العابد ، الشيخ : حسن ابن الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٦٧هـ ، في بلد الرياض ، ونشأ بها .

أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله بن حسين المخضوب ؛ والشيخ عبد الرحمن بن عدوان ، والشيخ محمد بن محمود ، والشيخ حمد بن عتيق ؛ وأخذ الفرائض عن الشيخ حمد بن فارس ، وغيرهم ، وبرع في فنون العلم .

وكان فاضلاً ، ورعاً ، حسن السمت ، دائم البشر ، كريم النفس ، مشتغلاً بإلقاء الدروس المفيدة ، نفاعاً للخلق ، حسن الخلق والخلق ، له فضل وجلالة ، وطال عمره ونفع الله به الخلق .

وَلِيَ القضاء للإمام عبد الله بن فيصل في الأفلاج ، وفي ناحية سدير ، وفي الرياض في ولاية ابن رشيد ؛ وله

مجالس مشهورة في البلدان التي ولي القضاء فيها ، ثم في منفوحة ، ورسائل وفتاوى .

أخذ عنه العلم أبناؤه الشيخ : حسين ، والشيخ عبد الله ، وعمر ؛ وأخذ عنه الشيخ محمد ، والشيخ إبراهيم ، والشيخ عبد الرحمن ، بنو الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، والشيخ عبد الله بن فيصل ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم ، والشيخ إبراهيم بن ناصر ، والشيخ سعد بن سعود ، والشيخ إبراهيم السياري ، والشيخ حسن بن إبراهيم بن عبد الملك ، والشيخ عبد الملك بن إبراهيم ؛ والشيخ مبارك أبو حسين ، والشيخ فالح ، والشيخ سالم ، ومحمد بن حميد ، وخلق .

توفي رحمه الله تعالى ، وعفا عنه ، سنة ١٣٤١هـ ، في الرياض ، وبكته الناس ، ورثاه عبد الرحمن بن عقلا وغيره ، ومنهم ابنه عمر في مرثية مطلعها :

على الحبر بحر العلم شيخي ووالدي وقطب رحا ذا الدين جم المحامد

الشيخ سليمان بن سحمان ، رحمه الله

هو الإمام النبيل ، الورع الزاهد ، العابد ، مفيد الطالبين ، قامع المبتدعين ، كاشف شبهات المشبهين والمبطلين ، حامي حوزة الدين ، صاحب التصانيف المشهورة ، والفضائل المأثورة ، البليغ المصقع ، اللوذعي

البلتع ، الثقة الحجة ، مشيد أعلام المحجة ، الشهم اليقظان ، الشيخ سليمان بن سحمان ، ولد سنة ١٢٦٨هـ ، في قرية السقا من بلدان أبها ، ونشأ بها حتى راهق البلوغ ، قال رحمه الله :

وأرض بها علي نيطت تمائمي تسمى السقادار الهداة أولي الأمر
بلاد بني تمام حيث توطنوا وآل يزيد من صميم ذوي الفخر

ثم انتقل منها إلى الرياض ، وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه عبد اللطيف ، وابنه الشيخ عبد الله ، والشيخ حمد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، وغيرهم .

وبلغ في العلوم مبلغاً ، حتى صار مناراً يهتدى به ، إماماً هماماً ، شهماً مقداماً ، أصولياً مجتهداً ، متبحراً ، كثير التصانيف ، كشف جميع شبه المشبهين نظماً ونثراً ، حتى أدحض حججهم ، وأرغم أنوفهم ، مناراً يهتدى به ، أمة وحده ، وفرداً حتى نزل لحده .

أخمل من القرناء كل عظيم ، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم ، قام في رد الشبه مقاماً فاق به أهل وقته ، فثبته الله وسدده ، وأدحض به الباطل وأخمده ، شهد له بالفضل والأمانة من اجتمع به من أهل الشهامة ، ووقف على نثره ونظامه ، وحسن تعبيره وانسجامه ، وأثنى عليه القريب والبعيد ، ومسطره بذلك شهيد .

قال **محمد بن حسين** الأنصاري الهندي :

طائر السعد بالتهاني أتاني … بسرور مبشر بالأمان
أن بدا طالع الزمان بحبـ … ـر ثابت الجأش ماله من ثان
بعلوم بها لقد أفحم الخصـ … ـم وفيها قد قام بالبرهان
أعني حبر الأنام قدوة نجد … ذا سليمان عالي البنيان
فسليمان جل قدراً وفضلاً … وعلوماً تسمو مدى الملوان
سالم العرض والشمائل والأخـ … ـلاق مما يشين في كل آن
قامع الملحدين منه بوعظ … وبكتب تخال مثل السنان
بلسان كوابل الغيث في السلـ … ـم وسيف في حلبة الميدان
يفحم الخصم بالدليل وإلا … فبعضب يرى كسيف يمان
يطلب الحق والرشاد إلى الـ … ـحق له ديدن على كل شان

وقال الشيخ محمد بن حسن المرزوقي ، صاحب قطر مقرظاً على كتاب له :

يعزى لفارس ثغر الدين في زمن ابـ … ـن لسحمان سامي القدر والبشر
شهماً نبيلاً حوى فهماً ومعرفة … وشاد برهانه في واضح الخبر
كم سنة صاح أحيا رسم دارسها … فصار يحكي سناها ساطع القمر
وبدعة درست واندك شامخها … والحق يعلو وليل الجهل ذو غير
كم جاهل جال في الميدان حل به … من مخلب الليث فتكاً غير منجبر
من العراق وشام والحجاز إلى … نجد القصيم وآل الشوم في هجر

وقال الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، بعد ثنائه على عمه الشيخ عبد الله :

لئن كان شيخ الجود أضحى مولياً ففينا أخو السمحاء غيظ المحارب
عسى الله أن يبقى نبيلاً مهذباً يذود عن السمحاء كل مشاغب
عنيت سليمان بن سحمان من غدا يناضل عن دين الهدى كل ثالب
إمام همام ماجد ذو تورع وبذال جود في الليالي السواغب
له همة تسمو إلى المجد والعلا فحل على هاماتها والغوارب
إمام همام ماجد متورع غدا واحداً في شرقها والمغارب
يرى نصرة الإسلام حقاً وواجباً ويحمي حمى السمحاء عن ثلب ثالب
لقد كان بدراً في البسيطة ساطعاً وردماً عن الأعداء أهل المشاغب

وقال الشيخ محمود شكري الألوسي : هو علامة الزمان ، وملاذ الفضل والعرفان ، الكمال المجسد ، والفرد الأوحد ؛ ذو التصانيف الفائقة ، والتآليف الرائقة ، وهو أشهر من أن ينبه عليه .

وله المصنفات المقبولة ؛ منها :

١ ـ الأسنة الحداد ، في رد شبهات علوي الحداد .

٢ ـ كتاب هداية الأنام وجلاء الأوهام ، عن معتقد الإمام ، وعلم الهداة الأعلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٣ ـ الجواب المنكي في الرد على الكنكي .

٤ ـ البيان المبدي لشناعة القول المجدي ، في الرد على أبا بصيل .

٥ ـ التبيان في القول المنيف ، في الرد على ابن عمرو ، مجلد ، ومجلد آخر أخصر منه ، وجزء أيضاً في الرد عليه .

٦ ـ كشف غياهب الظلام ، عن أوهام جلاء الأوهام ، وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عن مفتريات هذا الملحد الكذاب ، علي أحمد باشا .

٧ ـ كتاب الضياء الشارق ، في رد شبهات الماذق المارق ، جميل أفندي ، الزهاوي .

٨ ـ تنبيه ذوي الألباب السليمة ، عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة .

٩ ـ كتاب تبرئة الشيخين ، عن تزوير أهل الكذب والمين ، رد على ولد الصنعاني .

١٠ ـ إقامة الحجة والدليل ، وإيضاح المحجة والسبيل ، على ما موّه به أهل الكذب والمين ، من زنادقة أهل البحرين .

١١ ـ الصواعق المرسلة الشهابية ، على الشبه الداحضة الشامية .

١٢ ـ كشف الشبهتين ، عن رسالة يوسف بن شبيب ، والقصيدتين .

١٣ ـ الجواب المستطاب عما أورده الجاهل المرتاب ، المسمى بمبروك .

١٤ ـ كشف الأوهام والالتباس ، عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس .

١٥ ـ الجواب الفارق بين العمامة والعصائب .
١٦ ـ حل الوثاق ، في أحكام الطلاق .
١٧ ـ نبذة في الزيارة .
١٨ ـ إرشاد الطالب ، إلى أهم المطالب .
١٩ ـ منهاج الحق .

ورسائل ونصائح وأجوبة ، فرقناها في مواضعها على حسب الترتيب ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، وأعلى منازله في جنات العلا ، فلقد نصر الإسلام وأظهره ، وقمع الباطل وأدحضه ، واشتهرت مصنفاته ، وأثني عليها .

قال الشيخ حمود بن حسين الشغدلي ، في ثنائه عليه ومصنفاته :

فهي من أكبر النعم على الطلاب النجديين الموحدين ، من الشرقيين والغربيين ، ثم قال :

تـوالـت همـومـي مـدة وأمـضـت ... وذلـك مـن تـذكـار فـقـد الأجـلة
وقلة من يرجى لكبت عداتنا ... فـغـادرنـا جـيـش الـهـنـا والمسرة
ومـا هـو إلا طـبـع كـتـب أنـيـقـة ... تـزف لأربـاب الـهـدى والـعـنـايـة
فجاءت على وفق المنى تنشر العلا ... لأهل التقى في كل قطر وبلدة
فـقـربـهـا يـا صـاح عـيـناً فـإنهـا ... لنصر الهدى مشحونة بالأدلة
وفيها الهدى من كل شك وشبهة ... يصول بها أهل الشقا والتعنت
كمثل الغلاة الناكبين عن الهدى ... ذوي الشرك والأطر أو جحد الألوهة

كذا كل فدفد إن تجاوز ، واعتدى ومن كان عن نهج التقى ذا جفاوة

* * *

أضاءت لنا كالشمس في فلك العلا فأعظم بها من نعمة قد تجلت

أقام بها سوق الجهاد وما انثنى وأردى بها أهل الخنا والشقاوة

إمام همام لوذعي ومصقع أريب نهيك سابق في النكاية

وشهم حديد ألمعي غشمشم إذا جاء خطب أو قيام بضلة

عنيت سليمان بن سحمان من غدا يجندل أهل الزيغ في كل حفرة

فسل عنه ما أبداه للناس جهرة بنثر ونظم مفحم مع عذوبة

يسر بها والله من كان منصفاً ويزداد غماً عندها ذو الغواية

جزى الله منشيها المسرة دائماً وأبقاه دهراً ناشراً للفضيلة

ومن بعده الحسنى بخلد مؤبد مع السادة الأبرار في خير ورفعة

وقال الشيخ فوزان بن عبد العزيز :

وانظر صواعق علم أحرقت شبهاً ملفقات لهم نالوا بها الشللا

الجهبذ الفاضل الموهوب تكرمة مردى العداة الذي للحق قد عقلا

ومن حمى ملة الإسلام وانتشرت منه الردود على الأعداء وما غفلا

بالنظم حقاً وبالمنثور فاتضحت معالم الحق إذ أحيا له سبلا

أعني سليمان من سارت فضائله مسيرة الشمس في الأقطار إذ فضلا

فانظر لحزب الردى حقاً فقد غرقوا في بحره وانجلى بالحق ما انسدلا

وقال الأديب : محمد بن عبد العزيز الهلالي ، مقرظاً لديوانه ، أملاه الحبر الأريب الماهر ، والبحر العذب

الزاخر ، معجز الأوائل والأواخر ، لم يسبقه إليه سابق ، ولا أظن يلحقه في مثله لاحق ، ثم قال بعد ثنائه على ما كان له ، من الشعر في نصرة الهدى :

كمثل الذي أملاه نحرير عصرنا ... ومن لم يزل في حلة المجد قد رفل
سليمان من يعزى لسحمان ذو الحجى ... وذو الأدب السامي على كل من نقل
لقد كان في بحر البلاغة واحداً ... كما أنه في العلم أضحى هو الأجل
حوى العلم مع نثر الكلام ونظمه ... فما فن إلا حظه فيه قد كمل
يحل عويص المشكلات بفكره ... ووثبته كالليث إن هم ما نكل
فما نثره إلا كشمس منيرة ... لمستبهر يدري وعن ربه عقل
دلائل من آي الكتاب أو الذي ... أتى عن رسول الله بالقول والعمل
وقول ذوي التحقيق من كل جهبذ ... له في ذرى الإنصاف حظ ومدخل

* * *

وما نظمه إلا كعقد منضد ... ولكنه الأبهى لدى كل من عقل
وما هو إلا روضة طاب نبتها ... من الشيح والحوذان والكرش والنفل
إذا قال قولاً سار في الناس منشداً ... وغنى به طفل وشيخ ومكتهل
فصاراه نصر الدين أو قمع مارق ... بشبهته أدلى وبالباطل احتفل
فيكشف ما أوهى بأقوى دلالة ... من السنة الغرا ومحكم ما نزل
فديوانه هذا يدل بأنه سما ... وارتقى للمكرمات ، ولم يزل
ينافح عن دين الهدى كل مبطل ... أتى شطحاً في الدين بالقول والعمل

أخذ عنه العلم أبناؤه : صالح ، وعبد العزيز ،

وعبد الله ؛ ومحمد ابن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ عبد الملك ابناء الشيخ إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد ، والشيخ سليمان بن حمدان ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن حسين ، وغيرهم .

وهو القائل :

نعم نحن وهابية حنفية ... حنيفية نسقي لمن غاظنا المرا
ومن هاضنا أو غاظنا بمغيظة ... سنصعقه صقعاً ونكسره كسراً

والقائل :

وكم من أخي جهل رمانا بجهله ... فعاد حسيراً خاسئاً نائلاً شرا
بمحكم آيات وسنة أحمد ... نصول على الأعداء فنأطرهم أطرا

والقائل :

وألفت كتباً نثرها ونظامها ... يؤيد أهل الحق أرجو بها الأجرا

توفي رحمه الله تعالى ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، سنة ١٣٤٩هـ في بلد الرياض .

ومما قاله حمد بن محمد بن جاسر ، يرثيه هو ، والشيخ سعد رحمهما الله تعالى :

قضاء لا يطاق له مرد ... وأمر نافذ ما منه بد
وهل يجدي التأسف لو تناها ... بنفع أو به قد نيل قصد
ولكن الصبور ولو تسلى ... سيغلب صبر الخطب الأشد

وهل خطب كخطب منه كادت لشدة وقعه تنهار نجد
به فقدت فخاراً لا يضاها ومجداً سامياً لا يسترد
وحالفها خمول مستمر وحالف أهلها حزن وسهد
هدّا ركنان قد رفع علاها فهل يرجى لها التقويم بعد
وأصبح نيراها في خفاء يضمهما عن الأنظار لحد
فأضحت في ظلام مكفهر ومنها النور قدما كان يبدو

* * *

مضى عنها سليمان محثا يؤم أمامه قد سار سعد
فأضحى العلم بعدهما يتيم يحاربه كثير وهو فرد
وأضحى الدين بعدهم مهان يروم لكيده أشر ووغد
هما سيفان ما لهما نظير لنصر الشرعة الغرا يعد
هما حبران أهل تقى وعلم يزينهما لدى العلماء زهد
ففي حل العويص إذا تعامى إذا قصدا له لم يكب زند
وفي قمع الكفور بنص وحي صريح منهما ما فل حد
وفي الإفتاء إن قالا بقول حوى التوفيق قولهما الأسد
وحازا للصواب بلا نزاع يقر بذلك خصمهما الألد

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، رحمهما الله تعالى

هو الإمام العالم العلّامة ، الحبر البحر الفهّامة ، الحافظ الثقة المحدث المجتهد ، المفتي المدرس ، الورع الزاهد ، بدر زمانه ، وسعد أوانه : الشيخ سعد ابن الشيخ

حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة ، ولد في بلد العمار من الأفلاج .

وأخذ العلم عن والده ، ثم سافر لطلب العلم نحو تسع سنين ، فأخذ العلم عن الشيخ نذير حسين الدهلوي ، والشيخ شريف حسين ، والشيخ صديق حسن القنوجي ، وعن الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي ، والشيخ محمد بشير السندي ، والشيخ سلامة الله الهندي ، وأخذ عن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي ، وكلهم أجازوه .

وأخذ عن جماعة من علماء مكة ، منهم الشيخ حسب الله الهندي ، والشيخ عبد الله الزواوي ، والشيخ أحمد أبو الخير ، وجم غفير ، وبرع حتى أدرك من العلوم حظاً وافراً ، وفاق أهل زمانه محصولاً ، وسمق حتى كان حجة حافظاً ، وكان كامل العقل ، شديد التثبت ؛ حسن السمت ، حسن الخلق ، له اليد الطولى في الأصول والفروع ، تام المعرفة في الحديث ورجاله ، وكان من العلماء العاملين ، واشتهر ذكره في العالمين ، وأثنت عليه ألسن الناطقين .

قال الشيخ سليمان بن سحمان : لما رجع من رحلته لطلب العلم من الهند ، ثم من مكة إلى بلده الأفلاج :

على بلد الأفلاج أشرق سعده فآبت لها الألطاف من كل جانب
هنيئاً لكم أهل العمار بمن له مآثر تزهو كالنجوم الثواقب

هنيئاً لكم هذا القدوم بعالم سلالة حبر فاضل ذي مناقب

إلى أن قال :

وأهلاً به من ألمعي مهذب أخي ثقة في وده غير كاذب
تسامت به هماته فتألقت سمات العلا من عليات المراتب
فشام إليها طرفه فسما لها وللعلم يسمو مشمعل المناقب

ولو تتبعنا مناقبه وفضائله لطال ؛ أوقع الله محبته في القلوب ؛ وأمده بسعة العلم ؛ وكان كثير الدعاء والابتهال ، متواضعاً عند العامة ، مرتفعاً عند الملوك ، مجالسه معمورة بالعلماء ، مشحونة بالفقهاء والمحدثين ، مشتغلاً بنفسه ، وبإلقاء الدروس المفيدة على أصحابه .

أخذ عنه العلم الجم الغفير ، وانتفع بعلمه الخلق الكثير ، حسن الإفادة ؛ حسن الاستفادة ، أخذ عنه العلم أبناؤه محمد ، وعبد العزيز ، وحمد ، وأخذ عنه إخوته الشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله ، ومحمد ابن أخيه عبد العزيز ؛ والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ محمد ، وعبد اللطيف وعبد الملك ، بنو الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف .

والشيخ عبد الله ، وعمر ، ابنا الشيخ حسن بن حسين ، والشيخ سعد بن سعود ، والشيخ عبد الرحمن وإبراهيم ابنا حسين ، وعبد الرحمن ابن الشيخ إسحاق ،

والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ ، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي ، والشيخ سليمان بن حمدان ؛ والشيخ عبد الله بن حمد الدوسري ؛ والشيخ إبراهيم بن سليمان ، والشيخ فيصل بن عبد العزيز .

والشيخ عبد العزيز بن سوداء ، وعبد العزيز بن مرشذ ؛ وعبد الله بن عبد الرحمن بن غنام ؛ والشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك ، وعبد الله بن فوزان ، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري ؛ والشيخ عبد الله بن رشيدان ؛ والشيخ عبد الرحمن بن عودان ، والشيخ محمد بن علي البيز ؛ وعبد الله بن سعدون ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم خلق لا يحصون .

ونظم متن الزاد وصل إلى الشهادات ، وله حجة التحريض ، في الذبح عند المريض ، ونصائح ورسائل ؛ وفتاوى فرقناها في مواضعها .

وأملى عند وفاته ،على تلميذه عبد العزيز بن صالح بن مرشد ، هذه الأبيات :

يا حي يا قيوم يا خلاق يا	رزاق يا ذا الفضل والإحسان
بيدك أنفاسي ورزقي كله	وكذا تقليب مقلتي وجناني
يا رب هب لي رحمة تهدي بها	قلبي وتعصمني من الشيطان
ومن الضلال عن الصراط القيم الم	فضي بصاحبه إلى الرضوان
دين النبي محمد وصحابه	والتابعين لهم على الإحسان

وقني إلهي فتنة أشقى بها ... بهوى يضل وبالحطام الفاني
فأنا الضعيف المستجير بخالقي ... المستعيذ به من الخذلان
وأنا العظيم الذنب فاغفر زلتي ... يا واسع الإحسان والغفران

توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى ، في ١٣ جمادى الأولى ، سنة ١٣٤٩هـ ، في بلد الرياض ، وأصيب المسلمون بموته ، وضجوا بالبكاء والعويل ، والدعاء له ، ورثاه جماعة ، منهم محمد بن عبد الله بن عثيمين ، مطلعها :

أهكذا البر تخفى نوره الحفر ... ويفقد العلم لا عين ولا أثر

إلى أن قال :

وابك على العلم الفرد الذي حسنت ... بذكر أفعاله الأخبار والسير
من لم يبال بحق الله لائمة ... ولا يحابي امرءاً في خده صعر
بحر من العلم قد فاضت جداوله ... أضحى وقد ضمه في بطنه المدر
فليت شعري من للمشكلات إذا ... حارت بغامضها الأفهام والفكر
من للمدارس بالتعليم يعمرها ... ينتابها زمر من بعدها زمر
هذي رسوم علوم الدين تندبه ... ثكلى عليه ولكن عزها القدر
طوتك يا سعد أيام طوت أمما ... كانوا فبانوا وفي الماضي معتبر
إن كان شخصك قد واراه ملحده ... فعلمك الجم في الآفاق منتشر

وقال **الشيخ** عبد الملك ابن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف :

مصاب دهى بالمعضلات النوازل ... ورزء عظيم قد أهاج بلابل
وكسر دهى الإسلام من أين جبره ... وخطب عرا مذك سعير الغلائل
به الأرض ضاقت والسماء تغيرت ... وأظلمت الآفاق من عظم نازل
فآن لقلبي أن يحالفه الأسى ... وللعين تبكي بالدموع الهواطل
لدن جاءنا الناعي مساءاً مخبراً ... بموت إمام العلم زاكي الشمائل
هو الشيخ سعد من غدا متفرداً ... بكل فنون العلم بين القبائل
إمام لعمري ناسك متورع ... تقي نقي ما له من مماثل
إمام لعمري كان بالعلم عاملاً ... يراقب رباً ليس عنه بغافل
إمام لعمري كان للعلم باذلاً ... يقرر للتوحيد بين المحافل
إمام لعمري ذو علوم كثيرة ... وذو خشية لله ليس بذاهل
إمام لعمري متقن بل وحافظ ... فقيه نبيه فاضل وابن فاضل

* * *

رحيب لأهل الخير يحنو عليهمو ... وغيظ لأفاك جهول مماحل
يجاهد أعداء الشريعة دائباً ... ولم يخش في الرحمن لومة عاذل
وملة إبراهيم أضحى يحوطها ... ويحمي حماها من جميع الغوائل
له مجلس بالعلم يزهر دائماً ... تشد إليه مضمرات الرواحل
يأمونه الطلاب من كل وجهة ... تراهم عكوفاً بين قار وسائل
فيلقون حبراً للغوامض كاشفاً ... يحل عويص مشكلات المسائل

فما مرنا في دهرنا مر ساعة بها جاء نعي الشيخ جم الفضائل
تغمده رب العباد برحمة وأسكنه الفردوس مع كل عامل
سقى الله قبراً حله وابل الرضا بديمة عفو بالضحى والأصائل

الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، رحمهما الله تعالى

هو الإمام العالم العلامة، الشهم الثقة الفهّامة، محيي السنة قامع البدعة؛ الزاهد الورع العابد، ذو العقل الكامل، والخلق الحافل، أوحد العصر في أنواع الفضائل، أبو عبد الملك شيخ الإسلام، الشيخ: عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولد في الأحساء سنة ١٢٦٥هـ، وقدم بلد الرياض سنة ١٢٧٢هـ، وأخذ العلم عن أبيه وجده؛ والشيخ حمد بن عتيق، والشيخ عبد الرحمن بن عدوان، والشيخ عبد الله بن حسين المخضوب؛ والشيخ محمد بن محمود، والشيخ عبد العزيز المرشدي؛ وفارس الرميح، وغيرهم.

وبرع في جميع الفنون، الأصول والفروع، والتفسير والنحو، وغيرها؛ وصار رفيع القدر، جم الفضائل، انتهت إليه الرئاسة في العلم؛ والرأي والكرم، قدوة الأنام؛ حسنة الأيام، افتخرت به نجد على سائر الأمصار، وشاع صيته في الأقطار، وضرب به المثل في الهيبة والاشتهار.

له اليدى الطولى في الفروع والأصول ، والمجالس للتدريس المحفوفة بالفحول ؛ وله صدور المجالس والمحافل ، وإلى قوله المنتهى في الفصل بين العشائر والقبائل ، مع ما أمده الله من سعة العلم ، وفطره عليه من الكرم والحلم ، وكان لا يوفر جانبه عمن قصده ، قريباً كان أو بعيداً ، ولا يدخر شفاعته عمن اعتمده برياً أو بحرياً ؛ ضعيفاً أو شديداً ، ينتابه الأمراء والملوك ، والعلماء ، وأثنى عليه القريب والبعيد .

قال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى :

صحا القلب عن ذكر الحمى والأخاشب ... وعن ندب أطلال عفت بالذنائب

وأقلعت عن شوق ووجد بزينب ... وإن تيمت قلبي بزج الحواجب

وأبدلت من وصف اللواء وظبائه ... حسان الوجوه الناعمات الكواعب

بمدح إمام الدين والحق والهدى ... ألا ذاك عبد الله فرع الأطائب

هو العالم النحرير والماجد الذي ... سما مجده أوج النجوم الثواقب

هو العلم الفرد الذي سار ذكره ... بكل القرى من شرقها والمغارب

حليف التقى والعلم والحلم والنهى ... حميد السجايا الشم جم المناقب

شقيق الندى عف الإزار أخو الثنا ... رحيب الفنا جزل الحبا والمواهب

كريم المحيا باسم متهلل ... ثمال لمعتر وكنز لراغب

ضياء علوم إن دجا ليل مشكل ... وغيث سماح هاطل بالرغائب

فصيح بليغ متقن متفنن ... همام له في الفضل أعلى المراتب

* * *

لقد نال من نهج البلاغة رتبة — يقصر عنها كل ساع وراكب
إذا قام يوماً فوق أعواد منبر — خطيباً فيا لله من وعظ خاطب
مهيب عليه للوقار سكينة — حباه بها الرحمن أكرم واهب
إليه لأخذ العلم من كل بلدة — يشد رجال القوم نجب الركائب
فيلقون حبراً في العلوم مهذبا — يجلي بشمس العلم ليل الغياهب
يحل الذي أعيا ويكشف ما خفى — بفكر كعضب للإصابة صائب
يجيب على الفتيا جواباً مسدداً — يزيح بها الاشكال عن فكر طالب
فيا لك من شهم إذا قال لم يدع — مقالاً لأرباب العلا والمناصب
هو الندب وضاح الجبين كأنما — أنامله مخلوقة من سحائب
أشم عصامي من النفر الأولى — فضائلهم لم يحصها عد حاسب
مقاوم من عليا تميم توارثوا — كرام المساعي عن جدود مناجب

ولو ذهبنا نتتبع مآثره، ومحاسنه وفضائله، وما أثني به عليه، لخرج بنا عن المقصود، وهو أشهر من أن ينبه على فضله، يضرب بشهرته المثل، له رسائل وفتاوى ونصائح كثيرة مفيدة، ورأي راجح في الحوادث المدلهمة، وهيبة وجلالة ألبسها بين الأمة؛ ومجالس في التدريس، عليها من المهابة جمة، في سنين عديدة، مشهورة مستنيرة، بل هو المتصدي للتدريس والفتوى بنجد.

أخذ عنه العلم بنوه: عبد الملك، وعبد اللطيف، ومحمد، وصالح، وأخذ عنه العلم عمه الشيخ إسحاق بن

عبد الرحمن ، وإخوته الشيخ : محمد ، والشيخ إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد الرحمن ، والشيخ صالح بن عبد العزيز ، والشيخ محمد بن إبراهيم ، وعبد اللطيف ، وعبد الرحمن ابن الشيخ إسحاق ، وعبد الرحمن ابن الشيخ محمد ، والشيخ عبد الملك بن إبراهيم بن عبد الملك ، وعبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك .

وعلي ابن الشيخ عبد العزيز ، وعمر ابن الشيخ حسن ، وصالح ، وعبد الرحمن ابناء الشيخ عبد العزيز بن محمد ؛ والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، والشيخ عبد الله بن فيصل ، والشيخ عبد العزيز بن بشر ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود ، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق ، والشيخ عبد الله بن سليمان السياري ، والشيخ عبد الله بن حمد الدوسري ، والشيخ سالم الحناكي ، ومحمد الحناكي ، والشيخ عمر بن سليم ، والشيخ عبد الرحمن بن عودان ، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي ، وناصر بن سعود بن عيسى .

والشيخ مبارك بن عبد المحسن ، والشيخ عبد الله بن زاحم والشيخ عبد الله بن بليهد ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله النمر ، والشيخ سعد بن سعود ، والشيخ فيصل بن

عبد العزيز آل مبارك ، والشيخ إبراهيم بن سليمان بن راشد ، والشيخ عبد الله بن عتيق ، والشيخ عبد اللطيف بن عتيق ، والشيخ إبراهيم وعبد الرحمن ابنا حسين ؛ والشيخ عبد الله بن رشيدان ، والشيخ سليمان بن حمدان ، والشيخ محمد بن علي البيز ، والشيخ فالح بن عثمان بن صغير ، والشيخ عبد العزيز الشثري ، وعبد العزيز بن مرشد ، وحمد بن محمد بن موسى ، وخلق لا يحصيهم إلا الله تعالى .

توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٣٩هـ ، ورثاه الجم الغفير ، منهم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ، قال :

علي الشيخ عبد الله بدر المحافل	نريق كصوب الغاديات الهواطل
دموعاً على الخدين تجري بعبرة	ولوعة محزون مهاج البلابل
فقد حق أن العين تهراق ماءها	وتسكب دمعاً بالضحى والأصائل
وآن لكبدي أن تذوب وينطوي	فؤادي على حزن به متواصل
وللأنس أن يزور عني جانبا	فإني مصاب القلب مذكى الغلائل
فما مرنا يوم فظيع على الورى	كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمائل
فأعظم به من فادح جل خطبه	به الكل مفجوع مصاب المقاتل
ويا لك من رزء به انبتّ حبلنا	وداهية من قاصمات الكواهل
ويا لك من نقص عظيم وثلمة	وهد بسور الدين صافي المناهل

* * *

فهل أحد يرجى لسد انثلامه	وفرجته هيهات ذا غير حاصل

فما أم بكر قد أظلته يوماً تحن على فقدانه في المنازل
بأعظم مني لوعة ومصيبة لدن قيل مات الشيخ جم الفضائل
هو العالم النحرير والجهبذ الذي يبين الهدى في مشكلات المسائل
هو الناصح البذال في النصح وسعه وغايته كي ينتهي عن أباطل
إمام لعمرى عارف أهل وقته طبيب زمان ماله من مماثل
تقي نقي حازم ذو رزانة وثابت جأش في اشتداد النوازل
حليم ذكي ذو دها وسماحة وذو خلق زاك وحسن شمائل
فقيه نبيه ناسك متورع وذو نصف في أمره غير مائل
مهيب إذا ما جئته ذو تبسم وذو شبه بالسالفين الأماثل
قفا أثرهم بالصالحات ونصرهم لدين الهدى العالي على كل طائل

* * *

إليه تشد اليعملات وتمتطى ظهور الفلا من شاسعات المنازل
وصول لأرحام إن قطعت له صفوح عن الزلات من جهل جاهل
عفو عن الجاني عليه وجارم وعن نائل من عرضه أي نائل
وقد كان شمساً للأنام منيرة وكهفاً لعمري للهداة الأفاضل
وكان شهاباً محرقاً لذوي الردى وأجناد إبليس اللعين المخاتل
يرد على ذي الابتداع ابتداعه ويثنيه مغلولاً على غير حاصل
وسيفاً على الكفار قد سل نصله يفلق من هاماتهم كل طائل
من الترك والأرفاض أخبث شيعة وعبادة الأوثان أهل الغوائل
وجهمية في غيرهم من طوائف وأحزاب سوء قد أقاموا لباطل

وقد كان ردماً دون كل كريهة ... تنوب شجا في حلق كل مماحل

وقد كان قصداً للعفاة[1] ومجتداً ... ووالد أيتام وغيث أرامل

إذا منصف يوماً تأمل حاله ... وبهجته للارتياح لنائل

تيقن أن الشيخ قد أحرز العلا ... بأجمعها سبحان مولي الفضائل

وما قلته من زاكيات خصاله ... فوالله نزر من أقل القلائل

وشهرته تكفي وأخباره التي ... يسار بها في الضاعنين ونازل

فيا عين سحي أدمعا بعد أدمع ... على وجناتي واستمري وواصلي

سأبكيه جهدي ما حييت بحرقة ... ويبكيه غيري من شريف وخامل

ويبكيه أصل الدين قطب رحا الهدى ... ويشجو على تقريره في المحافل

ونشر له من بعد لف يبين ما ... أراد به الأعلام من كل فاضل

وتبكي فروع طال ما كان موضحاً ... لمرجوحها من راجحات المسائل

ويبكيه حقاً كل صاحب سنة ... من العلماء العالمين الأماثل

ويبكيه طلاب العلوم بلوعة ... وأعينهم كالمستهل بوابل

على مجلس ينتابه كل مبتغ ... لدين الهدى من ذي استماع وسائل

ومن حافظ تقريره بفؤاده ... وآخر بالأقلام راو ، وناقل

ومن قارئ ما يشفى من مصنف ... ولا سيما الأصل المنافي لباطل

وكتب حديث للبخاري ومسلم ... وغيرهما من أمهات الدلائل

* * *

فكان لعمري جنة قد تزخرفت ... وقد أدنيت منها القطوف لنائل

---

(١) نسخة: قصدا الفاة.

فهل عوض منها فنقطف مثلما قطفناه منها عاجلاً غير آجل
ويا ليت شعري أنني كنت واجداً كمجلسه يوماً فأروى غلائلي
فهيهات هيهات انقضى وتصرمت لياليه بالحسنى وجم الفضائل
جزاه إله الناس عنا بجنة وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
وأخلفه بخير في عقب وفي عشيرته والله مولى الفضائل
وأبقاهمو دهراً يذبون جهدهم عن الملة السمحا برد الأباطل
ووفقهم للصالحات فإنه قريب لداع مستجيب لسائل
وأحي لنا أشياخنا أنجم الهدى لإرشاد غاو بل وتعليم جاهل

وقال الشيخ سليمان بن سحمان :

لقد كسفت شمس العلا والمفاخر وقد صاب أهل الدين إحدى الفواقر
وقد فتقت في الدين أعظم ثلمة لدن غيبوا في الرمس بدر المنابر
عنيت به شيخ الهدى معدن الندى وجالي الصدى بالقاطعات الظواهر
جمال الورى جزل القرا شامخ الذرى ومفتي القرى شيخ الشيوخ الأكابر
هو الشيخ عبد الله من عم صيته لدى كل صقع في بعيد الجزائر
سليل الرضا عبد اللطيف الذي له مآثر تزهو كالنجوم الزواهر
سلالة من أحيوا لدين محمد نبي الهدى أكرم بهم من أطاهر
لقد أشرقت نجد بنور ضيائهم وقاموا بنشر الدين بين العشائر
تغمدهم رب العباد بفضله ورحمته والله أكرم غامر
همو جددوا دين الهدى بعدما عفا بصدق وجد قامع للمكابر
فأصبح أصل الدين يزهو بنوره على رغم أهل الشرك من كل كافر

* * *

ووازرهم في نصرة الدين والهدى ... عصابة حق من كرام العناصر
ليوث إذا الهيجاء شب ضرامها ... بهم تقترى غرثى السباع الضوامر
بآل سعود أظهر الله دينه ... فقد جردوا في نصره للبواتر
وقد جاهدوا في الله حق جهاده ... بحزم وعزم في الوغى والتشاجر
إلى أن أعاد الله دين نبينا ... على حالة يرضى لها كل شاكر
فلا زال من أبنائهم نصرة له ... ولا زال حزب الله أهل تناصر
أقول ودمع العين يهمى بعبرة ... على الخد مني مثل تسكاب ماطر
وفي القلب نار الحزن تذكى ضرامها ... لو أهبها أورت أليم السعائر
أرقت ومالي في الدجا من مسامر ... يرى فيض دمعي والنجوم الزواهر
أروم لنفسي في دجا الليل راحة ... وكيف ونومي لا يلم بخاطر
ألا ذهب الحبر المحبب في الورى ... مجدد أصل الدين غيظ المناظر
أبو مضيف من يقصده يلق بشاشة ... وبشراً وجوداً في الليالي العسائر
به الجود طبعاً لا يفارق كفه ... ومن طبعه حسن الوثوق بقادر

* * *

له السبق في غايات مجد وسؤدد ... وعلم وإنصاف وعفة صابر
وحلم عن الجاني وصدق مودة ... وإرشاد ذي جهل وقمع مقامر
ورأي سديد يستضاء بنوره ... لدى الحادثات المنصعات البوادر
أبي وخذ ما شئت من لين جانب ... لدى الصحب والإخوان أو ذي أطامر
ولكنه ليث عليه مهابة ... ولا سيما عند الغواة الغوادر
وكم من مزايا لا يطاق عدادها ... وليس بمحصيها يراع لحاصر

وليس بمحتاج إلى مدح نادب | شمائله مشهورة في العشائر
ولكن لنا بعض التسلي بذكرها | وحق بأن يرثى له كل شاعر
وما مات إلا بانقضاء لمدة | من الأجل المحدود في علم قاهر
فلا جزع مما قضى الله ربنا | وقد منح المولى مثوبة صابر

وقال الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ إبراهيم رحمه الله :

على الحبر بحر العلم زاكي المناقب | بكينا عليه بالدموع السواكب
وحق لعيني أن تريق دموعها | وللأنس أن يزور عني بجانب
وحق لقلبي أن يرى متصدعاً | وللجسم أن يمسي كجسم لشاحب
وذاك لخطب قد دهانا مروع | أصاب سويدا القلب بين الحواجب
فأعظم به من فادح جل خطبه | مصيبته تنسى جميع المصائب
به أظلمت أرجاء نجد جميعها | لما عمها من فادحات النوائب
فوالله إن العيش عاد منغصاً | لدن غيبوا أسد الهداة الأطائب
وأعني به الشيخ الإمام الذي له | مآثر مجد عاليات المراتب

* * *

هو الشيخ عبدالله ذو الجود والتقى | وذو الحلم والإحسان صافي المشارب
إمام لعمري كان بالعلم عاملاً | وكهفاً لأيتام وغيثاً لطالب
حليم عليه للوقار مهابة | وثابت رأي في اشتداد النوائب
إمام لدين الله كان مجدداً | شهاب على الأعداء من كل ناكب
تفرد في التقوى وفي الحلم والحجى | وكان لعمري ما له من مقارب

أبي وفـي صـادق ذو سـمـاحـة   وذو خـلـق زاك وجـم المنـاقـب
تـفـرع مـن قـوم كـرام أعـزة   لهـم همة فوق النجوم الثواقب

* * *

أقول ودمع العين جار بعبرة   على الخد مني ساكب أي ساكب
ألاذهب الشيخ الإمام أخو الندى   وكشاف هم مد لهم الغياهب
مناقبه في الناس أضحت شهيرة   وليس بمحصيها يراع لكاتب
فوائده سارت بشرق ومغرب   تسير بها الركبان فوق النجائب
له مجلس بالعلم يزهر دائماً   يحف به من مستفيد وطالب
إليه أتى الطلاب من كل وجهة   لكي يرتووا من صافيات المشارب
فيلقون ما قد أملوه وزائداً   من العلم والتحقيق خير المساكب
يقرر توحيد العبادة دهره   ويهتك أستار الغواة الكواذب
لئن عاش في الدنيا عزيزاً منعماً   فنرجو له الجنات أعلى المطالب
فيا رب يا مولاي بوئه منزلاً   بأعلى الجنان يا سميعاً لطالب

وقال الأديب ناصر بن سعود بن عيسى :

قضى الإله الذي فوق السموات   أن البرية تفنى بالمنيات
نعى النعاة لنا شيخ الوجود قريـ   ـع الدهر شمس الهدى عالي السجيات
نعوا إماماً هماماً حازماً يقظاً   أتقى وأنقى وأحجى ذو مروات
إنسان عين الزمان خير مؤتمن   فينا على الدين حقاً والولايات
فالحمد لله إنا للإله وإنا   راجعون إليه في الملمات
ياعين جودي على شيخي بعبرات   وابكي أخا المجد مأمون السريرات

وابكي على الشيخ عبد الله أفضل أهـ … ـل العصر أكثرهم تقوى وخيرات
وابكي على شيخنا بحر العلوم وقا … موس الفهوم الزكيات الصحيحات

* * *

وابكي على عالم جم فضائله … خير امرئ قد علمنا في البريات
علماً وحلماً وجوداً لا نظير له … يا لهف نفسي عليه بين أموات
كان الضياء وكان النور يتبعه … على الذي يرتضي رب السماوات
وينشر العلم لطلاب كان بهم … براً نصيحاً منيلاً للكرامات
مصيبة عظمت لا كالمصيبات … موت الإمام الزكي الأورع الرات
ريعت لها من ذوي الإسلام أفئدة … فأذهبت عنهم كل المسرات
كادت تفيض عليه النفس من حزن … ومن دم تستهل العين عبرات
خطب عظيم الشأن فاجأنا … فراعنا إذ أتانا أي روعات

* * *

يا أيها المسلمون ابكوا لشيخكمو … سحوا الدموع التي كانت غزيرات
هل يشبه الشيخ عبد الله من أحد … في المكرمات وفي حسن الخليقات
هل يشبه الشيخ عبد الله من أحد … في الأصل والفرع من نفي وإثبات
بر رحيم لطيف الطبع مبتعد … عن الخنا والمساوئ والدناءات
نور أضاء على نجد وساكنها … فأصبحت بعد ذلك النور ظلمات
كانت مجالسه بالعلم عامرة … للطالبين وأصحاب السؤالات

إلى آخر ما أثنى به مما جاد فيه ، فرحمه الله وعفا عنه .

الشيخ محمد بن عبد اللطيف ، رحمه الله

هو العالم الجليل ، الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ولد في الرياض سنة ١٢٨٢هـ ، ونشأ في بيت علم نشأة حسنة مباركة ، قرأ القرن وحفظه ، وشرع في طلب العلم بهمة عالية .

فقرأ على علماء الرياض ، ومن أبرزهم أخوه عبد الله بن عبد اللطيف ، ومحمد بن محمود ، وحمد بن عتيق ، وسليمان بن سحمان ، حتى نبغ في العلم وتأهل للقضاء فعين في شقراء ، وبعث داعية إلى عسير وغامد وزهران .

وجلس للطلبة ، وكان حسن التعليم واسع الاطلاع ، يحب جلب الكتب ومشتراها ، وتولى قضاء الرياض ، وانتهى إليه الإفتاء والتدريس بعد وفاة أخيه عبد الله ، وغير ذلك .

توفي رحمه الله سنة ١٣٦٧هـ وخلف أبناءه الثلاثة عبد الرحمن ، وعبد الله ، وإبراهيم ، انتهى باختصار من روضة الناظرين لمؤلفها محمد بن عثمان القاضي .

الشيخ صالح بن عبد العزيز ، رحمه الله

هو العالم الجليل ، الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين ، ولد في قرية السلمية من بلدان الخرج سنة ١٢٨٧هـ ، توفي والده وهو صغير وكفله ابن عمه حسن بن حسين ، حين تزوج أمه ، ورعاه رعاية حسنة ، فقرأ عليه القرآن حتى حفظه ، وقرأ عليه مبادئ العلوم .

ولما بلغ رشده زوجه فاستقل بنفسه ، وصار يتعاطى البيع والشراء ، ولم يصده ذلك عن طلب العلم ، فمشائخه من أبرزهم ابن عمه الذي تقدم ذكره ، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، وهو أكثر مشائخه نفعاً وملازمة ، والشيخ عبد الله الخرجي ، ومحمد بن محمود ، وحمد بن فارس .

وتعين إماماً بمسجد ابن شلوان المجاور لبيته ، ودرّس فيه ، فتخرج عليه ثلة من طلبة العلم ، وكان يصدع بالحق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، غزا مع الملك عبد العزيز ، وكان من الشجعان البواسل وإماماً في الجيش ، تولى القضاء في الرياض ، مع الشيخ سعد بن عتيق ، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٢هـ انتهى باختصار من روضة الناظرين .

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، رحمه الله

هو العالم الورع الزاهد ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧ من الهجرة ، وعرض له اليتم في صغره ، وبعد حفظه للقرآن قرأ على المشائخ ، ومنهم صالح بن عثمان قاضي عنيزة .

ثم جلس للتدريس وأخذ عنه العلم عدد كثير ، منهم الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام ، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، وله مؤلفات مشهورة ، منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن .

توفي رحمه الله في جمادى الآخر سنة ١٣٧٦هـ ، وخلف ثلاثة أبناء ، انتهى باختصار من روضة الناظرين المتقدم ذكرها ، ولمزيد من المعرفة عن ترجمته انظر ما في الجزء الثالث من كتاب الشيخ البسام .

الشيخ عبد الله الخليفي ، رحمه الله

هو العالم الجليل والفقيه الفرضي الشهير ، الشيخ عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن الخليفي ، ولد في البكيرية بالقصيم سنة ١٣٠٠ من الهجرة ، ونشأ نشأة حسنة ، قرأ القرآن وحفظه مع مبادئ العلوم على خاله محمد العبد الله الخليفي .

ثم علت همته للتزود من العلم فسافر إلى مدينة حائل ، ولازم علماءها بجد ونشاط ، ومن أبرزهم عبد العزيز الصالح المرشد قاضي حائل ، وعبد الله بن مسلم ، وعبد الله بن سليمان بن بليهد .

وكان لا يسأم من المطالعة ، ومشغولاً بكتب ابن تيمية وابن القيم ، وذو تبحر في الفقه والفرائض ، تولى القضاء والتدريس في عدد من المدن ، توفي رحمه الله سنة ١٣٨١هـ ، وخلف أربعة أبناء ، انظر روضة الناظرين إن شئت معرفة أكثر عنه .

الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ، رحمه الله

هو العالم الجليل ، والفهّامة المهيب الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، خليفة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، ولد سنة ١٣١١هـ بمدينة الرياض ، في بيت علم وشرف ودين .

ربّاه والده إبراهيم أحسن تربية ، ونشأ نشأة حسنة ، وحفظ القرآن نظراً وهو في العاشرة ، وحفظ مبادئ العلوم ، وفقد بصره وهو في السادسة عشر من عمره ، فأخذ يحفظه شيئاً فشيئاً حتى أكمله ، وصار يدارس والده القرآن ويحفظ المتون ، وكان أبوه قاضياً في مدينة الرياض .

ولازم علماء الرياض ، ومن أبرزهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ

عبد الله بن راشد ، ولازم أباه وعمه عبد الله ، وأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير .

وكان المشائخ معجبين بفرط ذكائه ونبله ، فصار على حسن ظنهم ، حيث كان خليفة الشيخ عبد الله في الإفتاء ورئاسة القضاء ، وكل مرفق يحتاج في رئاسته إلى عالم يرجع إليه ، فله فيه الباع الطويل .

فله الأثر الكبير في التعليم وحسن التأسيس له ، والحرص التام على التخصص في العلوم الشرعية ، بل والحرص على تعلم الناس دينهم الذي لا نجاة لهم إلا به .

وقد أخذ العلم عنه خلق كثير منهم الآن من تولّى الرئاسة في الإفتاء والقضاء ، وهيئة التمييز ، وهيئة كبار العلماء ومنهم المدرسون والدعاة إلى الله ، ورؤساء الهيئات ، والمستشارون، وغير ذلك من آثار طيبة وجليلة ، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وجزاه أحسن الجزاء ، ولا شك أن المسند إليه ذلك له نصيب كبير في ذلك .

توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩ من الهجرة وجمع له رسائل وفتاوى بلغت ١٣ جزءاً مرتبة ترتيباً جيداً ، لا يستغني عنها طالب العلم لما فيها من الوضوح ، ولما فيها من حسن الجواب ، وما يربط بين الماضي والحاضر في معرفة الأمور وحل المشاكل وغير ذلك ، ولا تزال شجرته خضراء ـ ولله الحمد ـ فقد خلّف أولاداً وأحفاداً فيهم خير وبركة .

الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، رحمه الله

هو العالم الجليل والحبر الفهّامة النبيل ، المحقق المدقق ، الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٢٩ من الهجرة ، وفقد بصره في طفولته .

حفظ القرآن ، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ، فقرأ على الشيخ حمد بن فارس ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ومحمد بن عبد اللطيف ، والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم .

وكان مشائخه يتفرسون فيه الذكاء والنباهة ، ويقولون سيكون لهذا الفتى شأن ، فكان على حسن ظنهم ، نفع الله به الإسلام والمسلمين ، فكان قاضياً ومفتياً ، وداعية إلى الله ومصلحاً ، ومحبوباً .

تولى مناصب عدة منها القضاء ، ورئاسة المجلس الأعلى للقضاء ، ورئاسة الحرم المكي ، والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي ، وعضو في هيئة كبار العلماء مع قيامه بالتعليم في كل مدينة يسكنها ، وبعثه الرسائل في الدعوة إلى الله ، والرد على من ظهر منه الخطأ في الصحف والمجلات ، وإجابته عن الأسئلة في المحاضرات والندوات ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي قلّ من يقوم بمثلها ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه الله أحسن الجزاء .

وافته المنية في ١٤٠٢/١١/٢٠ من الهجرة ، وقد خلف أولاداً وتلامذة فيهم خير وبركة ، فلّله الحمد والمنة ، ونسأله تعالى أن يجعلهم خير خلف لخير سلف ، ورثاه ثلة من العلماء منهم الشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل ، وأحمد الغنام ، كما في روضة الناظرين . ولمزيد من المعرفة عنه انظر ترجمته في « علماء نجد خلال ثمانية قرون » ج/ ٤.

الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد ، رحمه الله

عالم جليل وداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولد في بريدة بالقصيم عام ١٣٢٢ من الهجرة ، وتعلم فيها القراءة والكتابة ، ثم بدأ بطلب العلم على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ، والشيخ عمر بن محمد بن سليم ، والشيخ عبد العزيز العبادي ، وغيرهم من علماء بريدة حتى أدرك وصار من العلماء .

وقد رشحه شيخه عمر للقضاء في برك الغماد ، من مقاطعة جيزان ، ثم تنقل في محاكم تهامة ، فصار رئيساً لمحكمة القنفذة ، ثم رئيساً لمحكمة جيزان ثم نقل رئيساً لمحكمة البكيرية ، ثم نقل رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقصيم ، ثم أحيل للتقاعد في عام ١٣٨٣هـ .

وله نشاط في الدعوة والإرشاد ، والنصح ، وقد تولى في آخر حياته الإشراف على مدارس تحفيظ القرآن في

القصيم ، فقام بذلك بجد واجتهاد ، وكان يجلس للتدريس في أحد مساجد بريدة ، والتف عليه عدد من الطلبة ، ونفع الله بعلمه حتى أقعده المرض .

توفي رحمه الله في يوم الاثنين ٣/٦/١٤٠٤هـ وحضر الصلاة عليه جمع غفير فرحمه الله وعفا عنه ، انتهى باختصار مع بعض التصرف من كتاب البسام « علماء نجد خلال ثمانية قرون » ج/٤.

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مهيزع ، رحمه الله

عالم جليل وحبيب لبيب متواضع ، ولد في حريملاء سنة ١٣٢٥ من الهجرة ، ونشأ فيها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، فلما صار في طور الشباب من عمره وعلت همته لطلب االعلم ، رحل إلى الرياض وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ، وعلى أخيه الشيخ عبد اللطيف ، ولازم الشيخ محمد في كثير من العلوم الشرعية حتى عدّ من الطلاب المدركين .

فلما بلغ هذا المبلغ ولما له من سجايا طيبة عيّن قاضياً في عدة قرى ، ثم في المحكمة الكبرى بالرياض ، ثم أحيل على التقاعد برغبة منه ؛ ومع أعماله القضائية فله مشاركة هامة في التدريس والإفتاء والبحوث وغير ذلك ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، ونسأله تعالى أن يجعل منازلنا وإياه في الفردوس الأعلى .

توفي رحمه الله عام ١٤٠٤هـ انتهى باختصار مع بعض التصرف من كتاب البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ج/٦.

الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، رحمه الله

الحبيب اللبيب والعالم الجليل، والداعية إلى الله، اليقظ الفطن، ولد رحمه الله سنة ١٣٣١ من الهجرة في الشماسية، ثم انتقل إلى بريدة مع أسرته وقرأ القرآن، واشتغل مع والده في التجارة، ثم الزراعة.

وتفرغ لطلب العلم، فأخذ يطلب العلم على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ولازمه ملازمة تامة، وقرأ أيضاً على الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، وعلى الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، وغيرهم، وعرض عليه القضاء، ولكنه اعتذر.

وفي عام ١٣٧٣هـ عيّن مدرّساً في المعهد العلمي ببريدة، وفي عام ١٣٨٤هـ عيّن إماماً في مسجد الوزان، وأخذ يدرس العلوم الشرعية لطلاب العلم، وكان له مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب، فيقضي فيها كثيراً من وقته في البحث والتأليف والمطالعة.

وطلب منه أن يكون محاضراً في كلية الشريعة بالقصيم فوافق على ذلك، واستفاد منه الطلاب؛ ثم أحيل للتقاعد،

فتفرغ للدعوة ؛ ومن أجل أعماله إنشاء الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ، وجمعية البر التي من أهم أهدافها رفع المستوى الاجتماعي والصحي والثقافي ببريدة وضواحيها .

ومن تلاميذه الشيخ صالح الفوزان والشيخ إبراهيم الدباسي وحمد المحيميد وغيرهم ؛ وله مؤلفات منها عقيدة المسلمين والرد على الملحدين ، والسلسبيل في معرفة الدليل ، والهدى والبيان في أسماء القرآن وغيرها ؛ فجزاه الله عنا وعن المسلمين أحسن الجزاء ، وجعل منازلنا وإياه في الفردوس الأعلى .

توفي رحمه الله في يوم الجمعة ١٤١٠/٥/٣ من الهجرة ، انتهى باختصار مع بعض التصرف من كتاب الشيخ البسام « علماء نجد خلال ثمانية قرون » ج/٢.

الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، رحمه الله

العالم العابد الزاهد ، الحبيب اللبيب ، الصبور المحتسب ، المجاهد في إظهار الحق ورد الباطل ، بلسانه وقلمه وماله ، فلا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد عام ١٣٣٤ من الهجرة ، وتعلم القراءة والكتابة في صغره ، وحفظ القرآن .

ثم ابتدأ في طلب العلم ، ولازم أهل العلم منهم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، وقد أجازه في رواية

الصحاح والسنن والمسانيد، وفي رواية كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وفي غير ذلك.

وقرأ على الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، وكان مثالاً يحتذى في الورع والأدب وحسن الخلق، عيّن في القضاء في المنطقة الشرقية، وفي الزلفى، ثم اعتذر، وطلب للتعليم مراراً، لكنه اعتذر وآثر التفرغ للعلم والبحث والتأليف.

فألف كتباً ورسائل، الناس في أمسّ الحاجة لمثلها، فنفع الله بها، ولا تزال ـ بحمد الله ـ تتجدد ويرجع إليها، لما فيها من الأدلة والبراهين وحسن التوجيه لما عليه السلف الصالح، وكشف ما وقع فيه بعض من الخلف ممن غفل عن منهج السلف، أو أعرض عنه لجهله وبعده عنه، وغير ذلك من الأسباب.

توفي رحمه الله عام ١٤١٣هـ، وخلف أولاداً فيهم خير وبركة، فرحم الله الشيخ حمود وأسكنه فسيح جناته، وبارك له في الباقيات الصالحات إنه سميع مجيب. ولمزيد من المعرفة عنه انظر ترجمته في الجزء الثاني من كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام حفظه الله.

الشيخ صالح بن أحمد الخريصي ، رحمه الله

العالم ، الورع ، الزاهد ، ولد سنة ١٣٢٧ من الهجرة ، وتعلّم القرآن الكريم والنحو على يد الشيخ صالح الكريديس ، وباقي العلوم الشرعية على عدد من المشائخ ، منهم : محمد بن عبد الله الحسيني ، ومحمد السليم ، وعبد الله بن محمد بن حميد ، رئيس مجلس القضاء الأعلى .

تولى الإمامة وفتح حلقة ذكر وتدريس في المسجد عام ١٣٥٤هـ ، وعيّن في القضاء في القصيم ، ثم في الأسياح ثم في الدلم ، ثم تولى رئاسة المحكمة الكبرى ببريدة ، ثم عيّن رئيساً لمحاكم القصيم ، وله تلامذة كثيرون ، وكان لا يدع الحج والعمرة ، ولا يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ولا يدع قيام الليل .

وكان شافعاً لأصحاب الحاجات والغارمين واليتامى والمساكين والأرامل ، وجلّ وقته لقضاء مصالح المسلمين ، له رسائل ونصائح طبع بعضها وانتشر ، توفي رحمه الله سنة ١٤١٥ من الهجرة ، غفر الله له وجزاه عنا وعن جميع المسلمين أحسن الجزاء .

الشيخ عبد الرحمن

ابن عبد الله بن حمود التويجري ،

رحمه الله

عالم جليل ، وورع عفيف ، ولد سنة ١٣٣٦ من الهجرة ، توفي والده وهو صغير فاعتنت به والدته ، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة عند الشيخ أحمد الصانع ولما تجاوز سن الصبا قرأ على الشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ محمد الخيال ، والشيخ سعود بن رشود ، عدداً من العلوم الشرعية فأدرك إدراكاً جيداً ، وصار له مشاركة كبيرة في العلوم التي درسها .

وطلب منه القضاء ولكنه اعتذر ، وتولى الإمامة والوعظ وتدريس الطلاب في مسجدين في المجمعة ٤٣ سنة ، ومن تلاميذه أبناؤه ، وأبناء أخيه حمود ، وألّف كتابه « الشهب المرمية » طبع سنة ١٣٧٤هـ ، نقد فيه كثيراً مما اتبعته العامة من تقليد للغربيين في أعمالهم وعاداتهم ، وله رسالة لاحظ فيها على كتابي علماء نجد بعض الأخطاء المطبعية وغير ذلك .

توفي رحمه الله في ١٦/ ١٠/ ١٤١٦هـ . انتهى باختصار مع بعض التصرف من كتاب « علماء نجد خلال ثمانية قرون » ج/ ٣.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، حفظه الله

هو العالم الجليل ، والمحدث الفقيه ، المفيد للطالبين ، المحفوف بعناية رب العالمين ، الورع الزاهد ، المحبوب المعمّر في طاعة رب العالمين ، قد خيّب الله بطول عمره ، توقع الجاهلين ، وظن الحاقدين .

ولد حفظه الله في سنة ١٣٣٠ من الهجرة ، بمدينة الرياض ، وكان بصيراً ، ففقد بصره سنة ١٣٥٠هـ ، حفظ القرآن قبل سن البلوغ ، ثم جدّ في طلب العلم ، على علماء الرياض .

ومن أبرزهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم ، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة العربية عيّن في القضاء سنة ١٣٥٧هـ .

ولم ينقطع عن العلم والتعليم ، بما شغل به من مناصب في القضاء في أي مدينة كان ، فهو القاضي والمفتي ، والداعية والمصلح ، والرئيس والإمام والمعلم ، والمكرم للضيوف ، والحنون على الأرامل والأيتام ، ومطعم المساكين ، والواسطة في الأمور الخيّرة .

نشأ على يديه عدد فيهم خير وبركة ، له تأسيس كبير

في الندوات والمحاضرات ، واختيار الموضوعات ، ظهر له كتب ورسائل كثيرة وأشرطة عديدة ، يعجز عن إحصائها المتتبع لها ، لا يضيع عليه شيء من أوقاته ، فما أحسن وأحلى وأعظم حياته .

فهنيئاً له ولكل من سار على نهجه في حياته فصبر وصابر ، وعمر أوقاته في طاعة ربه ومرضاته .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يزيد لنا في مدّ عمره بكامل حواسه وقواته ، وأن يرزقنا وإياه حسن الخاتمة في الأمور كلها ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم(١) .

الشيخ صالح بن علي

ابن فهد بن غصون التميمي ، حفظه الله

عالم جليل ، وفقيه ورع ، مفيد للطالبين ، ومحفوف بعناية رب العالمين ، ولد حفظه الله سنة ١٣٤١ من الهجرة في الرس ، حفظ القرآن في صغره ، وفقد بصره في السنة ١٢ من عمره .

وعلت همته إلى طلب العلم فتوجه إلى الرياض ، وقرأ على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الفرائض

(١) وانظر إن شئت ترجمة له في الجزء الأول من فتاوى اللجنة الدائمة .

والأجرومية ، وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم جميع العلوم النافعة ، عشر سنين .

ثم عيّن في القضاء في سدير سنة ١٣٦٨هـ ، ومكث فيه أربع سنين ، ثم في شقراء عشر سنين ، بالإضافة إلى التدريس في المعهد ، والإمامة والخطابة في الأماكن التي عيّن فيها .

وفي نهاية عام ١٣٨١هـ عيّن في الأحساء رئيساً للمحاكم فيها ، إلى نهاية سنة ١٣٩٠هـ ثم صار عضواً في هيئة التمييز في الرياض ، وفي سنة ١٣٩١هـ عيّن أيضاً عضواً في هيئة كبار العلماء ، وفي عام ١٣٩٩هـ عيّن في المجلس الأعلى للقضاء .

وفي ١٤٠٨هـ طلب الإحالة للتقاعد للاستجمام لصحته والتفرغ لعبادة ربه ، ومع ذلك فلم ينقطع نفعه عن المسلمين فله مشاركة في الإذاعة في برنامج نور على الدرب ، مستمرة من عام ١٣٩١هـ ، إلى الآن يجيب فيها على الأسئلة ، ويوجه الناس لما هو الأصلح في دينهم ودنياهم ، بأسلوب مبسط ، وسهل ، يعيه العامي والمتعلم ، وهذا من حسن تواضعه ، ورغبته في إيصال الخير لمريده .

كما أنه أيضاً يجيب على الأسئلة ، في المسجد وفي بيته ، وعلى جهاز الهاتف ، وغير ذلك ؛ فحياته ـ ولله الحمد ـ كلها جدّ واجتهاد وعمل وصبر .

أرجو الله الكريم أن يضاعف له الأجر ، وأن يمد في عمره بصحة وعافية وهناء ، وأن يحسن لنا وله الخاتمة في الأمور كلها ، وصلى الله على محمد ، حرّر في ليلة الاثنين ٨/١/١٤١٩ هجرية .

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان ، حفظه الله

عالم جليل ، وشهم شفيق ، معلم ، وإمام ، وخطيب ، ولد حفظه الله سنة ١٣٤٨هـ ، وحفظ القرآن في سن مبكر في الخامسة عشر من عمره .

وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الرحمن المقوشي ، والشيخ عبد العزيز الشثري ، والشيخ إسماعيل الأنصاري ، والشيخ عبد الحميد الجزائري وغيرهم .

وقرأ عليه عدد كثير في مكتبة ابن تيمية الخيرية وفي مسجده الجامع ، وله جهد كبير في الدعوة إلى دين الله الحق والتمسك به ، فله مشاركات كثيرة في الندوات والمحاضرات في جامع الإمام تركي وغيره ، وله تجول في المملكة للدعوة إلى الله في المدارس والمعاهد ، وقطاع الأمن ، وغيرها ، ويفتح مجالاً للأسئلة والإجابة عليها .

وله رسائل ونصائح فيما يهم المسلمين ، فهو مصلح ومحتسب ، ومحسن للفقراء والمحتاجين والأرامل بالتوسط لدى المحسنين ، وغير ذلك من طرق الخير .

ومؤسس الجماعات الخيرية ، ومنها جماعة تحفيظ القرآن سنة ١٣٨٧ من الهجرة ، وله جهد كبير في تسهيل حلقات القرآن في المساجد وغيرها ؛ يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم .

فله نشاط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن ذلك إقامة الصلاة جماعة في الدوائر الحكومية وغيرها ، وحثه على بناء المساجد فيها .

وله مكانة عند المسؤولين وقبول فيما يراجعهم فيه من أمور الدين والدنيا ، مع الملوك والأمراء ، وكبار المشائخ وغيرهم .

فجزاه الله أحسن الجزاء ، وبارك في أوقاته ، ونسأل الله لنا وله حسن الخاتمة ، وأن يجعل في ذريته وتلامذته الخير والبركة ، فيكون امتداداً لصالح عمله .

الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، حفظه الله

عالم جليل وداعية إلى الله ، ذو هيبة وقدر ، وإمام وخطيب ، ولد بمدينة البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٥٠ من الهجرة .

وقد تخرّج من كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٩هـ وعمل سكرتيراً لسماحة الشيخ : محمد بن إبراهيم ، رحمه الله في الإفتاء بعد تخرجه ، إلى أن عيّن عام ١٣٨٣هـ مساعداً لرئيس المحكمة الكبرى بالرياض ، ثم صار رئيساً للمحكمة عام ١٣٨٤هـ .

وقد حصل على رسالة الماجستير من المعهد العالي للقضاء ، عام ١٣٨٩هـ ، واستمر رئيساً للمحكمة الكبرى إلى أن عيّن عام ١٣٩٠هـ قاضي تمييز ، وعضواً بالهيئة القضائية العليا .

وفي عام ١٤٠٣هـ ، عيّن رئيساً للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى ، واستمر في ذلك نائباً لرئيس المجلس في غيابه إلى أن عيّن عام ١٤١٣هـ رئيساً للمجلس بهيئته العامة والدائمة .

وهو أيضاً عضو في هيئة كبار العلماء منذ إنشائها عام ١٣٩١هـ ، وعضو في رابطة العالم الإسلامي ، وكان له نشاط في تأسيس مجلة راية الإسلام ، ومديرها ورئيس تحريرها .

وله دروس في المسجد الحرام تذاع ، وفتاوى في برنامج نور على الدرب ، وله محاضرات وندوات ،

ومشاركة في مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه ، وغير ذلك مما فيه صلاح وإصلاح ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، وأحسن لنا وله الخاتمة في الأمور كلها وصلى الله على محمد ، حرّر في ٩/١/١٤١٩هـ .

الشيخ عبد الرحمن بن حماد العمر
البدراني ، حفظه الله

عالم جليل ، وداعية إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ولد في روضة سدير في ١٧/٢/١٣٥٤ من الهجرة ، وتربى على يدي والديه ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام جامع البلد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فنتوخ ، وتعلم القرآن على فوزان القديري وابنه عبد الله ، وأكمل دراسة القرآن وحفظ الأصول الثلاثة وأدلتها ، وشروط الصلاة وأحكامها على والده ، رحمه الله .

والتحق بالمدرسة الابتدائية عام ١٣٦٩هـ ، ثم بالمعهد العلمي بالرياض ، ثم بكلية الشريعة فتخرج منها عام ٨٢ ـ ٨٣هـ ، وأخذ قبل التخرج وبعده عن كثير من العلماء ، وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، والشيخ سليمان بن حمدان ، وقد أجازه كتابة بما أجازه أهل العلم ؛ وأخذ العلم أيضاً عن غيرهم من أهل العلم .

وكان يكثر من قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وكتب أئمة الدعوة ، والمراجع الكبار ، في التفسير والحديث والأصول والفقه وغير ذلك ، وله كتب ورسائل بلغت ١٨ طبع بعضها وانتشر ، منها : « في سبيل الحق » « الإرشاد إلى توحيد رب العالمين » « الذكرى » ، « دين الحق » وقد ترجم إلى لغات كثيرة ، وغير ذلك ؛ وله مشاركة في المحاضرات والندوات في المساجد وعمل محاسباً بوزارة المالية بمدة أشهر ، ثم مديراً للمبيعات بالخطوط الجوية ، ما يزيد على خمس سنوات .

ثم عمل مدرساً بوزارة المعارف ما يقارب ثلاثين عاماً حتى تقاعد في سنة ١٤١٥هـ ، وله أولاد فيهم خير وبركة ، ولا يزال ـ بحمد الله ـ يشارك في المحاضرات والندوات ، والتأليف ، نسأل الله أن يحسن لنا وله الخاتمة ، وأن يتقبل منا ومنه الحسنات ويغفر لنا وله السيئات آمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الشيخ محمد بن عبد الله بن حمدان

ولد في « البير » من بلدان المحمل شمال غرب الرياض عام ١٣٥٧هـ . وتلقى تعليمه في الكتاتيب في « البير » ثم في مدرسة « تمير » الابتدائية ، حيث كان جده إماماً فيها ، ثم التحق بمعهد إمام الدعوة في الرياض سنة ١٣٧٣هـ ، كما واصل دراسته المتوسطة والثانوية ليلاً .

وحين تخرّج من المعهد التحق بكلية الشريعة بالرياض ، ثم تعيّن موظفاً واستمر منتسباً حتى تخرّج منها عام ١٣٨٣هـ وتنقل في وظائف عدة كان آخرها في إمارة منطقة الرياض حتى طلب التقاعد عام ١٤٠٠هـ بعد أن بلغت خدمته في الدولة ٢٠ عاماً .

كتب عدة مقالات وبحوث في المجلات والصحف السعودية القديمة والحديثة ، وصدر له بعض من الكتب ، منها : « بنو الأثير » و« صبا نجد » و« ديوان حميدان » وله كتب أخرى ينوي طبعها .

ونشأت لديه هواية جمع المخطوطات والكتب والجرائد ، والمجلات القديمة ، واجتمع عنده الكثير ، فأنشأ « مكتبة قيس » لشراء وبيع ما اجتمع لديه ، وانتفع بذلك ؛ ولديه « متحف قيس » يضم نوادر وطرائف من المأثورات الشعبية ؛ يكره المديح والكبر ، ويهوى السياحة والسباحة .

نسأل الله لنا وله حسن الخاتمة في الأمور كلها ، وأن يجعل في ذريته من تقربهم عينه في طاعة الله وطاعة رسوله ، وأن يكونوا له من الباقيات الصالحات إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على محمد ، حرّر في ١/ ٢/ ١٤١٩هـ .

وإليك نبذة عن هذه الطبعة الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد : فحيث أن الطبعة الأولى للدّرر السّنية التي طبعت في مكة بمطابع أم القرى في عهد الملك عبد العزيز ، قلّ وجودها ، حتى في المكتبات العامة ، وتتكون من أربعة مجلدات .

ثم صورت على الطبعة الأولى في عهد الملك فيصل وقلّت أيضاً مع ما حصل عليها من بعض التغيير ، ونفدت إلا ما شاء الله منها ، وكثر السؤال عنها في وقت قد تيسّر الطبع فيه وسهلت مؤونته ، وأن جامعها قد احتفظ بنسخة منها مزيدة ، وكان حريصاً على طباعتها قبل وفاته بما يقرب من ثلاث سنوات ولم يتيسّر له ذلك .

ولأهميتها والاستفادة منها ، وتيسر الطبع على نفقة الأخ ناصر ، فقد استعنت بالله في الإشراف على طبعها والقيام بما يلزم ، من مقابلة ، ومراجعة ، وتدقيق ، وتنقيح ، ونسخ ما يحتاج إلى نسخ ، وبذلت الجهد بأن تكون هذه الطبعة وفق ما ذكر في أول الجزء الأول ، في التمهيد ، والتنبيهات .

وعلّقت على ما يحتاج إلى تعليق ، مما يوضح

المراد ، وما يظن أنه متكرر وليس بمتكرر ، وما له علاقة بما قبله أو بعده ، ليسهل الرجوع إليه ، وما يحتاج إلى تقديم أو تأخير ، أو إضافة أو حذف وهو قليل جداً ، مع الإشارة إلى ذلك ، وإبدال كلمة « وفقه الله » لمن قد توفي بكلمة « رحمه الله » .

وقمت بفهرسة الرسائل المضافة والترجمة لأصحابها ، على نمط فهرسة جامعها ، وتراجمهم ، علماً بأن مجموع ما فرق في الأجزاء ، يقرب من جزء ، وبسبب مراعاة الأشياء الفنية في الطباعة وتغير حجم الصفحات وما حصل من إضافات فقد بلغ عدد الأجزاء بما فيها المخطوط المسمى : « بالبيان الواضح وأنبل النصائح » ١٦ جزءاً .

ولمزيد من الإيضاح عن هذه الطبعة الجديدة :

فقد تم بحمد الله طبع هذه النسخة الجديدة في ستة عشر جزءاً ، كما يلي :

(أ) الجزء الأول ويشتمل على تقريظات ، وتمهيد ، وتنبيهات ، وكتاب العقائد ، وعدد صفحاته ٦٠٧.

والجزء الثاني يشتمل على كتاب التوحيد ، وعدد صفحاته ٣٧١.

والجزء الثالث يشتمل على كتاب الأسماء والصفات وعدد صفحاته ٣٨٨، وقد تم طبع هذه الثلاثة الأجزاء سنة ١٤١٣ ـ ١٩٩٢م .

(ب) الجزء الرابع ويشتمل على القسم الأول من كتاب العبادات، أوله في أصول مأخذهم، ثم من كتاب الطهارة إلى نهاية باب صلاة أهل الأعذار، وعدد صفحاته ٤٤٩.

والجزء الخامس ويشتمل على القسم الثاني من كتاب العبادات، من أول باب صلاة الجمعة إلى نهاية العقيقة، وعدد صفحاته ٤٢٥.

والجزء السادس من أول كتاب البيع إلى نهاية اللقطة، وعدد صفحاته ٤٨٣؛ وقد تم طبع هذه الثلاثة أيضاً سنة ١٣١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(جـ) الجزء السابع من أول كتاب الوقف إلى نهاية الإقرار، وعدد صفحاته ٦١٩.

والجزء الثامن ويشتمل على القسم الأول من كتاب الجهاد، وعدد صفحاته ٥١٢.

والجزء التاسع ويشتمل على القسم الثاني من كتاب الجهاد، والقسم الأول من كتاب حكم المرتد، وعدد صفحاته ٤٥٥.

والجزء العاشر ويشتمل على القسم الأخير من كتاب حكم المرتد، وعدد صفحاته ٥٣٣، وهذه الأربعة الأجزاء تم طبعها سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(د) الجزء الحادي عشر، ويشتمل على القسم الأول

من كتاب مختصرات الردود ، عدد صفحاته ٦٠٠.

والجزء الثاني عشر ويشتمل على القسم الثاني من كتاب مختصرات الردود ، وعدد صفحاته ٥٦٤.

والجزء الثالث عشر ويشتمل على تفسير واستنباط لسور وآيات من القرآن الكريم ، عدد صفحاته ٤٦٥.

والجزء الرابع عشر ، ويشتمل على كتاب النصائح ، عدد صفحاته ٦٠٠.

وهذه الأجزاء الأربعة تم طبعها سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م و١٩٩٧م .

(هـ) الجزء الخامس عشر ، ويشتمل على القسم الأول من كتاب البيان الواضح وأنبل النصائح ، عدد صفحاته ٤٥٠.

والجزء السادس عشر ، يشتمل على القسم الأخير من كتاب البيان الواضح وأنبل النصائح ، وعلى تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة الموجودة في الطبعة الأولى والمزيدة في هذه الطبعة ، وهو آخر ما جمعه الوالد ورتبه لهذه الدرر ، فجزاه الله أحسن الجزء ، وكذا كل من أعانه عليها وساعده في نشرها ، وآخر دعوانا : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

المشرف على الطبع ابنه سعد

فهرس

الجزء السادس عشر من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية